جامعـــــــة الأزهــــــر - غـــــزة
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي
كليـــة الاقتصـــاد والعـــوم الإداريـــة
برنـــامج ماجســـتير العلـــوم السياســـية



البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية خلال الفترة (1948-2009)

The religions dimension of the relationship of America with Jews and Israel And its impact on the Palestinian issue during the period (1948-2009)

إعداد الباحث
يوسف العاصي الطويل

إشــــراف
الدكتور/ كمال الأسطل

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية
كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية - جامعة الأزهر - غزة

1432هـ - 2011م

إهـــــداء

أهدي هذه الرسالة إلى روح والدي ووالدتي عرفاناً بفضلهما .. وطمعاً

لهما بالرحمة .. أسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناتهم

ابنكم البار
يوسف العاصي الطويل

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إتمام هذه الرسالة، سواء بالفكرة وإبداء الرأي، أم بالإخراج النهائي والطباعة. وأخص بالذكر أستاذي الفاضل الدكتور كمال الأسطل، على ملاحظاته القيمة، وأيضاً للأساتذة المناقشين لهذه الرسالة. كما أتقدم بالشكر الجزيل للصديق الدكتور بشير أبو القرايا، وللصديق عبد الطيف أبو هاشم، لما كان لنقاشاتهم، من دور في إثراء هذه الرسالة.

والشكر موصول لجامعة الأزهر، ولأساتذة قسم العلوم السياسية، الذين أتاحوا هذه الفسحة الجميلة، لمحبي العلوم السياسية ليسطروا من خلالها، دراساتهم وأبحاثهم.

يوسف العاصي الطويل

ملخـــص

تبحث الدراسة في أثر العامل الديني في التحيز الأمريكي لليهود وإسرائيل، حيث مهدت لذلك بتوضيح عدم كفاية نسبة هذا التحيز لنفوذ اليهود، أو الأطماع الاستعمارية في المنطقة العربية، وحاولت التركيز على العامل الديني. ولبيان أهمية ومركزية هذا العامل، قامت الدراسة بتأصيل العلاقة بين اليهودية والمسيحية، وأوضحت كيف أن حركة الإصلاح الديني والمذهب البروتستانتي السائد في أمريكا، جاء بنظرة جديدة كلياً تجاه اليهود انعكست بصوره إيجابية على ماضيهم ومستقبلهم. حيث لعبت التعاليم الدينية المستمدة من التوراة اليهودية (العهد القديم) دوراً مركزياً في صياغة فكر وثقافة المهاجرين الأوائل لأمريكا، فأصبح هناك اعتقاد مبكر لدى الأمريكيين، بضرورة تحقيق كافة النبوءات الواردة في العهد القديم، وعلى رأسها إعادة اليهود إلى فلسطين، كواجب ديني، حيث بدأ ذلك قبل ظهور الحركة الصهيونية بثلاثة قرون.

وتبرز الدراسة دور الدين في الحياة الأمريكية قديماً وحديثاً، وأثره في صياغة الفكر والثقافة الأمريكية، مما انعكس على المواقف الأمريكية تجاه كثير من القضايا، وبالذات من اليهود وإسرائيل، وكيف كان المشروع الصهيوني مشروعاً أمريكياً، بكل تفاصيله يهدف إلى تحقيق رؤى ونبوءات دينية، آمن بها الشعب الأمريكي بمعظم فئاته، وتعاطف معها وتبناها الزعماء السياسيون، منذ تأسيس الجمهورية عام 1776، وحتى وقتنا الحاضر. وحتى لا يبقى كلامنا مجرد إسقاطات نظرية رأينا أن نعرض لمواقف كثير من الرؤساء الأمريكيين منذ تأسيس الجمهورية وحتى بوش الابن، وكيف لعب الدين دوراً مهماً في تشكيل مواقفهم من اليهود ودولة إسرائيل، وركزنا على الرئيس بوش الابن كمثال لكافة الرؤساء الأمريكيين الذين كان للدين دور رئيس على سياستهم، ويكفي أن نعلم أن كافة الرؤساء الأمريكيين كانوا من البروتستانت باستثناء الرئيس الكاثوليكي الوحيد جون كيندي الذي تم اغتياله.

وتخلص الدراسة إلى مركزية الدور الرئيس للدين في تشكيل الموقف الأمريكي تجاه اليهود وإسرائيل، مما يتطلب إعادة تقييم عربي فلسطيني شامل لكيفية التعامل معه ومواجهته من خلال خطه شامله، تبدأ بالفهم والدراسة، ووضع الخطط الشاملة، وعلى كافة المستويات لمواجهة هذا التحيز، الذي وصل إلى مستويات غير مسبوقة من التوحش، بسبب غياب أي رادع دولي أو عربي يمنعه، أو يخفف من تطرفه وتبنيه للمطالب الصهيونية.

Abstract

This study examines the impact of the religious factor on the American bias to the Jews and Israel. In the preface of the study, was an explanation of the inadequate proportion of this bias to either the influence of the Jews or the colonial greed in the Arab region. In order to show the importance and the centrality of this factor, the study has scrutinized the fundamental relationship between Judaism and Christianity; it has explained how the religious Reform Movement and the dominant Protestantism came up with a new attitude towards the Jews, an attitude which was positively reflected on their past and future.

It was then when the religious teachings taken from the Old Testament played a key role in shaping the mindset and the culture of the early emigrants to America. This led to the emergence of an early American belief that all the prophecies in the Old Testament should be achieved; one of the most important of those prophecies was the necessity of returning the Jews to Palestine. The emergence of this belief was three centuries before the appearance of the Zionist Movement.

The study also highlights the role of religion in the American 'life in terms of forming the conceptual and the cultural mind set of the Americans. This mindset was reflected on the American attitudes and stances towards several issue mainly those that concern Israel and the Jews. The study also reveals how the Zionist project was originally an American one;

It was mainly embraced in order to fulfill an Old Testament prophecy. This project has been endorsed by the American people and supported by the American policy makers since the establishment of the republic and until our present time. In order to substantiate the theoretical claims, the researcher showed how the religious factor has been detrimental in the policy of most American presidents since the establishment of the republic and until Bush, the junior. To exemplify this, the study has focused on the policy of Bush, the son, and showed how region played an important role in his policy. It is worth mentioning that almost all the American presidents, except John Kennedy, who was assassinated, were catholic.

The study concludes that region played a central role in the formation of the American attitudes towards the Jews and Israel. This conclusion requires that the Arab and the Palestinians should conduct comprehensive reassessment of their approach to dealing with this problem. The study recommends that the Arab should adopt a comprehensive plan at all levels in order to face this American bias. It is the bias which has recently acquired brutally unprecedented level because of the absence of any international power that would deter and prevent the Americans from embracing the radical and extremist demands of Zionism.

الفصل الأول
مقدمه منهاجية و فصل تمهيدي

1.1 مقدمة

تعد العلاقات الأمريكية مع اليهود وإسرائيل والتي يحلو للبعض تسميتها بالعلاقات الخاصة، من القضايا الرئيسة التي يحيطها الغموض وتستعصي على التفسير، وكأنها لغز من الألغاز المزمنة، التي كلما حاول البعض تفسيرها، أظهرت الأحداث والمتغيرات خطأ هذا التفسير وعقمه، حيث عرف تاريخ هذه العلاقة، تفسيرات وتصورات متباينة ومتصارعة، على المستوى العالمي، والعربي، والإسلامي، وحتى الفلسطيني. وامتد هذا التباين ونما، حتى أصبح كمية هائلة تحتاج وحدها إلى بحث وتمحيص.

وفي هذا البحث سنقوم بالتركيز على البعد الديني ودوره في كسب تعاطف الأمريكيين حكومة وشعباً مع اليهود ودولة إسرائيل، بفضل الأفكار التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني في القرن الخامس عشر، والتي أصبح بفضلها السعي لإقامة دولة إسرائيل وتوطين اليهود في فلسطين واجب ديني مقدس، لدى أتباع المذهب البروتستانتي الذي انتشر في أمريكا مع بدايات الاستيطان الغربي واستمر تأثيره حتى الآن، وكيف انعكس ذلك على القضية الفلسطينية. ولكن قد يبدو القول بوجود دور قوي وفعال للدين في العملية السياسية، وفى الحياة العملية لبلد صناعي متقدم كالولايات المتحدة، في أوائل القرن الحادي والعشرين، في أسوأ الحالات، كتقول وادعاء، وفى أقلها سوءاً، كإسقاط لأفكار مسبقة عن تأثير الغيبيات.

> "غير أن ذلك يسقط من الاعتبار، الحقيقة الماثلة في أن قادة المجتمع الأمريكي السياسيين والروحانيين على السواء، عنوا بأن يتخذوا مواقفهم منذ نشأة جمهوريتهم وحتى الآن، على قمة متاحة من الأرض الأخلاقية العالية، مستمدين باستمرار السند والمبرر لكل تصرف أمريكي في شؤون أمريكا والعالم من الدين والأخلاقيات العليا، ومسبغين على أنفسهم وبلدهم عباءة الاضطلاع بعبء رسالة حملت العناية الإلهية ذاتها، الأمة الأمريكية بها لصالح البشر جميعاً" (مقار، 1992، ص323)

وبالرغم من أن الحديث عن دور الدين في تشكيل فكر وثقافة أكبر قوة في العالم في هذا العصر، عصر الفضاء والذرة، سيعتبر أمراً مستهجناً لدى البعض، على اعتبار أن الدين التقليدي شأنه في ذلك شأن الطب البدائي والمحراث الذي يجره الحصان سيختفي مع تقدم الثقافة والتعليم الحديثين، إلاّ أن ذلك يغفل الدور الرئيس الذي لعبه الدين في الحياة الأمريكية منذ نشأتها وحتى الآن، والذي برز بقوة في ظل

قيادة بوش والمحافظين الجدد. فكما يقول المؤرخ الإغريقي بلوتارك: "قد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد" (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

والدراسة التي بين أيدينا ستحاول إبراز دور العامل الديني في التحيز الأمريكي لإسرائيل وكيف لعب هذا العامل دوراً رئيساً في التعاطف مع اليهود وآمالهم في إقامة دولتهم منذ زمن طويل، مع عدم إنكار وجود عوامل أخرى تؤثر في هذه السياسة بشكل أو بآخر، في ظل ظروف دولية معينة. وللوصول إلى ذلك سنقوم بتقسيم الدراسة إلى خمسة فصول. في الفصل الأول سنقوم بمراجعة نقدية لما درج عليه الفكر العربي من تعليل انحياز أمريكا للكيان الصهيوني، لمناقشه معظم الطروحات والأفكار التي حاولت تفسير العلاقات الأمريكية الإسرائيلية وبيان عدم كفايتها. وفي الفصل الثاني سنقوم بتأصيل لعلاقة المسيحية باليهودية، وأثر أفكار حركة الإصلاح الديني، التي تنتشر في أمريكا على ماضي اليهود ومستقبلهم، وأثرها على الحياة الثقافية والفكرية في أمريكا. أما الفصل الثالث فنخصصه للحديث عن أمريكا والمشروع الصهيوني خلال الفترة (1948–1967). وفي الفصل الرابع سنلقي الضوء على الأصولية المسيحية والنظام الدولي الجديد وأثرها على العلاقات الأمريكية الإسرائيلية خلال الفترة (1967– 2000)، أما في الفصل الخامس والأخير فسنفرده للحديث عن جورج بوش الابن، وسياسته المنحازة لإسرائيل، مع إبراز الأبعاد الدينية لموقفه من اليهود وإسرائيل. وفي النهاية سنجمل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، مع بعض التوصيات التي تقترحها الدراسة لتعميق البحث حول هذه الظاهرة.

2.1 خطة البحث

1.2.1 أهداف الدراسة :

1. إظهار مواقف الفرق المسيحية الرئيسية (الكاثوليكية والبروتستانتية) من اليهود.
2. إبراز التغيير الذي أحدثته حركة الإصلاح الديني البروتستانتية من اليهود، ماضيهم ومستقبلهم.
3. تأصيل لدور الدين بشقه البروتستانتي، في تشكيل الثقافة الأمريكية منذ تأسيس أمريكا وحتى الآن، وبيان أثر الدين في تشكيل منظومة القيم السائدة في أمريكا.
4. إبراز دور الدين في تشكيل السياسة الأمريكية تجاه اليهود وإسرائيل، وأثره على القضية الفلسطينية.
5. الدراسة ستبرز بوضوح المواقف السياسية للطوائف المسيحية وبالذات الكاثوليكية والبروتستانتية، من القضية الفلسطينية، وهذا يمكن أن يكون أساساً للتعامل معها بعيداً عن التعميمات الخاطئة.

2.2.1 **أهمية الدراسة:** تتمثل أهمية الدراسة في أنها:

1. تنبع أهمية الدراسة، من كونها تقدم تأصيلاً نظرياً لموقف الفرق المسيحية المختلفة من اليهود، وأثر ذلك على ماضيهم ومستقبلهم. كما أنها تؤصل لدور القيم الدينية المستمدة من المذهب البروتستانتي، على الثقافة الأمريكية قديماً وحديثاً، وأثرها على صنع القرار السياسي.
2. تقدم للقارئ والمثقفين العرب صورة حقيقة عن العلاقة وطبيعة التفاعلات بين الدين والمجتمع الأمريكي، الأمر الذي يُضيف أبعاداً مهمة لفهم المجتمع الأمريكي والقيم التي قام على أساسها.
3. تساعد على فهم كثير من السياسات الأمريكية وعلاقتها بالإيمان الديني، وبالذات ما يتعلق منها بالصراع العربي الإسرائيلي والهجمة الأمريكية على العالمين العربي والإسلامي.
4. الدراسة ستحاول أن توضح إلى أي درجه بلغ تأثير الكتاب المقدس على فهم الأمريكيين لأنفسهم وللعالم، وكيف كانت كلماته هادياً وملهماً لهم في كثير من المواقف السياسية، الآنية والمستقبلية، وهذا يمكن أن يساعد على التنبؤ بالتوجهات المستقبلية لأمريكا تجاه القضية الفلسطينية والمنطقة.

3.2.1 حدود الدراسة :

مكانياً (أمريكا وإسرائيل) وتاريخياً من(1948–2009 م)، وموضوعياً البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل، وأثره على القضية الفلسطينية خلال الفترة (1948–2009 م).

4.2.1 مشكلة الدراسة :

تتمثل المشكلة الرئيسية للدراسة في محاولة تفسير سر العلاقات الخاصة بين أمريكا واليهود وإسرائيل حيث سنركز على البعد الديني لهذه العلاقة وأثره في حصول إسرائيل على الدعم اللامحدود من الحكومات الأمريكية المختلفة، وفي ظروف دولية وإقليمية مختلفة، مما كان له أثر سلبي على القضية الفلسطينية، وسنتناول ذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

1- ما مدى تأثير المصالح، والقوة اليهودية في أمريكا على السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل
2- ما موقف المذاهب المسيحية المختلفة في أمريكا من اليهود، وبالذات المذهب البروتستانتي، والدور الذي لعبه الدين في صياغة الفكر الأمريكي، منذ البدايات الأولى.
3- إلى أي مدى أثر الدين على موقف صانع القرار الأمريكي تجاه المشروع الصهيوني، في ظروف دولية مختلفة، وكيف انعكس ذلك على القضية الفلسطينية.
4- كيف أثر تنامي تيار الأصولية المسيحية، وظهور النظام الدولي الجديد على صانع القرار الأمريكي تجاه إسرائيل، وانعكاسات ذلك على القضية الفلسطينية والمنطقة العربية.
5- ما الخلفية الدينية لفكر الرئيس بوش الابن، وحديثه عن حرب صليبية، وعلاقة ذلك بموقفه من إسرائيل، وكيف انعكس ذلك على القضية الفلسطينية، ومنطقتنا العربية والإسلامية بوجه عام.

5.2.1 فرضية الدراسة :

لعب الدين دوراً أساسياً في تشكيل الثقافة الأمريكية قديماً وحديثاً، بحيث لا يمكن فهم كثير من التصرفات الأمريكية الخارجية والداخلية إلا من خلال البحث في جذورها الدينية، وبالتالي لا يمكن فهم العلاقات الأمريكية الإسرائيلية إلا بأخذ العامل الديني في الاعتبار، حيث كان ولا يزال له دور رئيس في تعاطف وانحياز أمريكا لإسرائيل، وسيستمر هذا الحال لفترة ليست بالقصيرة.

ومن هنا تفترض الدراسة أن البعد الديني، كان له دور مركزي، في رسم علاقة أمريكا باليهود وإسرائيل، مما انعكس سلباً على القضية الفلسطينية.

6.2.1 منهجية الدراسة :

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، والمنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، ومنهج النخبة، ومنهج تحليل النظم، لأننا هنا بإزاء ظاهرة تاريخية ممتدة، تعرضت لمواقف كثير من النخب والنظم، وتحتاج للسرد والتحليل والوصف والمقارنة، للوصول إلى أهداف البحث. وفيما يتعلق بمستوى التحليل فقد تم الاعتماد على عدة مستويات من التحليل، مثل مستوى النظام الدولي ومستوى الدولة ومستوى صنع القرار، وذلك لتوضيح مكانة العامل الديني على مختلف المستويات، سواء في ظل ظروف دولية مختلفة، أم في ظل النظام السياسي الأمريكي ومكوناته الداخلية، أم على مستوى صانع القرار، والعوامل المؤثرة فيه.

7.2.1 المصطلحات والمفاهيم :

1- **أمريكا و الولايات المتحدة الأمريكية:** عندما ترد في الدراسة كلمة أمريكا بعد سنة 1776 (سنة إعلان الاستقلال)، فإنه يقصد بها الولايات المتحدة الأمريكية، وليس القارة الأمريكية.

7.2.1 الدراسات السابقة:

بالرغم من حداثة تناول موضوع البعد الديني للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية من قبل الكتاب والمفكرين العرب، إلا أن بروز تيار المحافظين الجدد، وحديث بوش عن حرب صليبية، ساعد على ظهور عدد من الدراسات في هذا المجال، من أهمها:

1. **الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (خمسة أجزاء) – يوسف العاصي الطويل- مؤسسة صوت القلم العربي للتوزيع والنشر – مصر 2009.** يتناول الكتاب بشمولية أثر العامل الديني في التحيز البريطاني الأمريكي لإسرائيل، ويحاول تفسير كثير من الحروب التي خاضتها أمريكا وبريطانيا تجاه منطقتنا العربية والعالم، باعتبارها حروباً صليبية، تهدف إلى التعجيل ببزوغ فجر العصر الألفي السعيد. وقد تناول الكتاب بالتفصيل الحرب على العراق وأفغانستان، وأحداث 11 سبتمبر انطلاقاً من هذا الفهم. كما يحاول الكتاب إبراز نماذج من الإرهاب الأمريكي تجاه العالم أجمع، وخطورة التفكير المسيطر على النخب الأمريكية، والمستمد من نبوءات توراتية، ترى ضرورة خوض حرب مدمرة كمقدمة لظهور المسيح. وفي آخر أجزاء الكتاب يطرح المؤلف تصوراً لمواجهة الصهيونية المسيحية، وخطرها الذي يهدد المنطقة العربية والعالم. والكتاب تنقصه المنهاجية الأكاديمية، مما أدى إلى طوله، وتشعب موضوعاته.

2. **محمد السماك – الدين في القرار الأمريكي– بيروت: دار النفائس، 2003**.: الكتاب يحاول بيان أثر الدوافع الدينية في القرارات السياسية التي تتخذها الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، ويوضح أسباب دعمها غير المحدود، للكيان الصهيوني، ضاربة عرض الحائط بمصالحها وصداقاتها، وكيف أن المسيحية الصهيونية هي المحرك الأساس لهذه السياسة. والكتاب يركز على فترة الثمانينات من القرن الماضي وما بعدها وينقصه الجانب التأصيلي، وكثير من التفاصيل.

3. **مايكل كوربت ، جوليا كوربت– الدين والسياسة في الولايات المتحدة – ترجمه د.عصام فايز، و د.ناهد وصفي – الطبعة الثانية 2002 – دار الشروق بمصر**: يقدم الكتاب نظرة شاملة عن اختلاط الدين بالسياسة في أمريكا منذ الهجرة المبكرة إليها، وحتى أواخر القرن العشرين. ويشير المؤلفان إلى أنه لا يمكن فهم التاريخ الأمريكي المعاصر بدون فهم جدلية العلاقة بين الدين والسياسة**.** وتعرض الكتاب إلى أهمية الدين وتغلغله في حياة الأمريكيين العامة والخاصة مثل شن الحرب وتبرير أسبابها، وتنظيم الحياة الشخصية انطلاقاً مما يجب فعله أو الامتناع عنه، أو تبرير العبودية والفصل العنصري أو رفضها، ولكن الكتاب لا يتعرض للصراع العربي الإسرائيلي.

4. **جورج مارسدن–الدين والثقافة الأمريكية– ترجمة صادق عوده– ط1 2001– دار فارس للنشر والتوزيع– عمان**: يؤرخ هذا الكتاب للتاريخ الديني الأمريكي، منذ البدايات الاولى وحتى القرن العشرين، وكيفية امتزاج القيم الدينية بالثقافة الأمريكية، ولكنه لا يتعرض للصراع العربي الاسرائيلي.

5. يوسف الحسن– البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني –الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية–الطبعة الثالثة 2000.: يعرض الكتاب تحليل للاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية المعاصرة، التي توفر بيئة ملائمة للنفوذ الصهيوني اليهودي، والذي أدى بشكل مباشر وغير مباشر إلى الانحياز إلى الحركة الصهيونية وإسرائيل. ولكن الكتاب يركز على المنظمات المسيحية الصهيونية وشخصياتها، وبالذات في ثمانينات القرن الماض، أكثر من تركيزه على السياسات.

6. **أ. مكدوجال – أرض الميعاد والدولة الصليبية، أميركا في مواجهة العالم منذ 1776– ترجمه رضا هلال – دار الشروق – القاهرة طبعة 2000** : يؤكد الكتاب على الأبعاد الدينية في السياسة الخارجية الأمريكية، فتعبير أرض الميعاد مستعار من العهد القديم اليهودي، وتعبير الدولة الصليبية يشير إلى العهد الجديد وإلى الصليب كرمز للتبشير وللتضحية من أجل خلاص البشرية، من منطلق أن أميركا لها رسالة لخلاص البشرية. والكتاب أيضا لا يتعرض للصراع العربي الإسرائيلي.

7. **غريس هالسل- النبوءة والسياسة- ترجمة محمد السماك - الناشر: دار الشروق القاهره-ط1 1998**: يركز الكتاب على أفكار ومعتقدات الحركة التدبيرية، التي تؤمن بأن في الكتاب المقدس نبوءات واضحة حول الوصايا التي يحدد الله فيها كيفية تدبير شؤون الكون ونهايته. عودة اليهود إلى فلسطين. قيام إسرائيل، هجوم أعداء الله على إسرائيل. وقوع محرقة هرمجدون النووية. انتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين. ظهور المسيح المخلص، وانتشار السلام في مملكة المسيح لمدة ألف عام. والكتاب يركز على فتره محدده هي فترة الثمانينات من القرن الماضي.

8. **ريجينا الشريف :الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي. ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز. سلسلة عالم المعرفة، 96، 1985. الكويت.**: يعتبر هذا الكتاب من أوائل الكتب التي تناولت دور البعد الديني للتحيز الأمريكي لإسرائيل، حيث تناول الأفكار التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني وأثرها في خلق نظرة جديدة لليهود ماضيهم ومستقبلهم. وهذا الكتاب ركز بصوره عامه على الفكر الغربي، ولم يتناول بالتفصيل أثره في أمريكا.

8.2.1 الدراسة الحالية:

تأتي هذه الدراسة كإسهام متواضع في محاولة تعميق البحث بشأن دور العامل الديني في التحيز الأمريكي لليهود وإسرائيل، وأثر ذلك على القضية الفلسطينية، بالإضافة إلى إبراز دور الدين في الحياة الأمريكية وأثره على كافة مناحي الحياة فيها؛ مما سيساعد على تفهم أكبر للمجتمع الأمريكي والسياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية والمنطقة العربية والإسلامية بل ومواجهتها، ووضع الخطط للتصدي لها على أسس علمية، وبالذات فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي.

وتتميز هذه الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بالآتي:

1- الدراسة تحاول تأصيل دور الدين في الحياة الأمريكية، كدوره في نشأة الرأسمالية – العلمانية والفصل بين الدين والدولة- النظام العالمي الجديد – التباين في الثروات- التوسع- صدام الحضارات ..الخ باعتبار الدين هو الأساس الذي انطلقت منه هذه الأفكار.

2- الدراسة الحالية تتميز بأنها تركز على دور العامل الديني كسبب رئيس للتحيز الأمريكي لإسرائيل، بعكس بعض الدراسات السابقة التي تناولت هذا الدور بشكل غير واضح.

3- الدراسة تفرق بصوره واضحة بين الفرق المسيحية المختلفة ومواقفها من إسرائيل؛ مما يمنع الخلط بين مواقف المسيحيين في العالم، وبالتالي تمهد الطريق لمنهجية واضحة للتعامل مع دول العالم، وفهم مواقفها بوضوح من قضية الصراع العربي الإسرائيلي؛ مما يسهل مواجهتها.

4- تناولت الدراسة فتره زمنية كبيره، سواء في عملية التأصيل، أو عرض مواقف الحكومات الأمريكية المختلفة حتى عام 2009؛ مما يدعم مصداقية الدراسات السابقة، ويوضح استمرار أثر العامل الديني على المواقف الأمريكية من إسرائيل والقضية الفلسطينية.

5- الدراسة تقدم قراءة جديدة لأثر الدين في تكوين الثقافة والفكر الأمريكي؛ مما يساعد على فهم أفضل للموقف الأمريكي تجاه إسرائيل والقضية الفلسطينية.

المحتـــــويات

الفصل الثاني

تأصيل العلاقة بين اليهودية والمسيحية وانعكاسها على الفكر الأمريكي (25- 81)

الفصل الثالث

أمريكا والمشروع الصهيوني (1948– 1967) (82– 121)

الفصل التمهيدي
أسباب التحيز الأمريكي لإسرائيل

3.1 تقديم

هناك تساؤلات كثيرة تطرح نفسها على المتتبع للموقف المتحيز لدول أوروبا بوجه عام، وأمريكا وبريطانيا بوجه خاص، حيال الصراع العربي الإسرائيلي. فلا بد وأنّ الكثيرين سألوا أنفسهم عن أسباب هذا التحيز، وعن المكاسب التي تسعى لتحقيقها هذه الدول من وراء هذا التحيز. وسيجد السائل إجابات عديدة على هذا السؤال، من خلال ربط هذا التحيز بالأطماع الاستعمارية لهذه الدول، سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو عسكرية، في هذه المنطقة، هذا بالإضافة إلى ما يقال عن أثر اللوبي الصهيونى فى تشكيل هذه السياسة المتحيزة لإسرائيل والمعادية للعرب (المسيري، 2003-ا، ص 167).

وأعتقد أن هذه الإجابات ليست كافية؛ لتبرير هذا التحيز والعداء التام من قبل هذه الدول - وبخاصة إنجلترا وأمريكا- وسبب عدم كفاية هذا التبرير هو أن هذا الموقف المتحيز ليس من قبيل التحيز المرحلي الذى يتغير حسب سير المصالح وتغيرها، فيكون متحيزاً لأحد الأطراف عندما يجد أن مصالحه وأطماعه تتطلب ذلك. ولكن هذا التحيز - كما ستبين الدراسة - مبني على أساس عامل مهم جداً يجعل منه موقفاً مبدئياً لا يتغير بسهولة.

1.3.1 حقيقة إسرائيل الإمبريالية

عرفت دراسة العلاقه الأمريكية الإسرائيلية، تصورات متباينة ومتصارعة، على المستوى العالمي، والعربي، والإسلامي، وحتى الفلسطيني. وامتد هذا التباين حتى برز في داخل الأطر السياسية نفسها، حيث تناقضت الشعارات حتى في الميدان الواحد، ونما التباين حتى أصبح كمية هائلة تحتاج وحدها إلى بحث وتمحيص. فعلى المستوى العربي والفلسطيني، لم تخرج معظم التحليلات والكتابات، عن اعتبار إسرائيل حاملة طائرات أمريكية في قلب الشرق الأوسط، وأن مهمتها الإمبريالية تكمن في عزل الشرق العربي عن المغرب العربي للحيلولة دون تحقيق الوحدة العربية (إمام، 1971، ص 137)، التي تستولي على إمكانيات اقتصادية وبشرية وجغرافية وسياسية هائلة. فقد ركز الفكر العربي الثوري على حقيقة إسرائيل الإمبريالية، فقال: إن هدفها ضرب الأنظمة الثورية المعادية للإمبريالية في المنطقة العربية (توما، 1982، ص 73). والمثقفون العرب من ناحيتهم، حصروا إسرائيل في كونها كياناً استيطانياً عنصرياً

مفرزاً عن العالمية الرأسمالية (انظر: الخولي،1988). أما الإسلاميون فلم يخرجوا في تحليلاتهم عن هذا وذاك، واعتبروا إسرائيل أداة في يد الاستعمار لضرب الصحوة الإسلامية، والحيلولة دون نشوء أي حكم إسلامي (انظر:الخالدي، 1998، المقادمه، 1994) وقد نسي هؤلاء جميعا عدة حقائق منها:

1. إن قضية فلسطين بدأت قبل وجود أي نظام عربي ثوري، وقبل ظهور الحركات الإسلامية المعروفة وحتى قبل استقلال الدول العربية نفسها.

2. إن الدول الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي كانت من أوائل الدول التي اعترفت بإسرائيل عند نشأتها، وكانت من أوائل الدول التي فتحت أبواب الهجرة على مصراعيه أمام اليهود.

3. إنّ الإمبريالية الأمريكية تمتلك العديد من القواعد العسكرية والتواجد المباشر وغير المباشر في كثير من الدول العربية، ولكن ذلك لم يحد من تأييدها لإسرائيل.

من هنا فإن الحديث عن الإمبريالية والثورية والوحدة العربية يصبح حديثاً مبتوراً لا معنى له، كما أن الحديث عن دور اللوبي الصهيوني والصوت الانتخابي اليهودي في تشكيل هذه السياسة أمر مبالغ فيه كما سنوضح.

2.3.1 حساب المصالح

بالرغم من أن تحيز الدول الغربية وأمريكا إلى جانب إسرائيل يحقق لها أهدافاً ومصالح كثيرة ويبقى على أطماعها التوسعية حية في المنطقة العربية، إلاً أنه وفي نفس الوقت يضع مصالحها في خطر كبير؛ لأنه يزيد من حجم العداء لها في المنطقة العربية والإسلامية، بالإضافة إلى أنه يدفع الدول العربية إلى اللجوء إلى دول أو أحلاف معادية لأمريكا وحلفائها، كما كان الحال قبل انهيار المعسكر الشرقي.(الطويل، 1997، ص 17) كما أن موقع إسرائيل في المنطقة العربية لا يكفي لتفسير التحيز الأميركي. فقد كانت إسرائيل دائما مصدر حرج للنفوذ الأميركي في المنطقة العربية، أكثر من كونها مصدر دعم، إضافة إلى أن بعض الحكام العرب أغنوا أميركا عن إسرائيل في هذا المضمار.

ومهما حاولنا أن نتكلم عن الأهداف التي تسعى أمريكا وحلفاؤها إلى تحقيقها من خلال تحيزها إلى جانب إسرائيل، فإن هذا التحيز بحساب المصالح يعد خاسراً وفيه مغامرة كبيرة لا تحمد عقباها على هذه الدول. يقول المسيري: "فنحن إذا حكمنا العقل ودرسنا الواقع بشكل موضوعي لتوصلنا إلى أنه ليس من

صالح الولايات المتحدة الأمريكية أن تدخل في معركة مع الشعب العربي" (المسيرى،1998، ص252). فأمريكا وحلفاؤها يمكنهم أن يبقوا على مصالحهم، بل ويزيدونها من خلال وقوفهم موقفاً عادلاً، وليس متحيزاً حيال الصراع العربي الإسرائيلي. فما دامت هذه المصالح مصانة إلى حد كبير بالرغم من وجود هذا التحيز لإسرائيل، فإنها ستكون مصانة أكثر لو أن هذا الموقف تغير لصالح القضية العربية. فالتاريخ لم يشهد محاولة دولة معينة الحفاظ على مصالحها في منطقة معينة عن طريق معاداتها لدول هذه المنطقة، أو التحيز لمن يعاديها. فأي دولة تريد الحفاظ على مصالحها في منطقة معينة، تسعى بكل الوسائل إلى تعزيز روابطها بدول هذه المنطقة، وتحاول بقدر المستطاع الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يعكر صفو هذه الروابط، حتى لا ينعكس ذلك سلباً على مصالحها.

لهذا فإنّ حساب المصالح هذا دفع كثيراً من الدول الأوربية إلى تغيير سياستها حيال الصراع العربي الإسرائيلي، بحيث أصبح هذا الموقف أكثر اعتدالاً ومعقولية من ذي قبل (فرنسا، ألمانيا، بلجيكا وإيطاليا على سبيل المثال)، كما أن هذه الدول تحاول قدر المستطاع الابتعاد عن كل ما يمكن أن يؤثر سلباً على علاقاتها مع الدول العربية. ولكن الموقف البريطاني والأمريكي بالذات بقي كما هو عليه، بل ازداد في تحيزه ودعمه لإسرائيل، وأصبح موقفاً استفزازيا وعدائياً أكثر من أي وقت مضى. ففي أعقاب كل عدوان إسرائيلي على الأمة العربية والشعب الفلسطيني، تجد إسرائيل مكافأة أمريكية تنتظرها، ابتداءً من صفقات الأسلحة المتطورة والمعونات الاقتصادية الضخمة، وانتهاء باستخدام حق الفيتو ضد أي قرار يكون في غير صالح إسرائيل(غرين، 1992، ص223).

فأي مصلحة اقتصادية أو عسكرية أو سياسية ستعود على أمريكا من خلال حديثها المتكرر عن عزمها نقل سفارتها إلى القدس الشريف، بالرغم من إدراك صانعي القرار في أمريكا بالمكانة الخاصة للقدس في قلوب ملايين العرب والمسلمين والمسيحيين ..؟ بالطبع لا توجد أي مصلحة من هذا النوع، حيث إن هذا القرار كغيره من القرارات الأمريكية المختلفة سيلحق ضرراً كبيراً بالمصالح الأمريكية ليس في العالم العربي فحسب، بل في العالم الإسلامي أيضاً عاجلاً أم أجلاً. ويكفى أن نعلم أن العلاقة الخاصة مع إسرائيل، "كلفت الولايات المتحدة 91.82 بليون دولار نقداً. أما إذا أضيف إلى ذلك الكلفة غير المباشرة مثل تسهيلات القروض وإلغائها، وما دفع الاقتصاد الأميركي لشراء نفط عالي السعر بسبب الصراع، أو خلال مراحل المقاطعة، أو مستتبعات الحروب العربية الإسرائيلية وغير ذلك، فإن (سعر) العلاقة الخاصة يصل إلى 1.6 تريليون دولار" (عاروري،2003)

كل هذا يجعلنا نفترض أن حساب المصالح كما نفهمه ليس هو المؤثر الوحيد في هذا التحيز، بل لا بد من البحث في عوامل أخرى يمكن أن تبرر هذا التحيز من قبل أمريكا وإنجلترا بالذات، لصالح إسرائيل التي يمكن أن تجعلنا نتعرف إلى السر في أن بريطانيا وأمريكا من دون دول العالم هما اللتان جعلتا تحقيق الحلم الصهيوني في أرض فلسطين حقيقة واقعة (الشريف، 1985، ص12). فبفضل وعد بلفور والانتداب البريطاني على فلسطين، استطاع اليهود إقامة دولتهم، وبفضل الدعم الأمريكي المتواصل، استطاعت إسرائيل بناء نفسها والتصدي لكافة الأخطار التي واجهتها. فما هو السر في ذلك ؟! هل يعود ذلك إلى نفوذ اللوبي الصهيوني وأثر الصوت اليهودي في الانتخابات، أم إلى أمر آخر؟

3.3.1 اللوبي الصهيوني

أحد أهم المفاهيم وأخطرها التي أقامت الحواجز الكثيفة طويلاً بين الحقيقة العارية للمخططات الأمريكية في منطقتنا، وبين فهم الشعوب العربية لهذه المخططات واستيعابها، هو القول أن الصهيونية العالمية وجماعات الضغط (اللوبي) الصهيوني في أمريكا هي التي تشكل وتحدد السياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية، وأن صانع القرار الأمريكي هو صانع ثانوي. وقد روج عدد ليس بالقليل من المفكرين والساسة العرب لمقولة أن المؤسسات الصهيونية تلك قد نجحت في توجيه السياسة الأمريكية وتوظيفها لتأييد مشروعها الاستيطاني وتثبيته وتوسعته، وكذلك قدرتها على التأثير الكبير في الانتخابات الأمريكية ومن ثمّ تحديد سياسة تلك المؤسسات – رغماً عنها – في إتجاه تحقيق التأييد والدعم لإسرائيل، والكراهية والعداء للعرب. ويخلص هذا المفهوم إلى أن الولايات المتحدة كانت ولا تزال دمية تحركها جماعات الضغط الصهيوني (اللجنة المصرية، 2003، تموز/يوليو)

ولو راجعنا ظهور المنظمات اليهودية في أمريكا فإننا سنلاحظ أنها نشأت في غالبيتها في خمسينيات القرن الماضي (عناية،2001، ص 31)، في حين كان " هناك عدد كبير من رؤساء الجمهورية في الولايات المتحدة ممن دعوا لإنشاء دولة يهودية في فلسطين، حتى قبل أن توجد جماعة يهودية ذات وزن من الناحية العددية والنوعية. .. وحينما أعلنت دولة إسرائيل عام 1948 اعترفت الولايات المتحدة بها فوراً، ولم يكن اللوبي الصهيوني قوياً أخطبوطياً بعد " (المسيرى،1998، ص261، 262). والمهم هنا أن هذه المنظمات التى يعزى لها ممارسة الضغط على صناع القرار في أمريكا، لم يكن لها يد في أهم مرحله من مراحل تأسيس المشروع الصهيوني، بل لم تكن قد ظهرت إلى الوجود، وهنا كيف يمكن لنا تفسير الدعم الكبير الذى تلقته الدولة الوليدة من أمريكا وحلفاؤها؟. للأسف إن تفسير ذلك تم من خلال الفهم الخاطئ لطبيعة العلاقة بين أمريكا وإسرائيل، حيث لا يزال كثير من محللينا ومثقفينا يحاولون، بل

ويصرون على إظهار اليهود كنموذج فريد لمجموعة ناجحة في كل مجالات الحياة، تستطيع التأثير على صناع القرار في أمريكا من خلال سيطرتهم على وسائل الإعلام والاقتصاد(انظر: فريج، 1999)، ومن خلال ما يلجؤون إليه من وسائل ضغط على صناع القرار في أمريكا، هذا بالإضافة إلى ما يقال عما يتميز به اليهود والزعماء الصهاينة من عبقرية ودهاء واستغلال للفرص، أمثال هرتزل، ووايزمان، وسوكولوف وغيرهم؛ لذلك فإنّ هؤلاء المحللين يعزون صدور وعد بلفور إلى حاييم وايزمان وطاقاته الجبارة وتصميمه وإخلاصه ومواهبه السياسية والعلمية، كما يعزون نجاح الحركة الصهيونية في أمريكا إلى اللوبي الصهيوني القوى، وما يتمتع به من تنظيم، وما يملك من وسائل للضغط على الرؤساء الأمريكيين (الشريف، 1985، ص11).

ولاشك أن سيادة هذا المفهوم في الرأي العام العربي هو –على أقل تقدير – أمر نافع لمؤسسات الحكم الأمريكية، التى تروج لمثل هذه المزاعم عن اللوبي الصهيوني؛ للإيحاء بأنها ترغب في اتخاذ مواقف أكثر اعتدالاً تجاه القضايا العربية، ولكنها لا تستطيع ذلك؛ بسبب اللوبي الصهيوني، "وبذا يصبح الدعم الأمريكي السخي والمستمر لإسرائيل أمراً يتم رغم إرادة الولايات المتحدة وضد رغبتها، وتصبح هذه القوة العظمى الباطشه مجرد ضحية للنفوذ اليهودي، وألعوبة في يد الصهيونية التي لا تقهر. وهو يحسن صورتها أمام زبائنها العرب (المسيرى،1998، ص279). ويوفر لها هامشاً من البراءة المغلوبة على أمرها، ويلقى بتبعاته السياسية، لتشويش الفكر السياسي العربي ليحرفه بعيداً، عن طريق المواجهة مع أمريكا على النحو الآتي:

1- إذا كانت جماعات الضغط الصهيوني تحدد للسياسة الأمريكية في المنطقة العربية، على أرضية أن لدى دولة إسرائيل، إمكانية أفضل من العرب؛ لتحقيق المصالح الأمريكية في المنطقة، فهذا أمرٌ يمكن تبديله على أي حال لصالح العرب انطلاقاً من نفس الأرضية التي تنطلق منها تلك الجماعات (اللوبي)، أي خدمة المصالح الأمريكية في المنطقة.

2- الاعتقاد أن الصراع مع الولايات المتحدة التي تُظهر فيه عداءها السافر للمصالح العربية هو دائماً، صراع عارض وليس صراعاً مقيماً، لا يجيد فيه الطرف العربي إدارة اللعبة !.

3- من هنا فالحل يكون في إضعاف تأثير مؤسسات الصهيونية في السياسة الأمريكية تجاه العرب، وهو ينطلق من اتباع حزمة من السياسات المترابطة فيما بينها هي :

أ) العمل الدؤوب – دون حد أقصى – لاستمالة الولايات المتحدة إلى الصف العربي انطلاقاً من تعاظم مصالحها معنا وليس مع إسرائيل .

ب) اعتماد إستراتيجية (خيار الشراكة) مع أمريكا و (خيار السلام) مع إسرائيل كأساس لترضية خواطر الولايات المتحدة، وإنهاء هذا الالتباس التاريخي الذي جعل سياساتها تتخبط في المنطقة من جراء الغمامة الصهيونية التي ترتديها .

جـ) الإقرار دائماً بأن أوراق اللعبة (أوراق الصراع بيننا وبين إسرائيل) تملكها وحدها الولايات المتحدة، واعتمادها طرفاً محايداً فاصلاً في هذا الصراع .

د) تكثيف الجهود؛ لتشكيل وتفعيل اللوبي العربي في الولايات المتحدة؛ لقطع الطريق على اللوبي الصهيوني للانفراد بالقرار الأمريكي لصالحة. (أبو خليل، 2009، 27، ايلول، سبتمبر).

وهكذا نرى كيف أن حلفاء أمريكا استخدموا، ولا زالوا، هذا المفهوم الخطر – بوعي وبدون وعي–؛ لتوفير بيئة سياسية مناسبة، لتمرير مشروعات التبعية والاستسلام الكامل لأمريكا، بعيداً عن رفض الشعوب وغضبها. " فالنظم العربية تستفيد من أسطورة اللوبي اليهودي والصهيوني. فهي تبرر الهزيمة العربية؛ إذ تجعلها شيئاً متوقعاً" (المسيرى،1998، ص279). كما تستخدمه؛ ليوفر لهم آخر ورقة توت أمام شعوبهم وهم يطرحون ويمارسون العلاقات الخاصة مع الصديق الأمريكي في ظل عدوانيته ونهبه وتهديده للشعوب العربية. وهكذا فإن اختزال آثام السياسة الأميركيّة بموضوع اللوبي الصهيوني يسهل على الرأي العام العربي قبول تعظيم دوره، ورفع اللوم عن الحكومات العربيّة التى استسهلت عزو فشلها في الدبلوماسيّة إلى نفوذ هذا اللوبي. كما أن هذا التصوير لدور اللوبي الهائل، يساعد الإدارات الأمريكية على الترويج له أمام الزوّار العرب، لتسويغ سياسات التبنيّ المطلق لإسرائيل وحروبها. أي أن التعظيم والمبالغة في دور اللوبي يساعدان الإدارات الأميركيّة في تعاطيها مع الحكّام العرب وفي مطالبها؛ لتقديم المزيد من التنازل لإسرائيل. وهكذا تحولت دراسة اللوبي الصهيوني في الإعلام وفي بعض الأكاديميات العربيّة إلى نوع من الكاريكاتور أو التحليل الهزلي (أبو خليل، 2009، 27، أيلول، سبتمبر).

4.3.1 مفهوم اللوبي الصهيوني بين التضخيم والحقيقة

بالرغم من أن قضية التأثير اليهودي في صنع أو عدم صنع السياسة الأمريكية في الشرق الاوسط، يكثر الحديث عنها في مناسبات مختلفة "إلا أن قلة ما كتب عنها يدعو إلى الدهشة. فغالبية المعلقين تجدهم يحومون حول آثار الصوت اليهودي وحول الأموال اليهودية في السياسة الأمريكية .. والقليل الذي كتب حول اللوبي اليهودي ردئ أو متحيز.. إلى الحد الذي يجعله غير جدير بالمطالعة" (تيفن، 1998

ص 6). فتضخيم نفوذ اللوبي الصهيوني وجعله وكأنه يحكم أمريكا شيء مبالغ فيه جداً، إلاّ إذا حاولنا فهم هذا النفوذ على أساس أن هذا اللوبي يعمل في بيئة سياسية وثقافية ملائمة إلى أقصى الحدود للأفكار الصهيونية، التي تلقى الدعم المادي والمعنوي على المستويين الشعبي والحكومي. "فاللوبي الإسرائيلي يعتمد على تأييد الجماعات غير اليهودية. ويعمل على تكوين تحالفات مع قطاعات عريضة من المجتمع الأمريكي. وحقق هذا اللوبي نجاحاً مشهوداً في ضم اتحادات وفنانين ورجال دين وباحثين وزعماء من السود إلى صفوفهم، وتسمح هذه التحالفات للوبي ببلورة إجماع شعبي عريض لسياسة موالية لإسرائيل"(كيجلي، 2004، 114).

كما أن المال اليهودي في الانتخابات لا يصلح تفسيراً للإجماع السياسي الذي يحظى به دعم إسرائيل في أمريكا، إضافة إلى أن في أميركا من أهل الثراء غير اليهود ما يكفي؛ لمعادلة المال اليهودي، "فحجم رأس المال الذي يتحكم فيه أعضاء الجماعت اليهودية يشكل نسبة ضئيلة للغاية بالنسبة لرأس المال الكلي للولايات المتحدة" (المسيرى،1998، ص266). كما أن الإعلام اليهودي لا يكفي تفسيراً لانحياز شعبي كامل يبلغ درجة الاعتقاد، في بلد فيه من التعددية الإعلامية وحرية الكلمة ما يكفي لبلورة رأي مخالف لو كان له أنصار؛ ولهذا فإن تضخيم دور الزعماء الصهاينة أمثال هرتزل ووايزمان وغيرهم، وجعلهم وكأنهم بذلوا جهوداً خارقة وفوق العادة للحصول على مطالبهم، أمر عارٍ عن الصحة. فالأفكار الصهيونية كانت موجودة قبل ظهور الحركة الصهيونية بفترة طويلة، وتبناها أشخاص أوروبيون وأمريكان في وقت كان فيه اليهود يرفضون ويحاربون من يفكر بهذه الأمور. وسيتضح لنا هذا الأمر بصورة جلية عند حديثنا عن الحركة الصهيونية والظروف التي ظهرت بها.

> "الحديث عن عبقرية اليهود والقول بأنهم عباقرة بطبيعتهم، يتطلب منا أن نعود إلى التقاليد الحضارية والظروف التاريخية التي شكلت فكر ووجدان كل من موسى بن ميمون، وفرويد، وإنيشتين وغيرهم. وإلا فلماذا لم يظهر علماء طبيعة متفوقون تفوق أينشتاين بين يهود الفلاشا؟ إن فرويد وماركس وكافكا ومعظم عباقرة اليهود قد حققوا إبداعهم عن طريق الانسلاخ الفعلي أو المجازي عن موروثهم اليهودي، وعن طريق الانخراط في الحضارة العلمانية الغربية الحديثة"(المسيري، 2003–ب)

من هنا يجب بداية تحديد المصطلحات، فاللوبي الصهيوني في أميركا هو لوبي صهيوني مسيحي أولاً، وليس يهوديّاً. فالانحياز لإسرائيل يتغلغل في المجتمع الأمريكي؛ لأسباب ثقافية ولاهوتية (هلال، 2001، ص15). وإذا كان هناك يهود يدعمون هدف تحرير فلسطين بصرف النظر عن عددهم، فهناك صهاينة من المسيحيّين يلعبون دوراً بالغ الأهميّة في تقرير السياسة الأمريكية نحو الشرق الأوسط، أي أن

اللوبي هو لوبي صهيوني يضمّ في صفوفه أفراداً وشخصيّات وحركات لا تنحصر فقط في الطوائف والمنظمّات اليهوديّة، بل تأثيره القوي كان بفضل المسيحيين الصهاينة، في الدول التى انتشر فيها المذهب البروتستانتى مثل بريطانيا وأمريكا وهولندا وغيرها، الذين عملوا منذ أكثر من أربعة قرون على تحقيق الأهداف الصهيونية، وبذلوا جهوداً جبارة في سبيل ذلك. وبفضل تأثير هؤلاء فقط يمكن الحديث عن لوبي صهيوني يؤثر في السياسة الدولية" (أبو خليل، 2009، 27، ايلول، سبتمبر).

5.3.1 الصوت الانتخابي اليهودي

بالمثل فإن تضخيم دور الصوت الانتخابي اليهودي في الانتخابات الأمريكية أمر مبالغ فيه ويناقض الواقع "نعم إن الجالية اليهودية نشطة ولها تأثير، ولكن القول بأنها تحكم أمريكا ليس صحيحاً. فلم يحدث أبداً أن كان الرئيس أو نائب الرئيس يهودياً ونسبة اليهود في الكونغرس لا تزيد إلا قليلاً عن نسبة اليهود في أمريكا أي 3.2% " (ريتش،1990، ص 166)، حيث يبلغ تعدادهم حوالي 6 ملايين نسمه تقريباً، أي أن أصواتهم الانتخابية لا تتعدى 3.2 % من نسبة الأصوات الانتخابية في أمريكا، وهذه النسبة ليست بالنسبة الكبيرة والتي تمكن اليهود من التأثير على سير الانتخابات. ولو كان لهذه النسبة أي تأثير لكان للمسلمين والعرب في أمريكا أثر في تشكيل السياسة الأمريكية؛ لأن تعدادهم يزيد عن تعداد اليهود هناك، حيث يبلغ 10 مليون عربي ومسلم. (انظر: حمدان، 2000، ص132).

كما أن الصوت اليهودي ليس موحدا بالطريقة التي يتخيلها بعضهم، بل فيه تعدد وتباين واختلاف، والتحيز لإسرائيل أعمق وأرسخ في بعض الولايات التي لا تكاد توجد بها جالية يهودية أصلاً. وقد افتخرت صحيفة جيروسالم بوست بتاريخ 27-تشرين أول، اكتوبر-2002، بأن "ولاية "مينوساتا" الأميركية يمثلها يهودي دائماً في مجلس الشيوخ منذ عام 1978م رغم أن عدد اليهود بها لا يتجاوز 1%. وكل ذلك يدل على أن الصوت اليهودي ليس أهم عامل هنا، حيث إن السود يشكلون نسبة كبيرة من السكان، وبالرغم من ذلك لم نسمع عن أي أثر لأصواتهم الانتخابية، ولم نسمع عن أي رئيس أمريكي سعى لاسترضائهم كما يفعل مع اليهود، إذاً فالقضية ليست قضية صوت انتخابي فحسب..!

6.3.1 تضخيم غير واقعى لقوة اليهود

"يمكننا القول بأن تضخيم قوة اللوبي والإعلام الصهيوني، وجعلهما مسئولين عن كل ما يحدث في الغرب هي أسطورة .. وهي امتداد للرؤية التآمرية الاختزالية البروتوكولية (نسبة إلى بروتوكولات حكماء صهيون)" (المسيرى،1998، ص278). فهذا التضخيم لأثر الصوت الانتخابي اليهودي ولأثر اللوبي

الصهيوني في تشكيل السياسة الخارجية لأمريكا شيء مبالغ فيه وعارٍ عن الصحة. فما كان من الممكن أن يكون للصوت اليهودي واللوبي الصهيوني هذا التأثير لولا وجود عامل مهم ـ غائب عن تحليلات معظم السياسيين . يجعل الأمريكيين بعامة، والسياسيين بخاصة يرضخون، بل يتبنون الأفكار الصهيونية. وفي هذه الدراسة سنحاول البحث عن هذا العامل في مضمون التراث الديني لدى المسيحيين في أمريكا، والذي كان له الدور الأساسي في كسب التعاطف مع الحركة الصهيونية وبرنامجها الاستيطاني في فلسطين.

في كلمة ألقاها بنيامين نتنياهو أثناء صلاة الصباح التي يقيمها المسيحيون الأمريكيون لإسرائيل، في مستهل شباط، فبراير 1985م عندما كان سفيراً لإسرائيل لدى الأمم المتحدة، أشاد نتنياهو "بالزمالة التاريخية بين المسيحيين المؤمنين واليهود؛ لأن هذه الزمالة عملت بنجاح على تحقيق الحلم الصهيوني". وفي كلمته تعجب نتنياهو كثيراً من جهل أولئك الذين يجدون مدعاة للدهشة فيما يقدمه المسيحيون الأمريكيون الإنجيليون من تأييد قوى وراسخ لإسرائيل ويصورونه كظاهرة جديدة، حيث قال:

> "فأولئك الذين يعرفون التاريخ الحقيقي للانخراط المسيحي العميق في الحركة الصهيونية، لا يجدون أي مدعاة لأية دهشة أو تساؤل بشأن الدعم القوي الذي يقدمه لإسرائيل كل المسيحيين المؤمنين في العالم، والذي جعل الكتاب والقساوسة والصحفيين ورجال الدولة – بريطانيين وأمريكيين – دعاة متحمسين لإعادة اليهود إلى وطنهم، حيث لم تكن هذه الصهيونية المسيحية قاصرة على الدعوة أو المثاليات بل امتدت إلى الخطوات العملية اللازمة لتحقيق ذلك الذي كان حلماً" (نقلاً عن: الطويل، 2009، ص13)

هذا ما قاله نتنياهو قبل أكثر من 26 عاماً، عندما كان سفيراً لبلاده في الأمم المتحدة، وها هو الآن يترأس الحكومة الإسرائيلية الأكثر تطرفاً وسعياً إلى التوسع، بل وأيضاً الأكثر إدراكاً ووعياً لحقيقة الموقف الأمريكي الرسمي والشعبي من الصراع الدائر في المنطقة. فنتنياهو تربى وتعلم وعمل في أمريكا، وتعرف عن قرب على التيار المسيحي الداعم لإسرائيل، وسعيه لتحقيق المشروع الصهيوني بكامله (نتنياهو، 1996، ص27)، انطلاقاً من إيمانه بنبوءات توراتية تعتبر إقامة إسرائيل وعودة اليهود إليها وبناء الهيكل مقدمات ضرورية لعودة المسيح الثانية، وبداية العصر الألفي السعيد ليحكم المسيح العالم من مقره في القدس!! ولإدراك نتنياهو لهذه الحقائق فقد حرص خلال عمله في أمريكا وبعد توليه الوزارة على التقرب من هذا التيار والاجتماع بزعمائه ومؤيديه؛ لكسب دعمهم وتأييدهم.

> "إن قصة دور اللوبي المتعاطف مع إسرائيل في النظام السياسي الأمريكي قصه أمريكية تماماً وأمريكية في الواقع .. وهى قصة كانت قد بدأت قبل قيام إسرائيل بزمن بعيد، يوم كان إنشاء دولة يهودية حلماً غريباً

يراود نفراً من محركي السياسة الأوربية في القرن التاسع عشر. وأغرب ما في الأمر أن هذا الحلم لم يكن يحظى إلا بتأييد قليل من يهود أمريكا.. فقبل أن توجد إسرائيل كدولة، وجدت كلوبي سياسي أولاُ في عواصم أوروبا ثم في واشنطن" (تيفن، 1998 ص 9،11).

من هنا سنحاول البحث عن سبب آخر يمكن أن يوضح لنا حقيقة وجود إسرائيل في المنطقة العربية، والقوى التي تقف وراءه، ودوافعها؛ لذلك .. فلا يزال للحديث عن قضية فلسطين سبيل وسعة، فهناك معالم لابد من جلائها وتأكيدها على الدرب الممتد إلى فلسطين ... كل فلسطين. وأول خطوة نود أن نؤكدها هنا، هي ضرورة توحيد التصور الفكري لقضية فلسطين: طبيعتها.. القوى التي تقف وراء نشوئها، دوافعها وأهدافها. وإذا استطعنا أن نصل إلى هذا التصور فإن علاج هذه القضية وتداعياتها سيكون أمراً سهلاً... فبدون معرفة الداء لا يمكن وصف الدواء.(الطويل، 1997، ص15). وتركيزنا على العامل الديني لا يعني إغفال أهمية العوامل الأخرى، لأن تفسير أية ظاهرة وبالذات في مجال العلوم الإنسانية، يستحيل أن ينحصر في عامل أو مؤثر واحد فقط، ولكن التركيز على العامل الديني في الدراسة، يهدف لبيان أهميته الكبيرة في رسم السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل والمنطقة العربية.

الفصل الثاني
تأصيل العلاقة بين اليهودية والمسيحية
وانعكاسها على الفكر الأمريكي

1.2 تقديم

أظهر القرن الخامس عشر الميلادي تحولات عميقة في النفس المسيحية. الغربية على الأقل . مع بزوغ ما عرف بحركة الإصلاح الديني، وما استتبعه ذلك من انشقاق سياسي وعقائدي داخل الديانة المسيحية بشكل عام، والكاثوليكية الغربية بشكل خاص (هلال، 2004، ص63)، حيث ترك هذا الانشقاق آثاراً بعيدة على الديانة اليهودية، وعلى مسقبل اليهود في العالم، بعد أن تهود جزء من المسيحية؛ ليسكن أجزاء من أوروبا ويستوطن أمريكا؛ لتصبح هذه المسيحية صهيونية قبل ظهور الصهيونية، ولتمارس لاهوت الاستيطان العبري على السكان الأصليين لأمريكا، كمقدمة لإحيائه من جديد على أرض فلسطين، انطلاقاً من أيمان حرفي بكل ما ورد في التوراة، من نبوءات؛ ليدفع شعب فلسطين ثمناً غالياً لهذا الورع الزائد لهؤلاء، الذين يريدون تأسيس مملكه للمسيح على أنقاض شعب فلسطين، بعد أن أسسوا على أشلاء سكان أمريكا الأصليين، إسرائيل الجديدة. إنّ تأصيل العلاقة الجديدة بين اليهودية والمسيحية، يعتبر في اعتقادنا لب الدراسة وروحها، لأنّ الحديث عن دور الدين في توجيه السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل سيعتبر كلام بدون معنى أو دليل؛ ولذلك عمدنا إلى إعطاء هذا الفصل أهمية خاصة لتوضيح كيف انعكست التحولات اللاهوتية داخل المسيحية على اليهود ومستقبلهم، هذا بالاضافه إلى تأصيل دور الدين في نشأة أمريكا، وأثره على منظومة القيم والأفكار فيها.

2.2 المبحث الأول : اليهود في التراث الديني المسيحي

من المعروف أن التراث الديني في أمريكا، يستمد أصوله من المذهب البروتستانتي، الذي نشأ مع حركة الإصلاح الديني، التي قادها مارتن لوثر في القرن السادس عشر ضد الكنيسة الكاثوليكية في روما. ولسنا هنا بصدد بحث تفصيلي لمبادئ هذا المذهب، بقدر ما سنحاول إبراز التغيير الجوهري الذي أحدثه فى تفكير أتباعه حيال اليهود (ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم) الذي ساعد كثيراً في تعاطفهم مع اليهود وسعيهم؛ لتحقيق آمالهم في العودة إلى أرض فلسطين، قبل ظهور الحركة الصهيونية باربعة قرون (الطويل، 1997، ص21). فقد أحدثت حركة الإصلاح الديني تغييراً جوهرياً فى موقفها من اليهود، بحيث

تولدت عن هذا الموقف نظرة جديدة للماضي والحاضر والمستقبل اليهودي، وكانت المبادئ التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني مغايرة تماماً للمبادئ الكاثوليكية والأرثوذكسية في موقفها من اليهود، ولذلك يصف بعضهم هذه الحركة بأنها ساهمت في بعث اليهود من جديد.

1.2.2 موقف الكنيسة الأرثوذكسية من اليهود:

الأرثوذكس هم أتباع الكنيسة الشرقية التي كان مقرها في القسطنطينية، حيث ينتشر أتباعها في البلاد العربية واليونان وروسيا والبلقان. "وقد انفصلت هذه الكنيسة عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولا ديوس بطريرك القسطنطينية في عام 1054م، وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس متفرقة". وأسباب انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية "يرجع إلى تساهل كنيسة روما الكاثوليكية – لتجذب لها الجرمان واللادينيين – فأحلت لهم أكل الدم المخنوق، وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير وغير ذلك من الأمور التي لم تقبلها الكنائس الشرقية"(شلبي، 1986، ص 239:240). ويمكن إجمال أسباب الانفصال في سبب واحد وهو الخلاف بين الروح الشرقية التي تميل إلى التوحيد والروح الغربية التي تميل إلى التعدد"وهذا يتيح لنا أن ندرك سبب الاستجابة السريعة إلى الإسلام من قبل الأريوسيين الذين وجدوا في الإسلام صدى لعقيدتهم. والتوحيد في الإسلام كما هو لدى أريوس يرفض فكرة التثليث (الاقانيم الثلاثة) التي صيغت بمنطق الثقافة اليونانية في مجمع نيقية" (عاشور، 1976، ص 4).

والكنيسة الأرثوذكسية تتخذ موقفاً مناهضاً للصهيونية المسيحية على قاعدة الدفاع عن العقيدة المسيحية في الدرجة الأولى، مستندةً في ذلك على أسسٍ ذات طابع عقائدي. يقول القس الدكتور جورج عطية في محاضرة ألقاها بأبرشية طرطوس للروم الأرثوذكس: "إن المسيحية لم تعرف لا بشرقها ولا بغربها وعلى مدى قرونها كلها أي ميل لقبول أي فكرة صهيونية؛ وذلك بسبب التصادم الجذري بين المفهومين لا بل يمكن القول أن المسيح رُفض وصُلب من اليهود، لأنه لم يرد أن يكون صهيونياً فقد حاولوا هم أن يجعلوه ملكاً أرضياً بمفهومهم الصهيوني، فأما هو فلم يرد وقد أظهر بوضوح هذا أثناء محاكمته أمام بيلاطس عندما قال (مملكتي ليست في هذا العالم)" (انتيباس، 2008). ويشرح القس دانيال سويرس من الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا، في مقالة له تطور العقيدة الألفية في العصور الأولى للمسيحية فيقول: إن سفر الرؤيا عندما تحدث عن حكم المسيح الألفي للعالم لم يكن يقصد بذلك ألف عام بالمعنى الحرفي ولكن بالمعنى المطلق أي إلى الأبد. والكنيسة استشعرت خطورة الأفكار الألفية فرفضتها تماماً. ومال لاهوتيو الكنيسة لإعطاء النص المذكور في سفر الرؤيا شكلاً روحياً (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

أما الموقف من الصهيونية المسيحية، والتي تعمل على إدخال أفكار لاهوتية غريبة على الدين المسيحي لأهداف سياسية تصب في مصالح دولة إسرائيل، فقد قوبل بالرفض من كافة الكنائس الأرثوذكسية، ويعكس هذا الموقف بيان مجلس كنائس الشرق الأوسط، في نيسان (أبريل) عام 1986 رداً على موقف الحركات الإنجيلية البروتستانتية الغربية. حيث أدان البيان "سوء استخدام الكتاب المقدس وإثارة المشاعر في محاولة لتبرير خلق دولة ما (إسرائيل)، ولتشريع سياسات حكومة ما (الحكومة الإسرائيلية). وأرفق هذا الموقف بدراسة لاهوتية تاريخية تسفه الصهيونية المسيحية وتؤكد اعتبارها خطراً على المسيحية (السماك، 2000، ص149). وعلى هذا المنوال كتب المطران عطاالله حنا من كنيسة الروم الأرثوذكس في القدس مقالة يشرح خلالها موقف كنيسته من الصهيونية المسيحية قائلاً إن هذا التيار وما ينادي به يناقض المسيحية وأسسها التي تدعو للسلام والمحبة، على عكس الصهيونية المسيحية التي تسعى لهيمنة العنصرية والتمييز العرقي". واستشهد عطاالله بكلمة للبابا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قال فيها إن "هؤلاء احتلوا فلسطين بوعد من بلفور وليس بوعد من الله، وإنهم يتخذون من آيات كتابية يحرفونها ويفسرونها كما يحلو لهم؛ تبريراً لأفكارهم ومواقفهم العنصرية"(حنا، 2003). ويقول القس رياض جرجور: إنه "لا يوجد مكان للصهيونية المسيحية في الشرق الأوسط، ويجب أن تنبذ من قبل الكنيسة العالمية، إنها تشويه خطير وانحراف كبير عن الإيمان المسيحي الحقيقي المتركز في السيد المسيح كما أنها تدافع عن برنامج سياسي قومي يعتبر الجنس اليهودي متفوقاً"(جرجور،2003).

وهذا الوقفة التي وقفها رجال الدين الأرثوذكس وكنائسهم، تعبر في الأساس عن انتماء أصيل لهذه المنطقة، بالإضافة إلى انتماء لا يقل آصاله عن رسالة السيد المسيح التي تخضع الآن للتهويد المنظم على يد اليمين المسيحي المتطرف. أما بالنسبة لموقف المسيحيين العرب، فلا مجال هنا للمس بهم وبمواقفهم المشرفة عبر التاريخ، وبنضالهم في سبيل نصرة قضايا أمتهم العربية وعلى رأسها قضية فلسطين، حيث شاركوا بكل قواهم في التصدي للخطر الصهيوني بدمائهم وأقلامهم، وكانت لها صولات وجولات في فضح الخطر الصهيوني، والتصدي له من خلال كتابات ومواقف كثيرة، ونخص بالذكر هنا موقف الكنيسة القبطية المصرية وعلى رأسها قداسة البابا شنوذة الذي أصدر أوامره إلى أتباعه بعدم زيارة مدينة القدس ما دامت تخضع للاحتلال الإسرائيلي، بالرغم من وجود اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل. فالتعايش المسيحي الإسلامي في عالمنا العربي سيظل شاهداً على التسامح والتعاون المثمر بين الأديان بالرغم من كل المحاولات التي يقوم بها أعداء امتنا العربية من أجل تعكير صفو هذا التعايش الذي جعل اللورد كرومر يقول: إنه لم يلحظ في مصر أي فرق بين مسلم ومسيحي سوى أن الأول يصلي لله في مسجد والثاني يصلي لله في كنيسة" (قلادة، 1986، ص292).

2.2.2 موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود

كان موقف الكنيسة الكاثوليكية، ولازال مع حدوث بعض التغيرات لصالح اليهود- موقفاً متشدداً، حيث كان ينظر إلى اليهود نظرة عدائية؛ بسبب رفضهم الإيمان بدعوة السيد المسيح وكفرهم بها؛ ولذلك وصفهم السيد المسيح أكثر من مرة "بخراف بني إسرائيل الضالة" (إنجيل متى 15: 24) وبغيرها من الأوصاف، كما أن اليهود كانوا يعتبرون مارقين وكفرة و"قتلة المسيح ومعذبوه". وما يعدونه "أرض ميعادهم" خرافة، لا تتفق مع التعاليم المسيحية الكاثوليكية" (النجار، 1986، ص364)؛ ولذلك لم يكن هناك في العقيدة الكاثوليكية التي تلتزم بالتفسير المجازى للإنجيل أدنى فكرة أو احتمال لعودة اليهود إلى فلسطين أو بعث الأمة اليهودية من جديد، لأن هذه الأمة حسب رأيهم انتهى وجودها بظهور دعوة السيد المسيح (الشريف، 1985، ص26)؛ ولهذا كان المسيحيون -جميعهم- قبل عصر الإصلاح الديني يعادون اليهود ويقودون حملات التطهير والإبادة ضدهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. "فمن المعروف تاريخياً أن الصليبيين، عندما احتلوا بيت المقدس، جمعوا يهود المدينة في الكنيس، ثم أحرقوهم فيه إحياء" (السمرة، 1974، ص 10). "وعندما تقدّمت الجيوش المسيحية في اسبانيا نحو الجنوب سنة 1391 م، جرت حملة دامية لإخراج اليهود من شبه الجزيرة الاسبانية"(سوسة، 1972، ص363). وقد حافظت الكنيسة الكاثوليكية -إلى عهد قريب- على موقف ثابت من المسألة اليهودية يقوم على رفض التصالح مع اليهود إلا إذا اعترفوا بالمسيح واعتنقوا المسيحية. كما أنه "لم يكن في الفكر الكاثوليكي، قبل عهد الإصلاح الديني أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين، أو لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية، وكان القساوسة يرفضون التفسير الحرفي للتوراة ويفضلون تفسيرات لاهوتية أخرى وبخاصة المجازية التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسير التوراتي" (الشريف، 1985، ص31)

فرجال الدين الكاثوليك كانوا يعتقدون أن الفقرات الواردة فى العهد القديم التي تتنبأ بعودة اليهود إلى فلسطين وبمستقبل مشرق لإسرائيل لا تنطبق على اليهود، بل على الكنيسة الكاثوليكية مجازاً، لأن اليهود طبقاً للعقيدة الكاثوليكية اقترفوا إثماً، فطردهم الله من فلسطين إلى منفاهم في بابل، وعندما رفضوا دعوة السيد المسيح نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهت علاقة اليهود بأرض فلسطين إلى الأبد. "وقد وضح هذه النقطة بطرك الروم الكاثوليك في دمشق في كتاب له مؤرخ في 17تشرين ثان نوفمبر1977 حيث قال: "إنه يفوت بني قومي إن السيد المسيح نسخ أحكام العهد القديم القومية، فبعد أن لعن سبع لعنات فقهاء العهد القديم (متى، الاصحاح 23) ختم بهذا الحكم المبرم قائلاً: هوذا بيتكم يترك خراباً (متى 23-38) وقد تحققت نبوءة السيد المسيح الذي رفضوه، ولم يبق لهم وعد الله التوراتي بالأرض المقدسة" (دروزة، 1979، ص

6). كما أن بعضهم يرى أن هذه النبوءات تحققت فعلاً، عندما أعادهم الملك الفارسي قورش من منفاهم في بابل في القرن السادس ق.م.، ولذلك فليس هناك أي نبوءة أخرى في العهد القديم تنص على عودتهم ثانية إلى فلسطين.

كما أن الكنيسة الكاثوليكية، لم تكن تعترف بأن اليهود هم شعب الله المختار؛ لأن السيد المسيح حارب بشدة هذه النزعة العنصرية فيهم ودعا اليهود وغيرهم إلى الدخول في ملكوت الله المفتوح أمام جميع الصالحين؛ "لأن الله لايخص أحداً بالرعاية لأسباب ذاتية، فالشمس تسطع على الجميع سواءٍ بسواء" (شلبى، 1986، ص 119). وبالنسبة للعهد القديم (التوراة) فقد كان مهملاً قبل حركة الإصلاح الديني، حيث كان الاعتماد الأساسي على العهد الجديد ورسائل الرسل والإلهامات غير المكتوبة للبابوات، وكانت اللغة العبرية لغة ميتة، حيث كانت الأساطير الكاثوليكية ترى أن دراسة اللغة العبرية تسلية الهراطقة، وأن تعلمها بدعة يهودية (الشريف، 1985، ص27). وفى ظل هذا الموقف من الكنيسة الكاثوليكية لم يكن هناك أي أمل فى إعادة بعث اليهود أو عودتهم لأرض فلسطين من جديد.

3.2.2 موقف الكنيسة الكاثوليكية من الحركة الصهيونية وإسرائيل

كان موقف الكنيسة الكاثوليكية السابق من اليهود أساساً لموقفها من الحركة الصهيونية عشية مؤتمرها الأول عام 1897، حيث جاء فيه: " لقد مر ألف وثمانمائة وسبعة وعشرون سنة على تحقيق نبوءة المسيح، بأن القدس سوف تدمر. أما فيما يتعلق بإعادة بناء القدس بحيث تصبح مركزاً لدولة إسرائيلية، يعاد تكوينها، فيتحتم علينا أن نضيف، أن ذلك يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه، الذي أخبرنا مسبقا بأن القدس سوف تدوسها العامة (جنتيل) حتى نهاية زمن العامة (لوقا 24/21)، أي حتى نهاية الزمن" (السماك، 2000، ص151). وإزاء هذا الموقف الرافض للأفكار الصهيونية من قبل الفاتيكان، قابل هرتزل البابا (بيوس العاشر) عام 1904م، ودخل معه في مناقشات فقال له البابا:

> "إما أن يظل اليهود محتفظين بمعتقدهم ينتظرون مجيء المسيح، والمسيح عندنا جاء وتمت بعثته للبشر. وفي هذه الحالة نعتبر اليهود منكرين للاهوت يسوع المسيح، ولا مجال هنا لمساعدتهم في فلسطين. أو أن يذهبوا إلى فلسطين شعباً بلا دين، وفى هذه الحالة نجد أنفسنا غير مستعدين لمؤازرتهم. ومعلوم أن الدين اليهودي هو أساس ديننا، ولكن الدين اليهودي قد جاءت عليه تعاليم المسيح وحلت محله، ولهذه العلة فليس من الممكن أن نقدم اليوم لليهود من المساعدة أكثر مما فعلنا من قبل، والذين أنكروا المسيح من اليهود، ولم يعترفوا به مازالوا على هذا الإنكار حتى اليوم" (التغلبى، 1999، ص104)

وفي رده على البابا قال هرتزل: "إن النكبات والاضطهادات لم تكن في اعتقادي خير وسيلة لإقناع قومي بما يكرهون". وأمام هذا الرد، ثارت ثائرة البابا واستفزه أسلوب هرتزل، فقال: "إن سيدنا يسوع، أتى إلى هذا العالم ولا قوة له ولا سلاح. فقد جاء فقيراً من حطام الدنيا، وهو لم يضطهد أحداً. وإنما تعرض للاضطهاد وتخلى عنه الناس، وسلطانه على الأرض لم يظهر إلا بعد انقضاء رسالته، ولم يقم للكنيسة كيان إلا بعد مضي ما لا يقل عن ثلاثمائة عام على تأسيسها، وقد كان بوسع اليهود.. أن يقبلوا رسالة المسيح، فلم يقبلوها، ورفضوها وما زالوا يرفضونها حتى هذه الساعة" (التغلبى، 1999، ص104). وبعد سبع سنوات على إعلان هذا الموقف، رفض البابا بيوس العاشر من حيث المبدأ، إقامة وطن يهودي في فلسطين" (الحسن، 2000، ص 56). وبالرغم من ذلك لم يكف الصهاينة عن المحاولة، وبعد صدور وعد بلفور، أوفدت الحركة الصهيونية سوكولوف، لمقابلة البابا بنديكت الخامس عشر، لإقناعه بتأييد الوعد، ولكن البابا حدد موقفه وقال: "لا لسيادة اليهود على الأرض المقدسة " (التغلبي، 1999، ص107). وقد دافعت الصحافة الكاثوليكية في أوروبا وأمريكا عن موقف البابا، ودعت إلى رفض المطالب الصهيونية ومقاومتها لما ستلحقه من دمار على أهالي فلسطين.

كما أن البابا (بنديكت) تلقف التضامن الإسلامي المسيحي العربي في فلسطين ضد وعد بلفور؛ ليجدد رفضه السيادة اليهودية على الأرض المقدسة، معتبراً أن ذلك يهدف إلى "إقصاء المسيحية عن موقعها السابق ووضع اليهود في مكانها" وأضاف: "ولذلك فإننا نهيب بحرارة بجميع المسيحيين بمن فيهم الحكومات غير الكاثوليكية، أن تحث عصبة الأمم على إعادة النظر في الانتداب البريطاني على فلسطين" (السماك، 2000، ص152). وفي 15 مايو 1922، وجه الفاتيكان مذكرة إلى عصبة الأمم تنتقد بشدة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، جاء فيها: "إن الحبر الأعظم لا يعارض في أن يتمتع اليهود في فلسطين بالحقوق المدنية أسوة بغيرهم من أبناء الجنسيات والمعتقدات الأخرى، ولكنه لا يمكن أن يوافق على منح اليهود امتيازات على غيرهم من السكان" (السماك، 2000، ص153) وتجاوباً مع هذا الموقف تحركت الدبلوماسية الفرنسية والإيطالية والبرازيلية (وكلها دول كاثوليكية) في اتجاه تأخير إقرار الانتداب البريطاني على فلسطين في عصبة الأمم إلى أن يعاد النظر في وعد بلفور.

وبرغم انشغال البابوية بالانعكاسات السلبية على الكنيسة الكاثوليكية في الدول الشيوعية، فإن الفاتيكان لم يتراجع عن معارضة تهويد فلسطين خلال الثلاثينيات من القرن العشرين. "ففي يوليو من العام 1937، وفي أعقاب ثورة 1936، ألفت بريطانيا لجنة للتحقيق، أوصت بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، حيث عارضها الفاتيكان، ووجه البابا مذكرة إلى الحكومة البريطانية، "عارض فيها، تقسيم فلسطين، وعارض بصورة أخص وضع المناطق المقدسة بما فيها بحيرة طبريا والناصرة ضمن الجزء المخصص

للدولة اليهودية. وأعرب، عن قلقه الشديد من نتائج مثل هذا التقسيم لفلسطين على المجموعات المسيحية" (السماك، 2000، ص155). وكنتيجة للثورة الفلسطينية والمعارضة الفاتيكانية وما رافقها من توتر دولي، تراجعت الحكومة البريطانية عن مشروع التقسيم؛ ولكن ذلك لم يرق للدوائر الصهيونية التي حاولت الالتفاف على هذا الأمر، بممارسة بعض الضغوط على الفاتيكان "بتجريم البابا بيوس الثاني عشر بتهمة الوقوف مع النازية في الحرب العالمية الثانية، ثم الضغوط الهائلة التي أفضت إلى تبرئة اليهود من دم السيد المسيح" (سحاب، 2003، 17، شباط، فبراير).

وقد عكست الصحف الأمريكية الكاثوليكية (ساين وتابليت) الحملة الفاتيكانية ضد التقسيم، وركزت على أن فلسطين ليست ولن تكون وطناً قومياً لليهود، حيث ظل هذا الموقف من الثوابت الفاتيكانية، حتى إلى ما بعد قبول عضوية إسرائيل في المنظمة الدولية. "ففي 22 حزيران، يونيو عام 1943، ورداً على بيان المنظمات الصهيونية الذي صدر في نيويورك (بيان بلتيمور) في آيار، مايو 1942، وجه المبعوث الفاتيكاني إلى الولايات المتحدة الأسقف (أملتو تشيكونياني) مذكرة إلى الحكومة الأمريكية جدد فيها نداءات البابا (بنديكت الخامس عشر) بمعارضة إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وضمن المذكرة صورة عن مذكرة الكاردينال (غسباري) إلى عصبة الأمم في 4 حزيران، يونيو 1922م والتي جاء فيها: "إذا كانت إقامة وطن يهودي أمراً مرغوباً فيه، فلن يكون من العسير إيجاد مكان مناسب أكثر من فلسطين. إن مشاكل دولية جديدة سوف تترتب على زيادة عدد السكان اليهود هناك، وسيتصدى كاثوليك العالم لهذا الأمر" (السماك، 2000، ص156).

وهكذا احتلت الكنيسة الكاثوليكية، موقعاً أمامياً في التصدي للحركة الصهيونية منذ البداية. فالفاتيكان الذي لم يعترف بإسرائيل إلا عام 1993، وذلك بعد توقيع اتفاقيات أوسلو، أي بعد اعتراف الشرعية الفلسطينية بدولة إسرائيل، ويعارض أهداف الحركة الصهيونية، ويعارض هجرة اليهود إلى فلسطين. ولا ينتقص من دور الفاتيكان في التصدي للحركة الصهيونية، وثيقة التبرئة التي صدرت في عام 1963. "فالمعروف أن البابا (غريغوري الثالث عشر) أصدر حكم الإدانة ضد اليهود في العام 1581م، ولم يرفع هذا الحكم إلا مؤخرا في عام 1960م عندما كلف البابا (يوحنا الثالث والعشرون) الكاردينال (بيا) إعداد مسودة نص مجمعي عن اليهود، يزيل عنهم تهمة قتل المسيح، حيث نشر نص هذه الوثيقة في عام 1963"(جورافسكى، 2000، ص134). وهنا لا بد أن نشير إلى أمر مهم وهو أن صدور هذه الوثيقة لا يشكل تغييراً جوهرياً في نظرة الكنيسة الكاثوليكية لليهود أو تغييراً في العقيدة الكاثوليكية. فالهدف الذي بسببه صدرت الوثيقة، كان لرد الهجوم العنيف الذي تعرضت له الكنيسة الكاثوليكية من الصهيونية وأعوانها، بدعوى أن الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوروبا كان بسبب تلك الإدانة التي صدرت قبل

أربعة قرون. وهنا لا يمكن لأي إنسان عاقل أن يدعي أن تلك الإدانة كانت صحيحة، أو أنها تعتبر جزء جوهري من العقيدة المسيحية. وبالتالي فإن التخلي عنها أو إلغائها لا يعتبر تحولاً كبيراً في نظرة الكاثوليك لليهود وعلاقتهم بإسرائيل. فالوثيقة لم تنكر أن اليهود تآمروا على قتل المسيح، ولكنها تنكر أن يتحمل اليهود كشعب ذنب ذلك، على مر التاريخ.

ومما تقدم يتضح لنا الموقف المتشدد للكنيسة الكاثوليكية من الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل، والذي لم يترك أي أمل في إعادة بعث اليهود، أو عودتهم وتملكهم لأرض فلسطين من جديد، حيث انعكس ذلك على موقف أتباعها في العالم، الذين نجد تعاطفهم مع القضية الفلسطينية واضحاً في البلدان الكاثوليكية في أمريكا اللاتينية وإيطاليا وفرنسا وأسبانيا.. الخ.

4.2.2 موقف البروتستانت من اليهود

عندما ظهر المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر في القرن السادس عشر، قلب هذه الأمور رأساً على عقب، من خلال التغيرات اللاهوتية التي جاء بها، والتي روجت لفكرة أن اليهود أمة مفضلة وأكدت على ضرورة عودتهم إلى فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر وبزوغ فجر العصر الألفي السعيد. وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه التغيرات، هو ما دعا إليه لوثر من وجوب إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصي دون الخضوع لفهم رجال الدين لها (موريسون، 1977، ص59). فأصبح كل بروتستانتي حر في دراسة الكتاب المقدس، وتفسيره واستنتاج معنى النصوص بشكل فردي، مع عدم الاعتراف بأن فهمه وفقاً على رجال الكنيسة وحدهم. وهذا الوضع أدى "إلى فتح الباب على مصراعيه أمام أصحاب البدع والأضاليل؛ مما أدى إلى تعدد الفرق البروتستانتية نفسها حتى وصل عددها الآن إلى أكثر من 200 فرقة في مذهب لم يتعدَّ وجوده أكثر من أربعة قرون" (مظهر، 1984، ص231). كما أنه في ظل هذا المذهب ازداد الاهتمام بالعهد القديم تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدر العقيدة النقية، مع عدم الاعتراف بالإلهامات والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها الباباوات الواحد عن الآخر، التي تعتبر مصدراً مهماً من مصادر العقيدة المسيحية. فقد أولى لوثر الإنجيل اهتماً خاصاً. ففي معرض رده على بعض أنصار البابوية الذين ذهبوا بأن الكنيسة تسمو على الكتاب المقدس قال: لتترك روما لي الإنجيل، وسأتمسك به مقابل كل شيء" (الطعان، بدون، ص 235). وهكذا أصبح العهد القديم يشكل جزءاً مهماً من مصادر العقيدة البروتستانتية، وأصبح هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد، ومصدراً للمعلومات التاريخية أيضاً.

ولما كان العهد القديم (التوراة) يتكون من 39 سفراً –يذهب أغلب الباحثين إلى أنه لا يمكن نسبة إلا خمسة أسفار (تجاوزاً) إلى سيدنا موسى، أما الباقية فهي عبارة عن سجل لتاريخ بني إسرائيل في فلسطين، بالإضافة إلى بعض الأسفار والنبوءات التي كتبها حاخامات اليهود على فترات متفاوتة من الزمن (انظر: تومسون، 2000)، فإنه في ظل هذا الوضع الجديد أصبح العهد القديم مصدراً مهماً للمعلومات التاريخية عند العامة، حيث أقتصر تاريخ فلسطين على القصص المتعلقة بالوجود اليهودي فيها دون غيرها، وأصبحت التوراة المصدر الأساسي الذي يرجع إليه الباحثون في تدوين تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه (سوسة، 1972، ص68)، وبالتالي أصبح البروتستانت مهيئين للاعتقاد بأنه لم يكن في فلسطين إلا الأساطير والقصص التاريخية الواردة فى العهد القديم، وكان يبدو وكأنه لا وجود للشعوب الأخرى التي عاشت في فلسطين. وهكذا رسخت فى أذهان البروتستانت فكرة الرابطة الأبدية بين اليهود وفلسطين باعتبارها وطنهم القومي الذي أخرجوا منه، والذي يجب أن يعودوا إليه طبقاً للنبوءات الواردة فى العهد القديم.

ويمكن القول إن جمع الكتابين (العهد القديم والعهد الجديد) في مجلد واحد هو من التحولات البارزة في عالم الأفكار والأديان، حيث إنه مع عصر النهضة وحركة الإصلاح الديني، أخذت التفسيرات الحرفية والشخصية للعهد القديم تنتشر وتسود، وذهب أتباع هذه الحركة إلى الاقتناع بأن ما ورد في العهد القديم هو نبوءة حرفية عن المستقبل. وخرجت من بطن هذه الحركة وتفسيراتها عقائد عبرت عن المدى الذي وصلت إليه عملية تهويد المسيحية، من بينها العقيدة الألفية.

> "وهى عقيدة تعود في جذورها إلى اليهودية، لكن البروتستانتية أحيتها وجعلتها فكرة مركزية في عقيدتها، وتدور حول عودة المسيح المخلص الذي سيحكم العالم لمدة ألف عام؛ حيث يسود خلالها السلام والعدل في مجتمع الإنسان والحيوان. وعلى الرغم من أن العهد القديم لم يذكر نصاً حول هذه العقيدة التي تتحدث عن نهاية الأزمنة، فإن عناصر يهودية روجت لها، تعبيراً عن تطلع يهودي لفكرة الملك المقدس، الذي يأتي علي هيئة ماشيح عبراني، في حين رأت المسيحية التقليدية في هذه العقيدة نوعاً من الهرطقة والكفر، واعتبرت الكنيسة الكاثوليكية هي مملكة المسيح" (الحسن، 2003، 9 آذار).

كما أن حركة الإصلاح الديني أعطت وزناً كبيراً للغة العبرية باعتبارها اللغة الأصلية للكتاب المقدس. فلكي يفهم المؤمنون كلمة الله بشكل صحيح لا بد لهم من معرفة اللغة الأصلية التي كتب بها، وبالتالي أصبح العلماء والمصلحون والعامة منكبين على دراسة اللغة العبرية وتعلمها (السماك، 2000، ص35). وفي عام 1523 كتب لوثر كتاباً عنوانه: "المسيح ولد يهوديا" قدم فيه رؤية تأصيلية للعلاقات اليهودية

المسيحية من منظور مغاير تماماً؛ لما اعتاده المسيحيون من قبل، فكان مما قال في كتابه: "إنَّ الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إنَّ اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل من فتات مائدة أسيادها" (هلال، 2001، ص63). وهكذا يمكننا تقدير الخدمة التي قدمها لوثر لليهود، حيث أعاد بعثهم من جديد وأكد على وجوب عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر؛ ولهذا فإن الكنيسة الكاثوليكية كانت تصفه (بأنه يهودي أو نصف يهودي– متهود) وكان الكاثوليك يقولون: "إن لوثر من أصحاب البدع والأضاليل وإنه وأمثاله زاغوا عن طريق الإيمان" (شلبي، 1979، ص 262).

وتعود أهمية الأفكار التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني، إلى أنها مهدت الطريق أمام نفس الأفكار التي نادت بها الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر من خلال تأكيدها على وجود الأمة اليهودية وضرورة بعث هذه الأمة من جديد وكون فلسطين وطناً لليهود، وأن عودتهم إليها ضرورة لاهوتية كمقدمة لعودة المسيح، وبزوغ العصر الألفي السعيد. فهذه الأفكار لا تختلف كثيراً عن الصهيونية كفكرة "والتي تنطوي في جوهرها على دعوة اليهود للعودة إلى صهيون، أي مناشدة اليهود فى العالم للعودة إلى أرض إسرائيل بحدودها التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة لدى اليهود" (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1973، ص51). وقد أدى انتشار الأفكار المتعلقة ببعث الأمة اليهودية بين معتنقي المذهب البروتستانتي إلى سعي الكثيرين منهم؛ لتحقيقها طبقاً للنبوءات الواردة في العهد القديم.

"فمع العودة إلى أهمية الكتاب المقدس، قام الإصلاحيون بترجمته إلى لغات عديدة. كما أصبحت العودة إلى التوراة، أساساً في المفهوم الديني الجديد، ومحوراً للتعليم فى المدارس. وهكذا، مع انبعاث التاريخ القديم، بكل تفاصيله وحكاياته التوراتية، تحولت فلسطين فى الضمير البروتستانتي من الأرض المقدسة للمسيحيين، إلى أرض الشعب المختار، فآمن البروتستانت بأن اليهود لابد عائدون إلى الأرض المقدسة كما جاء في النبوءات التوراتية. وآمن بعض البروتستانت بضرورة اعتناق اليهود للمسيحية تمهيداً لقدوم المسيح، وآمن بعضهم بإمكان تحولهم هذا بعد قدومه" (الحوت، 1991، ص 286)

5.2.2 العهد القديم بين الكاثوليك والبروتستانت

بالرغم من أن المسيحية تشترك مع اليهودية في ما يسمى بالعهد القديم، إلا أن المسيحية أضافت إليه العهد الجديد الذي تحدث عنه السيد المسيح، حيث تختلف المسيحية عن اليهودية في تفسير هذا الجزء المشترك المسمى بالعهد القديم، ولكل من الطرفين تفسير لاهوتي مختلف (صبرا، 2003، 2/15). فالكنيسة الكاثوليكية عملت على تطوير الكنيسة عبر العصور، وخلصتها من الكثير من العناصر الوثنية

العالقة بها، وخصوصاً العهد القديم، بل إنه كان هناك اتجاه في بدايات العهد المسيحي؛ لإلغاء العهد القديم، وعدم اعتباره ضمن الكتب القانونية الدينية، لكن اتجاهاً آخر رأى في حذفه خسارة للمسيحية؛ إذ يعني ذلك حرمان الكنيسة من حقها في وراثة اليهودية. ولكن هذا الأمر تطلب من الكنيسة المسيحية محاصرة العناصر الوثنية في العهد القديم، وتقديم تفسيرات مجازية ورمزية لكل ما جاء فيه. فكلمات: القدس، أو أورشليم أو صهيون أو الأرض الموعودة .. إلخ عند الكاثوليكية، تحمل معاني روحية، وتقع في السماء، وليست أسماء لأمكنة حقيقية على الأرض. كما رأت في مسألة عودة اليهود إلى فلسطين أنها عودة تمت قبل ميلاد المسيح حينما عاد بعض اليهود من سبي بابل في القرن الخامس قبل الميلاد، وإن أمر اليهود انتهى كشعب يحفظ وديعة ويسلمها للمسيحيين، وأن الشعب المختار هو كل من يؤمن بالله (الحسن، 2003، 9، آذار، مارس).

وبناء على هذا التفسير الجديد اعتبرت المسيحية التقليدية أن ما ورد في العهد القديم هو أحداث وقعت في الماضي، أو نبوءات تم تحقيقها، وأن ما جاء في العهد الجديد هو ثورة على العهد القديم، وفقاً لما جاء في إنجيل يوحنا " لو كنتم أبناء إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم" (يوحنا:39/8) ورأت أن كل القصص التي رواها العهد القديم هي رموز لحالات روحية وأخلاقية. ذلك أن إسرائيل الجديدة مثلاً هي الكنيسة. كما تؤمن الكاثوليكية التقليدية أن إبراهيم عليه السلام عندما أخذ الوعد من الله بالأرض، لم يفهمه على أنه تصريح له من الله بسرقة الأرض من مالكها، حتى لو كانت الأرض هبة من الله فهي مشروطة بطاعة الواهب. وترى أيضاً، أن العهد مرتبط بتحقيق وصايا الله وطاعته لا رفض حكمه، وأن أرض الميعاد الحقيقية عند المسيح هي الأرض كلها، وكل أرض يتحقق فيها وعد الله . "فمن المحقق للمسيحي الحق أن (الوعد) الذي أنجز بمجئ يسوع المسيح لا يمكن أن يكون وعداً بأرض. فقد رفض يسوع المسيح في ثلاثة مواقف من الإنجيل رفضاً قاطعاً أن يربط رسالته بموضوع امتلاك أرض أو سلطة. وهكذا فالعهد الجديد الذي يعد البشرية كلها بالخلاص الأبدي يجعل من العهد القديم (عهداً) عفى عليه الزمن؛ لأنه يعد شعباً مخصوصاً بأرض مخصوصة" (جارودي،1991، ص152).

وبالنسبة للقدس لا ترى الكنيسة الكاثوليكية فيها علامة من علامات المجيء الثاني للمسيح، ولعل هذه التفسيرات، وهذا الإيمان، ما أبقى كتاب العهد الجديد منفصلاً عن كتاب العهد القديم، ولم يجمعا معاً في كتاب واحد أطلق عليه الكتاب المقدس، إلا مع ولادة حركة الإصلاح الديني (البروتستانتية) وبالتحديد على يد الملك هنري الثامن عام 1538، عندما تمت ترجمته إلى الإنجليزية وإتاحته للناس للقراءة، وقد تم ذلك

عندما رفض البابا طلاق هنري من زوجته آنبولين؛ مما دفعه إلى تبنى حركة الإصلاح الديني (الحسن، 2003، 9، آذار، مارس) .

6.2.2 انتشار حركة الإصلاح الديني في أوروبا وأمريكا

وطدت حركة الإصلاح الديني أقدامها في كثير من الدول الأوربية مثل ألمانيا والدول الاسكندنافية وهولندا. ولكن الانشقاق الواضح عن الكنيسة الكاثوليكية حدث في إنجلترا منذ أن أنفصل الملك هنري الثامن عن كنيسة روما في القرن السادس عشر، حيث لعب الخلاف بينه وبين البابا – حول طلبه الموافقة على طلاق زوجته – دوراً رئيسياً في انتشار البروتستانتية في إنجلترا، مما دفع الملك هنري إلى إصدار أمره الملكي سنة 1538م إلى كنائس إنجلترا بإنهاء الوصاية الكهنوتية على الكتاب المقدس وتفسيره، وتمكين كل فرد من المؤمنين من الاطلاع على نصوص الأسفار المقدسة وتفسيرها التفسير الذي يمليه عليه عقله وضميره" (بينتون، 1987، ص112) . "كما ساهمت طموحات الطبقة الرأسمالية الناشئة في حدوث هذا الانفصال، حيث كان التجار الأثرياء كارهين أشد الكره لسطوة الكنيسة الكاثوليكية وقيودها على التجارة والمعاملات المالية، فكان دعمهم وترحيبهم بحركة الإصلاح الديني للتخلص من نفوذ الكنيسة الكاثوليكية" (مقار، 1992، ص 66) .

ثم وصلت حركة الإصلاح الديني إلى ذروتها في إنجلترا في القرن السابع عشر، في عهد الثورة البيوريتانية، عندما تولى أولفرت كرومويل السلطة وأعلن الجمهورية، حيث شهدت نهاية الحرب الأهلية ظهور محاولة البيوريتانيين الاستفادة من التسوية الثورية لغرض استكمال الإصلاح الديني، وإقامة مؤسسة دينية جديدة تستند إلى "البروتستانتية الربانية" الحقة، تعم كلمتها المملكة وتستبعد الكثلكة مرة وإلى الأبد من الجسم السياسي البريطاني. وتأثر المذهب البيوريتاني تأثراً عميقاً بروح (العهد القديم) أكثر مما تأثر بروح المسيح. وبروح القتال المقدس، أكثر منه بروح الحب" (هرتز، 1964، ص152). وتمت الإطاحة بالملك جيمس الثاني الكاثوليكي المذهب، وهرب من البلاد، وتم وضع لائحة الحقوق عام 1688، ووضع الإطار الديني الذي توج في فترة لاحقة بإقرار التسامح الديني التام بين جميع المذاهب. وفي عهد البيوريتاريين ازداد الاهتمام بالعهد القديم بشكل كبير، وأصبح كتابهم الوحيد الذي يستمدون منه فلسفتهم وأفكارهم ومعتقداتهم وطريقة سلوكهم. كما ازداد في عهدهم الاهتمام باللغة العبرية بشكل كبير جداً.

> "حتى جعلها بعضهم اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس، واقترح بعضهم أن يتضمن منهج التعليم العام في المدارس الثانوية دراسة العبرية، وظهرت لديهم نزعة التخلي عن المبادئ الخلقية المسيحية واستعاضوا عنها بالعادات والأخلاق اليهودية، بل إن إحدى مجموعاتهم المتطرفة دعت الحكومة

الإنجليزية لإعلان التوراة دستوراً للقانون، وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فأعتنق اليهودية، أما الذين بقوا على مسيحيتهم فقد أخذوا ينظرون بعطف متزايد إلى أولئك الذين أطلقوا عليهم أسم شعب الله القديم "اليهود"(الشريف، 1985، ص 37).

3.2 المبحث الثاني: الدين ودوره في تشكيل الثقافة الأمريكية

عندما وصل الأوروبيون إلى أمريكا، وجدوا فيها شعوباً ذات حضارات عريقة، كونوا فوق أرض القارة ممالك وإمارات منذ آلاف السنين" (عبد السلام، 2005، ص 39). وقد وصل كريستوفر كولومبوس (1451–1506) إلى جزء من أمريكا بتمويل من الملكة الأسبانية (أزابيلا)، حيث أسس الأسبان مدينة فلوريدا عام 1513، وجاء الإنجليز، فأسسوا مدينه على شاطئ ولاية فيرجينيا الحالية عام 1607، سميت (جيمس تاون)، وقام بعد ذلك بعض المهاجرين من المتدينين الإنجليز الذين فروا من الاضطهاد الديني في إنجلترا بتأسسيس ولاية ماساتشوستس عام 1620. يقول والتر ماكدوجال في كتابه "أرض الميعاد والدولة الصليبية": "إن نشأة أمريكا كانت نتيجة اندفاعية دينيه، بل إن مغامرة كولمبوس لم تكن إلا مغامرة دينية. وبكلمات كولمبوس فإن الرب جعله رسولاً للجنة الجديدة والأرض الجديدة، بعد أن حدثه بها يوحنا المقدس في سفر الرؤيا، وأراه النقطة التي يجدها عندها، إن اكتشاف أمريكا قبل أي شيء آخر كان نهاية حج عظيم ونهاية للبحث الروحي العظيم" (مكدوجال، 2001، ص 6).

"لقد أقدم نوعان من الناس على اقتحام العالم الجديد لبناء المستعمرات أوائل القرن السابع عشر، كانا كلاهما، يبحثان عن مصيريهما. إلى فرجينيا مع الكابتن جون سميث، ذهب المغامرون والحرفيون سعياً وراء الثروة. وإلى ماساتشوستش مع حاكم الولاية جون ونثروب ذهب الحجاج والطهريون (البيوريتانيون) بحثاً عن الفردوس. هذان الدافعان ظلا يحركان عملية التوسع الأمريكية منذ ذلك التاريخ" (برستوفتز، 2003، ص43).

1.3.2 المهاجرون الجدد و ثقافة العهد القديم (التوراة)

عندما بدأ الاستيطان الأوروبي لأمريكا كان معظم المهاجرين الجدد من البروتستانت، الذين فروا من الاضطهاد الديني الذي ساد أوروبا في ذلك الوقت، حيث هاجر إلي أمريكا كثير من البيوريتان المتدينين، فراراً من الاضطهاد الديني الذي ساد إنجلترا أثناء حكم آل ستيوارت (انظر:النيرب، 1997، ص33)، حيث كانوا ينظرون إلى أنفسهم من منطلق خاص بهم .

"فعلى غرار الخروج الجماعي المذكور في العهد القديم، والذي هرب فيه اليهود من مصر ورحلوا إلى أرض جديدة وعدهم الرب بها، نظر البيوريتانيون لأنفسهم على أنهم الشعب المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على أنه إسرائيل الجديدة. أما العالم القديم بالنسبة لهم، فكان هو مصر التي فروا منها. لقد عقدوا عهداً مع الرب: إنه إذا أمن الرب ذهابهم إلى العالم الجديد، فإنهم سيؤسسون مجتمعاً تحكمه القوانين الإلهية" (كوربت، 2002، ص 44).

وهكذا كان هؤلاء المستوطنون الجدد يحملون معهم تراثهم الديني المستمد من العهد القديم، والذي أخذ يلعب دوراً رئيساً في تشكيل الفكر الأمريكي منذ ذلك الوقت، ومما قوى من أهمية هذا الدور، هو ربط هؤلاء المستوطنين بين تجاربهم التي مروا بها منذ رحيلهم من أوروبا وإنجلترا بالذات، وبين التجارب التي مر بها اليهود القدماء عندما فروا من ظلم فرعون إلى أرض فلسطين (الحسن، 1986–ب، ص 119). حيث اعتبروا أمريكا هي (أورشليم الجديدة) أو (كنعان الجديدة) وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا من ظلم فرعون (الملك جيمس الأول)، وهربوا من أرض مصر (إنجلترا) بحثاً عن أرض الميعاد (الجديدة)" (مكدوجال، 2001، ص 5). "فقد رأى البيوريتانيين في تجربتهم الخاصة المتمثلة "بالهروب إلى البراري" من أوروبا المنحوسة مساوية لتجربة اليهود الذين قادهم موسى من مصر، غير أنها كانت أكثر بكثير من تجربة مساوية، لقد آمنوا بأن تجربتهم لم تكن في الحقيقة إلا تجسيداً حياً لتجربة الخروج. وقد فسروا تجربتهم على أنها تكرار للتاريخ الذي شكل شعب الرب القديم" (مركلي، 2003، ص 105).

فهم مثلهم مثل اليهود فروا من الظلم بحثاً عن الأرض الموعودة التي تدر لبناً وعسلاً، وجابهوا الصعاب في رحلتهم عبر المحيط، كما حدث لليهود في صحراء سيناء عند خروجهم من مصر. كما أنهم جوبهوا بمقاومة السكان الأصليين، كما جوبه اليهود بمقاومة أهل فلسطين. وعندما كانوا يعلنون الحرب على أصحاب البلاد الأصليين، كانوا يستحضرون العهد القديم، حيث ثمة تشابه بين تجاربهم في حربهم مع الهنود الحمر، وتجربة اليهود في حربهم ضد الفلسطينيين في الماضي. لقد عانوا من الانقسام ومن تجارب الحرب الأهلية المرة بين الشمال والجنوب، كما حدث مع اليهود القدماء عندما انقسمت مملكتهم إلى مملكتين إحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب.

لقد كان هؤلاء المستوطنون يعلمون أن الأرض التي استولوا عليها من سكانها الأصليين ليست أرضهم، كما أنهم يعلمون أن ما يقومون به من عمليات اضطهاد وقتل وتشريد للسكان الأصليين، يتنافى مع أبسط المبادئ الأخلاقية، فكانوا لذلك بحاجة إلى شيء يبرر لهم أفعالهم هذه ويضفي عليها نوعاً من الشرعية والأخلاقية ولو مزيفة، فلم يجدوا هذا التبرير إلا في العهد القديم. فكما أن اليهود القدماء برروا

احتلالهم لفلسطين بالادعاء بأنها الأرض الموعودة التي وهبها الله لشعبه المختار، فإن المستوطنين الجدد فعلوا نفس الشيء بالادعاء بأن الله اختار العنصر الأنجلوسكسونى البروتستانتي الأبيض لقيادة العالم. وحاول بعضهم أن يجد رابطة بينهم وبين اليهود الذين يدعون أنهم شعب مختار. يقول ريتشارد بروترز في كتابه (المعرفة المنزلة للنبوءات والأزمنة): "أن الإنجليز السكسون هم من أصل يهودي، وأنهم ينحدرون من سلالات الأسباط التي ادعى اليهود أن أفرادها فقدوا بعد اجتياح الآشوريين لمملكة إسرائيل عام 721 ق.م" (نقلاً عن: ربيع، ب. ت، ص46). وقال هيرمان ملفيل في بداية القرن التاسع عشر متحدثاً عن الشعب الأمريكي: "نحن الأمريكيون شعب خاص، شعب مختار وإسرائيل العصر الحاضر"(جوليان، 1970، ص19). أما القس صموئيل ويكمان فقال في موعظته الشهيرة على ظهر السفينة (أرابلا) التي حملت أول مجموعه من البروتستانت إلى خليج ماساشوستس:

> "أن أورشليم كانت لكن نيوانجلاند (المستعمرة الأولى) هي الموجودة الآن، وأن اليهود كانوا لكنكم أنتم (البروتستانت التطهيريون) شعب الله المختار، وعهد الله معكم. فضعوا اسم نيوانجلاند مكان اسم أورشليم". وعندما وصلت المجموعة الثانية من المستوطنين إلى شاطئ نيو أنجلاند على ظهر السفينة (ماي فلاور) عام 1620م، وقعوا فيما بينهم (عهد ماي فلاور) الذي حددوا فيه طريقة الحياة التي يرغبونها وأسس المجتمع المثالي في أورشليم الجديدة أو إسرائيل الجديدة (أمريكا)... وذلك تمجيداً لاسمه تعالى، وترويجاً للدين المسيحي ..." (رافيتش، 1998، ص27).

2.3.2 التبرير الديني للنهب والسلب والإبادة

نشأت الولايات المتحدة الأمريكية تاريخياً، على قاعدة إخلاء الأرض وإبادة السكان الأصليين (الهنود الحمر)، ووصمت النشأة التاريخية سلوك السياسة الأمريكية منذ ظهورها عالمياً، وفرضت قانونها الموضوعي: "قانون إنكار الآخر، إما بإبادته وجوداً أو اختزاله إلى مجرد محل للتصرف" (دويدار،2000، ص 17). تلك السياسة التي ارتكزت على نظرية التفوق العرقي والاختيار الإلهي التي ورثوها من أجدادهم الإنجليز.

> "فعندما نزلت أول دفعة من المستوطنين الإنجليز من سفنهم الثلاث عام 1607م إلى اليابسة على شاطئ فرجينا في أمريكا الشمالية، جلبوا معهم أفكاراً وعادات شكلت الأساس، الذي قامت عليه ممارساتهم العرقية في المجتمع الأمريكي. وأول ما جلبوه معهم إحساسهم كإنجليز بالتفوق العرقي والثقافي، واعتقادهم بأن البروتستانتية هي التعبير الحقيقي عن الإيمان المسيحي، وإيمانهم بأن التطهيريين (البيوريتان) هم خير من يمارسها في شكلها الصحيح. واعتبر الإنجليز كل من يختلف عنهم بأنه من مرتبة أدنى منهم. وقد

ساد هذا الموقف وترك أثره على كل التفاعلات التي حدثت في المجتمع الأمريكي" (عناية، 2002، ص 24).

لقد أعطى الأميركيون البيض معركتهم مع الهنود الطابع الديني وكأنهم يخوضونها بالنيابة عن الله والمسيح؛ ليبرروا اضطهادهم سكان البلاد الأصليين وسرقة أرضهم. فعندما زحف (أبناء الرب) من جزيرة روانوك في اتجاه الغرب لم تكن حروب الإبادة والتطهير العرقي وحرق المحاصيل، ومصادرة الأراضي، وإطعام الأطفال الهنود للكلاب إلا مظاهر(إرادة الله، يهوه) في العهد القديم" (العكش، 2002، ص 152). وهذه العقلية المتعالية، التي لم تر في الآخرين (الهنود) سوى وثنيين مجردين من إنسانيتهم، ومن حقوقهم، ولا يستحقون المواطنه، ليست بعيدة عن فكرة (شعب الله المختار) وهي رؤيا كانت كافية لاستعباد الهنود والدعوة إلى استحالة دمجهم في الأمة. حيث استند التطهيريون الإنجليز لتبرير مطاردتهم للهنود وسرقة أراضيهم إلى سفر يشوع ومنطق الإبادة المقدسة في العهد القديم، وكتب أحدهم يقول:"بديهي أن الرب يدعو المستوطنين إلى الحرب، فالهنود اعتمدوا على عددهم وأسلحتهم كما فعلت قبائل النقب القديمة (العمالقة والفلسطينيون) متحالفين مع غيرهم ضد شعب إسرائيل. وفي ظل هذه الذهنية مورست الإبادة الجماعية ضد الهنود، وكأنهم هم الذين غزوا أراضي المستوطنين، فيما كان المهاجرون ينهبون أراضيهم ويدمرون حياتهم" (عماد، 2003، ص 74: 75).

لقد كان هؤلاء الغزاة الأوائل يسمون بالحجاج أو القديسين، يعتبرون هذا العالم الجديد بديلاً عن (أورشليم)، والأراضي المقدسة؛ ولهذا فقد سموه بكل الأسماء التي أطلقها العبرانيون على بلاد كنعان، وما يزال التاريخ الأميركي إلى الآن يضفي على هؤلاء الحجاج قداسة طوباوية، ويعتبرهم أول نموذج للاستثناء الأميركي الذي فضله الله على العالمين، وأورثه ما أورث بني إسرائيل من قبل، وجعل العهد الذي عقدوه مع الله على متن سفينتهم الأسطورية (مايفلاور) من اللحظات النادرة الخالدة في التاريخ الإنساني، كما يقول الرئيس الأميركي (جون آدامس).

"فعهدهم مع الله جب عهد الإسرائيليين القدامى، وتأسيس مستعمرتهم على صخرة بليموث ضاهي تأسيس الكنيسة على صخرة بطرس. قضية هؤلاء الحجاج هي الأصل الأسطوري، لكل التاريخ الأميركي. وما يزال كل بيت أميركي يحتفل سنوياً في عيد الشكر بتلك النهاية السعيدة، التي ختمت قصة نجاتهم من ظلم فرعون البريطاني وخروجهم من أرضه وتيههم في البحر وعهدهم الذي أبرموه على ظهر سفينتهم مع يهوه، ووصولهم في النهاية إلى أرض الميعاد" (عبد الحكيم، 2005، ص 37).

ويعتبر هذا العيد الطقسي، من أكثر أعياد أميركا قدسية. ففي هذا العشاء الطقسي الذي يذبحون فيه سنوياً بين عشرين وثلاثين مليون (ذبيحة) قرباناً لله الذي وقف منذ اللحظات الأولى لاستعمار أميركا إلى جانب شعبه الإنجليزي المختار، يستعيد الأميركيون أسطورة تاريخهم بكل ما يعنيه طقسية الاحتفال بالأسطورة، فهو طقس يتضمن تقديس فتح الاستعمار الاستيطاني، والتأكيد على التفوق الطبيعي والأخلاقي للمستعمرين، وهو تأكيد على صدق الأسطورة وحياتها المتجددة، وهو احتفال برعاية الله لكل عناصر أسطورة الولادة المقدسة للتاريخ الأميركي. (العكش، 2002، ص 39).

"إن استيطان أميركا كان يجري في الأصل في سياق أيديولوجي ثنائي القطب، أولا: الاغتناء المادي، وثانيا: تمجيد الإنجاز الإلهي. فالأمة الأميركية ورجال الكنيسة والمثقفون الأوائل هم شعب الله المميز، الذي جاء على قدر، فوليام مستوغتون (1701.1631م) يرى أن الله اختار مواطني أميركا بعناية، فغربلهم كما تغربل الحبوب لفصل البذرة الصالحة عن غيرها. وجون وينثروب حاكم ماساشوستس عام 1629 م، ذهب إلى وصف نفسه وأصحابه بأنهم في خدمة المسيح وأنهم يرتبطون معه بميثاق، وأنهم أعضاء جسم فريد موحد، وهم شعب الله المختار وإله إسرائيل بينهم" (بوغنون، 2002).

3.3.2 الأساطير وتأسيس التاريخ الأمريكي

تعزو أمريكا بشكل جزئي هويتها الوطنية إلى انتشار كثير من الأساطير القوية التي انبثقت في أوائل تاريخها، حيث يرتبط كثير منها (بالآباء المؤسسين)، وقد تكون أقوى هذه الأساطير، أسطورة (بيان المصير) كما يسميه علماء التاريخ. وهو الاعتقاد بأن الاستيطان في تلك الأراضي الشاسعة غير المسكونة وترويضها من قبل المستوطنين الأوروبيين، كان حدثاً تم بموجب مقاصد إلهية، فالله اصطفى الأمة الأمريكية من بين الأمم والشعوب وفضلها عليهم، وجعلها شعبه المختار وذلك من أجل قيادة العالم وتخليصه من الشرور (العكش، 2002، ص 149). وقصة هذا الاصطفاء يمكن روايتها كالآتي: هرب أناس رياديون شجعان من الاضطهاد الديني والسياسي في أوروبا، وواجهوا عقبات كبيرة في تحقيق أحلامهم بوجود سكان أصليين (متوحشين) استخدموا وسائل إرهابية؛ لإحباط مقاصد الرياديين، ولكن بمعونة الله استطاع هؤلاء المستوطنون الشجعان أن يهزموا (المتوحشين)، ويطردوهم خارج تلك الأراضي، وهكذا مهدوا الطريق لهؤلاء الذين كانوا قادرين على استغلال المصادر، التي أعطاهم إياها الرب في تلك الأراضي بشكل أفضل. ولكن هذه القصة غير المحبوكة فضحتها العلوم والمعارف الحديثة، عندما ركزت على وحشية هذا التطهير العرقي القديم وعواقبه السلبية. غير أن بعض عناصر هذه القصة والمتعلقة بالأسطورة، لا تزال تشكل الهوية الذاتية الأمريكية، ويبدو هذا واضحاً في الطريقة السهلة التي يستطيع بها السياسيون ومن بينهم الرئيس (جورج بوش) أن يبحثوا عن الدعم لمغامرات سياساتهم الخارجية باقتباسهم

عناصر رئيسة من هذه الأسطورة. أن أي هجوم على أمريكا هو هجوم على الحرية" (هيوبرز، 2003، 15، شباط).

> "ففي التعابير التي كانت تدور على السنة سكان المراحل الأولى من تاريخ فيرجينيا على سبيل المثال، أعلن أوائل المستوطنين عن أنفسهم بجرأة أنهم على حد قول (جون رولف) بأنهم "شعب له خصوصيته، أشار إليه واختاره إصبع الله لامتلاك تلك الأرض لأنه معنا دون شك". والواقع أن مستعمرة فرجينيا في أقدم سنواتها كانت أشبه شيء بمدينة أسستها شركة، وتشبه قاعدة أمامية أو مركزاً متقدماً في أقاصي حدود ألاسكا. وقد حافظ المؤسسون بدقة على الشكليات الدينية المعروفة آنذاك بما فيها القوانين التي تتطلب التردد على الكنيسة". (مارسدن، 2001، ص 25) .

ولكن هذا الورع الزائد للمؤسسين الأوائل، باعتبارهم شعب له خصوصية، كان يعكس عنصرية بشعة، ونظره دونية للآخرين. يقول القس كوتون ماذر أحد أهم الآباء المؤسسين لأمريكا: "من الكفر بالله والمسيح أن يحاول أحد هداية أهل البلاد الأصليين، الهنود الحمر؛ لأنه وجدهم مخلوقات بشعة لا يجوز أن تدخل في ديانته المقدسة" (مقار، 1992، ص 314). وقال أيضاً: إن أميركا كانت قبل مجيء الحجاج الأوائل أرض الشيطان، وإنه – أي الشيطان – سيستعمل كل حيله للحؤول دون استيطان المستوطنين. وبهذا تكونت صورة الهندي الشرير والبربري المسكون بالشيطان، في مقابل الرجل الأبيض المختار المسكون بالخير المتصف بالتحضر، وأيضا في مقابل الأسود الجاهل الذي لا يجيد التمتع بالحرية "كما هي في الولايات المتحدة" (بوغنون، 2002، عبد الحكيم، 2005، ص 44)

فهؤلاء المهاجرون المتدينون الهاربون من النظام الطبقي البغيض، ومن كل سلطة دنيوية أو دينيه بحثاً عن حياة جديدة أغفلوا ضمائرهم، واستطاعوا أن يوفقوا بين معتقداتهم وبين إبادة الهنود الحمر مسترشدين في ذلك ببعض الأساطير التوراتية، التي أباحت لغزاة فلسطين الأوائل من اليهود إبادة سكان أرض الميعاد؛ ليحلوا محلهم (عبد السلام، 2005، ص 52).

> "لقد كانت قصص اجتياح كنعان في العهد القديم تمدهم بالأسس الأخلاقية اللازمة؛ لتماسك هذه السيكولوجية الاستعلائية، ولتبرير عنصريتها وعنفها المميت، ولم يكونوا واثقين إلا من شيء واحد: إن الله فضلهم واصطفاهم على العالمين، وأعطاهم الأرض وحق تقرير الحياة والموت والرزق لكل من يعيش فوق هذه الأرض، هكذا حمل شعب الله سيف الجلاد المقدس، ولم يساوره الشك في أن الإبادات لم تكن إلا تدبيرا إلهيا مباركاً ورسالة في المجاهل عهدها الله إليهم" (العكش، 2002، ص 59) .

وبناء على هذا الموقف العنصري المتعالي، المغلف بالمعاني الدينية التوراتية، لم يجد المؤسسون الأوائل لأمريكا أية حرج، في إبادة الهنود الحمر واستعباد الزنوج ماداموا أجناساً أقل مرتبة ومتوحشين، وهو الموقف نفسه الذي استخدامه اليهود قديماً وحديثاً مع الفلسطينيين والشعوب المجاورة.

"لقد صارت هذه الأخلاق الإبادية بنفاقها وبسماتها الإنجليزية المسمومة عقيدة وأيديولوجيا، بل صارت النواة الصلبة للقومية الأميركية التي ما تزال تخصب الأدب والفن والسينما وصناعة الجريمة والموت وتعطي أوضح صوره لمفهوم الأميركي عن نفسه وعن العالم، هذه الأخلاق التي ضربت جذورها في عقدة الاختيار وكراهية الكنعانيين، ورافقت بناء أميركا لحظة لحظه وجبهة بعد جبهة هي التي جعلت الأميركيين يعتقدون اليوم، كما كان أجدادهم المستعمرين الأوائل يعتقدون قبلهم بأن لهم الحق المطلق في أن يقتحموا أي غرب في أي مكان من الأرض" (العكش، 2002، ص 139).

ولهذا لم يكن مستغربا أن يصرح الرئيس ويليام تافت، وفي كلمة مشهورة قالها عام 1912: "نصف الكرة الأرضية سيكون في الواقع ملكاً لنا، كما هو حالياً على الصعيد المعنوي؛ وذلك بفضل تفوق جنسنا". فالتبرير الديني للسلب والنهب والقتل، ظل حاضراً على الدوام في التاريخ الأمريكي، حيث استهل الأمريكيون وجودهم كأمه بعملية إبادة جماعية لشعب بأكمله، شعب الهنود الحمر، باعتبار أن تلك الإبادة كانت من "أجل المسيح" وقياماً بعمل الله على الأرض" (مقار، 1992، ص 409).

4.2 المبحث الثالث :الدين والدولة في أمريكا

من الأخطاء الشائعة لدى معظم المثقفين العرب والمسلمين، اعتقادهم بلا دينية الحضارة الغربية، قياساً على الإفرازات الأخلاقية والفكرية لهذه الحضارة، التي تفصل بين الدين والدولة، وهذا الاعتقاد خطأ وربما يصدق على بعض الدول الغربية، ولكنه لا يصدق عليها كلها، فهو يصدق على الدول الكاثوليكية مثل إيطاليا وفرنسا وأسبانيا، ولكنه لا يصدق على الدول البروتستانتية مثل بريطانيا وأمريكا بالذات.

1.4.2 الدول الكاثوليكية والعلمانية

كان الدين الكاثوليكي هو أساس التجانس والانصهار، والرباط الوحيد بين الدول الأوربية قبل تكوين الدولة القومية، "وكانت الإمبراطورية الرومانية المقدسة تحكم جنسيات مختلفة تجمع بينها الرابطة الكاثوليكية، ولم يكن الأوربيون يكترثون لوجود أسر حاكمة تنحدر من جنسيات وأصول مختلفة طالما كانوا يتبعون المذهب الكاثوليكي، ولم يكن الأجنبي هو المختلف جنسا أو لغة وإنما هو الكافر الذي يتبع دينا آخر أو المنشق عن الكنيسة الكاثوليكية" (صقر، 1995، ص39). والدول الكاثوليكية قبل أن تأخذ بمبدأ

فصل الدين عن الدولة، كانت تخضع لسلطة البابا، وكان لزاماً عليها إطاعة أوامره، حيث بلغت سلطة البابا شأناً عظيماً. "فقد كان البابا يدعى حق السيطرة الدينية والدنيوية على كل شيء، وكانت الكنيسة تفرض ضريبة الأعشار، وتجمع التبرعات، فضلاً عن إعفاء أملاكها من الضرائب. وكان للبابا نواب يمثلونه لدى كافة الملوك والأمراء في أوروبا" (الخشاب، ب. ت، ص 212).

وعندما ظهرت الحركات القومية في أوربا ودعت إلي بناء الدول علي أساس القوميات وليس الدين، تصدت لها البابوية ووقفت حائلا دون تحقيق فكرة الدولة القومية؛ لتعارضها مع فكرة الحب أو الأخوة الإنسانية؛ ولأنها تعني تفتيت الوحدة الدينية الكاثوليكية؛ وتقضي من ثم علي حلم البابوية في تشكيل جمهورية مسيحية تضم جميع الأمم الأوربية، إضافه إلى أنها تقود إلي تعاظم وإيناع المذاهب المنشقة عن الكنيسة وفي مقدمتها البروتستانتية فضلاً عن المذاهب والنظريات الإلحادية"(صقر، 1995، ص40).

وقد لاحظ (هنري دنى) بأن الفلسفة السياسية الجديدة التى انبثقت في القرن السادس عشر تتعارض بشكل حاسم مع المفهوم الكاثوليكي للدولة الذي تم الدفاع عنه في العصور الوسطى. إذ أنها تجعل من الدولة قوة مستقلة وليس مجرد واقع يخضع للكنيسة. ومثل هذا النقض لمحاولة إخضاع الدولة للكنيسة يوجد كذلك لدى لوثر، بحيث إن المسيحية اللوثرية تبدو تجلى غريب لتطور هذه الفلسفة الجديدة. (الطعان، بدون، ص 241). ومن هنا أدركت الحركات القومية الأوربية، أن البابوية هي أكبر عقبة في سبيل الوحدة القومية لدول أوربا، وأن الكاثوليكية بصفة خاصة لا تصلح كأساس لبناء الدول القومية، لهذا تم استبعاد الدين في الدول الكاثوليكية من عملية بناء القيم السياسية، ولم تعد الرابطة الدينية الكاثوليكية هي أساس تجانس هذه الدول التي فصلت الدين عن ميدان الحركة السياسية، وكان لابد من البحث عن أساس جديد لبناء وتكامل الدول يتفق مع منظومة القيم التي استقرت في الوعي الأوربي، فحلت الرابطة القومية محل الرابطة الدينية كأساس لبناء الدولة (صقر، 1995، ص37).

وعندما تأثرت هذه الدول بأفكار عصر التنوير وبحركة الإصلاح الديني وبالفكرة القومية، وقامت بفصل السلطة الدينية عن السلطة الزمنية، بحيث لم يعد للبابا أي سلطان عليها، فإنها خالفت بذلك قرارات المجامع المسكونية، التي اعتبرت كل المسيحيين بمن فيهم الحكام خاضعين للبابا وملزمين بطاعة أوامره، لأنه رئيس الكنيسة التي تحمل سلطان الله على الأرض. (شلبي، 1979، ص 252). وهذا الوضع الجديد الذى نشأ فى هذه الدول، نتيجة فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية، يجعل الحديث عن علمانية هذه الدول له ما يبرره، وربما هذا ما يفسر قوة الأحزاب الشيوعية في البلدان الأرتوذكسية والكاثوليكية، في حين أنها غير قوية في البلدان الأخرى، وعلى الأخص في البلدان البروتستانتية. فمن بين

الأعمال المبكرة لماركس، تعليق كتبه على إنجيل يوحنا، يجزم ماركس فيه بأن "المسيحية، بصيغتها البروتستانتية على وجه الخصوص، هي الشيء الوحيد القادر على إعادة صنع حياة دمرتها الخطيئة (كارفر، 2003)؛ لأن العامل عندما وجد أنه مبعد عن مجتمع تدعمه الأوساط الكاثوليكية، انضم إلى إكليروس آخر مستكمل التكوين (دلماس، 1982، ص 83)، وهذا يعنى أن الدين الذي وصفه ماركس بأنه أفيون الشعوب، هو الدين المسيحي بشقه الكاثوليكي والأرثوذكسي، وليس الدين المسيحي بشقيه البروتستانتي، الذي مدحه مفكرو عصر التنوير، بسبب فصله بين الدين والدولة .

2.4.2 الدول البروتستانتية والعلمانية

إن الدول البروتستانتية مثل بريطانيا وأمريكا، بتبنيها للمذهب البروتستانتي، قبلت بمبدأ فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية، الذي نادى به لوثر خلال محاولته تحجيم سلطة الكنيسة الكاثوليكية. " فإلى جانب الإصلاحات الدينية الكاسحة التي قام بها (مارتن لوثر) و(جون كالفن)، فإنهما ربما اقترحا إلغاء الصلة التي تربط بين الكنيسة والدولة، التي كانت تمثل جزءا أساسيا في الكاثوليكية في ذلك الوقت. ولكن في الحقيقة أيد كل من (مارتن لوثر وجون كالفن) إضفاء الطابع الرسمي على الكنائس التي أسهما في تأسيسها" (كوربت، 2002، ص 15). ففي كتابه نظم الدين المسيحي رفض كالفن رفضاً قاطعا اتحاد الدولة والكنيسة في نظام واحد؛ وذلك لأن المهمة الروحية للكنيسة تتطلب نسقاً من التنظيم الذي يتلائم مع مهمتهما وأن هذا التنظيم يجب أن يتمايز ويختلف عن التنظيم الذي يتلائم مع المهام الدنيوية الأرضية" (محمد، 2004، ص200). وقد جاءت بعد لوثر وكالفن فرق بروتستانتية متعددة مثل المعمدانيين لتؤكد هذا المبدأ، حيث كانوا أول من نادى بمبدأ فصل الدين عن الدولة؛ لأسباب دينية أصولية ادعوا خلالها بأن الكنيسة في بدايتها الأولى لم يكن لها أي علاقة بالدولة؛ لهذا فإن الدول البروتستانتية مثل بريطانيا وأمريكا عندما قامت بفصل الدين عن الدولة، فإنها فعلت ذلك؛ استجابة لعقيدة دينية، وليس استجابة لأفكار ونظريات فلسفية علمانية كما حدث في الدول الكاثوليكية والأرثوذكسية.

فنتيجة للثورة على الكنيسة الكاثوليكية خلال عصر الإصلاح، رأي الغرب في العلمانية، كما قال الفيلسوف الإنجليزي البروتستانتي (جون لوك)، الطريقة الجديدة والأفضل؛ ليكون المرء متديناً، معتبراً أن الخلاص الروحي ينبغي أن يقوم على ترك الأفراد؛ ليقرروا بأنفسهم في نهاية المطاف، الطريقة التي يرشدهم بها الكتاب المقدس؛ لتحقيق ذلك الخلاص، سواء كان ذلك عن طريق العمل الصالح أم برحمة من الله. ويرى لوك أنه ليس من حق أحد أن يقتحم، باسم الدين، الحقوق المدنية والأمور الدنيوية .. ولهذا فإن فن الحكم ينبغي ألا يحمل في طياته أيه معرفة عن الدين الحق. ومعنى ذلك أن التسامح الديني

يستلزم ألا يكون للدولة دين؛ لأن "خلاص النفوس من شأن الله وحده، ثم إن الله لم يفوض أحداً في أن يفرض على أي إنسان ديناً معيناً. ثم إن قوة الدين الحق كامنة في اقتناع العقل، أي كامنة في باطن الإنسان" (لوك،1997، ص7). وكان لوثر قد أكد قبل ذلك على "الطابع المقدس لكل سلطة قائمة، والفصل الجذري بين الإيمان والقانون، وأقام القطيعة بين الدنيوي والروحي" (الطعان، بدون، ص 246). وهذه الطريقة الجديدة التي عرفت فيما بعد بالعلمانية، لم تكن تعني في البروتستانتينية الابتعاد عن الدين، بل الاقتراب منه أكثر، ولكن بدون وساطة من رجال الكنيسة؛ لهذا فإن الدين ظل يلعب دوراً رئيساً في حياة هذه الدول، بالرغم من أنها تفصل بين السلطتين الزمنية والدينية؛ لأن هذا الفصل لم يأتِ نتيجة لنزعة الحادية تنكرت للدين، بل جاء تلبية لمعتقد ديني. فقد "أعاد لوثر للسلطة المدنية اعتبارها بـ"طريقتين، واحدة مباشرة تتمثل بتمجيد السلطة المدنية، والأخرى غير مباشرة تتمثل بتصفية نفوذ السلطة الدينية البابوية في المجالات المدنية والمختلطة"(الطعان، بدون، ص 242). يضاف إلى ذلك أن أفكار الإصلاح الديني كان لها دور رئيس في نشأة الفكرة القومية.

> "فالديانة التي ورثتها فكرة القومية بعد أن دخلت معها في صراع مرير هي الديانة الكاثوليكية بصفة خاصة. كما أن الكنيسة التي استحقت هذا القدر الضخم من الهجوم والعداء هي الكنيسة الكاثوليكية، وكذا فإن رجال الدين الكاثوليك هم المستهدفون بتلك الموجة العاتية من الازدراء والنقد. فالثابت أن المذهب البروتستانتي كان من بين العوامل المهيأة لنشوء ظاهرة الدولة القومية، كما دعا إلي فصل الدين عن الدولة (صقر، 1995، ص37)

فقد"أوضح لوثر في رسالته إلى النبلاء المسيحيين الألمان أن الغرض الذي يهدف إليه هو إيقاظ الشعور القومي الألماني ضد الشعور القومي الايطالي. وأنه ينظر عون الحكومة الألمانية لنجاح الحركة التي يدعو إليها. كما بين في سبع وعشرين نقطة أن هذه الحركة يجب أن تتولاها القوة الدنيوية، أو الحكومة المدنية" "التي "أعطاها لوثر طبيعة إلهية، ورأى أن الحكومة المدنية تستمد سلطتها من الله." (محمد، 2004، ص191). وقد اتخذت كثير من الدول الأوربية من البروتستانتية رمزاً للوحدة وأداة لإذكاء الصراع ضد السيطرة الكاثوليكية. فقد اعتنق الإنجليز البروتستانتية نفورا من الكثلكة، دين عدوهم القومي أسبانيا. وكذلك فعل الهولنديون، والاسكتلنديون تمردوا على السيطرة الفرنسية الكاثوليكية. وهكذا ارتبط الاعتقاد في المذهب الجديد بقضية الحرية والتحرر القومي ضد السيطرة الكاثوليكية. وعندما انتهى الصراع القومي كان الاعتقاد في البروتستانتية قد أصبح راسخاً، لا بسبب ما تميزت به هذه الديانة عن غيرها، وإنما بسبب دورها القومي وارتباطها بالهيبة والقوة القومية ونجاحها في تحقيق وحدة الأمة في

صراعها مع العدو الكاثوليكي، "وبذلك أضحت الوحدة الدينية أساس الوحدة السياسية والوسيلة لبلورة الشخصية القومية والتعبير عنها والأداة لتحقيق التطلعات" (صقر، 1995، ص90)

3.4.2 الكالفينية والطابع القومي الإنجليزي

عندما أعلن الملك هنري الثالث عشر في عام 1531 نفسه رئيسا لكنيسة إنجلترا، وقطع كل صلة تربط البابا بكنيسته المستقلة، كان بذلك من أوائل من اتخذوا هذه الخطوة التي أدت إلى اختفاء فكرة أوروبا الموحدة تحت سلطان البابا. حيث كان" تأثير حركة الإصلاح الديني عميقاً عليه "فلم يعد التفكير يتجه الى كنيسة عالمية يرأسها البابا في روما، وإنما ساد الاتجاه نحو تأكيد القوميات وتحييد قيام الدولة القومية" (محمد، 2004، ص202)؛ وعندما ظهر البيوريتان في الحياة السياسية الإنجليزية كان ذلك إيذاناً بمولد أول حزب سياسي معارض في إنجلترا، فقد دخل البيوريتان في صراع مرير مع السلطة الملكية الموالية للكاثوليك في سبيل إحياء الروح المسيحية الحقيقية، كما يرونها. ولهذا يرى بعضهم أن البيوريتان هم "أول حزب سياسي نشأ في إنجلترا في عهد الملك جيمس الأول (1603 –1625). وتلك الروح الثورية – التي اكتسبها البيوريتان من المذهب الكالفني المشبع بروح القتال المقدس من أجل خلاص المجتمع– هي التي قادت إلى الثورة الإنجليزية عام 1640، وأطاحت برأس الملك شارل الأول في يناير 1649. ولعل هذا ما يفسر لماذا يطلق بعض المؤرخين على الثورة الإنجليزية وصف (الثورة الكالفينية) أو الثورة البيوريتانية" (صقر، 1995، ص92). يقول كرومويل:" الدين والحرية المدنية كانا أعظم ما أودعه الله في العالم" . (مكدوجال، 2001، ص 40)

لقد كان من نتائج حركة الإصلاح الديني أن أصبح الدين في أوروبا مرتبطاً بالسياسة بصورة أوضح، وكثيراً ما كان يقوم على أساس قومي، كما هو الحال في إنجلترا" (رسل،1983، ص40). وتشير كثير من الدراسات إلى أن الخلفية المسيحية البروتستانتية للطابع القومي الإنجليزي واضحة في كثير من السمات التي اصطبغ بها الشعب الإنجليزي. فالدين يأتي في مقدمة عوامل ثلاثة ساعدت على تكوين الهوية الإنجليزية، بالإضافة إلى الطبقة الاجتماعية والإقليمية. وقد لعبت الكالفينية دوراً حاسماً في تشكيل الطابع القومي للإنجليز بعد مساهمتها في بناء هذه الأمة وتحقيق وحدتها القومية واستقرارها السياسي وازدهارها الاقتصادي. فقد طبعت التربية البروتستانتية الشعب الإنجليزي بعدة سمات أهمها الفردية والليبرالية والتقوى والعناية البالغة بشؤون الاقتصاد والمال وغيرها من النواحي المادية الدنيوية (صقر، 1995، ص94).

"وفي القرن العشرين، لا تزال الحياة السياسية في بريطانيا تصطبغ – ولو نسبيا– بالصبغة المسيحية الكالفينية، ولا يزال الطابع الإنجليزي يتأثر بشكل حاسم بنشاط الكنائس الحرة وبتعاليم مذهب كالفن، ولا يزال الدين البروتستانتي أحد مقومات بناء الدولة وأحد عوامل التوحيد والتجانس: فالصليب لا يزال أحد عناصر العلم البريطاني، ومجلس اللوردات لا يزال يضم في عضويته خمسة وعشرين أسقفا تنتخبهم الكنيسة الأنجليكانية فضلاً عن رئيس أساقفة كانتربري" (صقر، 1995، ص95)، "ومنذ أيام وليام الفاتح أصر هذا الحاكم على أن يكون له صوته في تعيين المناصب الكنسية. وما زال الاتجاه المضاد لروما في الكنيسة الجديدة باقياً في بريطانيا حتى اليوم، متمثلاً في المحافظة على وراثة العرش بين البروتستانت"(رسل،1983، ص41).

والعلاقة بين الدولة والكنيسة الأنجليكانية لا تزال علاقة مشاركة بحيث يمكننا وصف بريطانيا بأنها (دولة الكنيسة) كما يمكننا وصف كنيستها الرسمية بأنها (كنيسة الدولة)، فالملك لا يجب فقط أن يكون بروتستانتياً, بل وأن يتبع الكنيسة الأنجليكانية الرسمية. وبمجرد تتويجه ملكا فقد أضحى رئيس الكنيسة والمسئول عن تعيين الأساقفة. ورئيس أساقفة كانتربري هو الذي يضع التاج على رأس الملك. والبرلمان هو الذي يشرف على تنظيم العبادة ويفرض سيطرته على الشؤون الدينية بشكل يحول دون تمتع الكنيسة الرسمية بأي استقلال في إدارة شؤونها" (صقر، 1995، ص96).

4.4.2 أمريكا دولة لها روح كنيسة

في بداية الاستيطان الأوروبي لأمريكا كان معظم المهاجرين من البيوريتان الأنجلوسكسون، الذين تكونت منهم الطبقة العليا في أمريكا، بعد أن ورثوا الثروة والمنزلة الاجتماعية عن أجدادهم الإنجليز؛ مما أتاح للثقافة الإنجليزية والنفوذ الإنجليزي أن تكون لهما الغلبة في أمريكا الشمالية (النجار، 1986، ص39). حيث حمل المهاجرون الجدد معهم منظومة القيم التي حكمت العالم الجديد، فالمزاج البريطاني لازالت له السيادة في الوقت الحاضر على الأدب، حيث إن مستوى الفن والذوق في المدن الأطلسية إنجليزي، والتراث الأدبي تراث إنجليزي، والفلسفة تسير على النهج الإنجليزي. فإنجلترا هي التي أنجبت (واشنطن وارفينج وامرسون)" (راسل،1983، ص299). وفي بداية رحلتهم الى العالم الجديد تعهد المهاجرون الأوائل بإقامة كيان سياسي مدني فقالوا: "باسم الرب، آمين.... بقيامنا بهذه الرحلة، من أجل مجد الرب ونشر الدين المسيحي، نتعهد .. بإخلاص وبشكل متبادل، وبشهود الله .. أن نجمع أنفسنا في كيان مدني سياسي، من أجل تنظيم حياتنا وحفظها .. نسن ونؤسس القوانين والدساتير التى تكفل المساواة والعدل" (بلاكر، 2005، ص61).

وعندما وصف الحاكم (جون وينثروب) عام 1630م، أمريكا بأنها "مدينة على تل" (مارسدن، 2001، ص 53)، وأمة مسيحية، فإنه عبر عن روح الأمة الجديد. وفي رفضه لمن دعوا إلى الحرية الطبيعية قال: "نحن ندعو إلى حرية مدنية أو اتحادية، ويمكن أن نسميها حرية أخلاقية بالإشارة إلى ذلك العهد بين الله وبين الإنسان في القانون الأخلاقي، وفي العهود والدساتير السياسية بين الناس وأنفسهم. هذه الحرية التى هي الغاية الخالصة .. نصونها ونمارسها برضوخنا للسلطة هي مثيله لذلك الضرب من الحرية الذي جعلنا به السيد المسيح طلقاء"(شنيدر، 1964، ص16). فقد كانت الليبرالية أولاً، بروتستانتية في المحل الأول، ولكن ليس على الطريقة الكالفنية الضيقة. إنها كانت أقرب بكثير إلى أن تكون تطويراً للفكرة البروتستانتية القائلة: إن على كل فرد أن يسوي أموره مع الله بطريقته الخاصة هذا فضلاً عن أن التعصب والتزمت يضر بالأعمال الاقتصادية"(رسل،1983، ص104).

"وفي الذكرى الثلاثمائه لاكتشاف كولمبس لأمريكا، شكر (ألهنان ونشست) أحد رجال الدين عناية الرب لتخصيصها مكاناً للمضطهدين من كل الأمم "وجعله المكان الأول في العالم الذي تأسست فيه الحرية المدنية والحرية الدينية متساويتن". "الكنيسة والدولة منفصلتين.. كلاهما تعيش وتزدهر". "ولن يكون الرب غاضباً على أمريكا لمنحها اليهود، مع الأمم الأخرى الرعاية المتساوية للحماية والحرية والملكية". حتى أن ونشستر راقب تنفيذ نبوءة القديس يوحنا في كنيسة فيلادلفيا القديمة: "انظر، لقد أعددت أمامك باباً مفتوحاً ولن يغلقه أى رجل" (رؤيا –2:8). ذلك هو باب الحرية المدنية والدينية الذى بدأ ينفتح في فيلادلفيا في شمالى أمريكا .. ولسوف تنتشر الحرية عبر العالم" (مكدوجال، 2001، **ص 41**)

وهذا الوضع الجديد للدين في هذه الدول البروتستانتينية يتمشى مع رأى (كالفن) في علاقة الكنيسة بالدولة، حيث يقول: "إن الكنيسة والدولة مقدستان، وقد خلقهما الله؛ لكي يعملا في انسجام كالروح والجسد لمجتمع مسيحي واحد. فعلى الكنيسة أن تضع القواعد التي تنظم التفاصيل الخاصة بالعقيدة والعبادة والأخلاق، وعلى الدولة أن تدعم هذه القواعد باعتبارها ذراع الكنيسة الطبيعي". (ديورانت، 1988، ص 215)؛ ولهذا كان التبشير للعقيدة الكالفنية يهدف لجعل جميع الممالك دولاً مقدسة .. وممالك صغيرة للمسيح ينتخب فيها الشعب الحكام والرعاة، فيكونوا مسئولين جنباً إلى جنب عن تعزيز شريعة الله. يقول جوناثان ميشل سنة 1663: إن تشييد ممالك المسيح في كل المجتمعات .. كان هدفنا، وهمنا في هذه البلاد" (شنيدر، 1964، ص13). وهذا ما فعله كثير من الرواد الذين أسسوا معظم مستعمراتهم؛ لأسباب دينية. فهذا روجرز وليمز الذي كان قسيساً مثقفاً، جلب على نفسه غضب ومعارضة حكام بوسطن البيوريتان، لاختلافه معهم في الرأي بخصوص طريقة الحكم. لقد آمن وليامز بضرورة فصل الكنيسة عن الحكومة، ودعى إلى استقلال كل طائفة لوحدها، وآمن بالحرية الدينية للفرد. وهكذا كان لابد لوليامز من

الرحيل، حيث اتجه إلى جنوب بوسطن، وأسس هناك، مع ما لحقه من أتباع، مستعمرة رود آيلند، التى أصبحت تجمع فيها عدة مستوطنات (النيرب، 1997، ص 38)

"وقد كانت ولاية رد أيلاند هي أول ولاية تفصل بين الدين والدولة، ثم بدأت بقية الولايات الأمريكية تتبع النظام الذي قبلته رود أيلاند في عزل الدين عن الدولة، وفي سنة الحرب الأهلية قالت وثيقة فرجينيا عن الحقوق: الدين أو الواجب الذي علينا نحو الخالق وطريقة تأديته يشرف عليه العقل والاقتناع وحدهما وليس بالقوة أو الإجبار. وهكذا فان كل الناس أحرار في أن يمارسوا المحبة المسيحية وطول الأناة والإحسان نحو بعضهم البعض. وحين كونت الولايات المتحدة الأمريكية جاء في وثيقة الدستور: الكونغرس لا يصدر قانوناً عن دين الدولة أو يمنع ممارسة أى دين من الأديان ... ولا يعني فصل الدين عن الدولة أن الدولة غير معنية بالدين، بل هناك قسوس للكونجرس ومجلس الوزراء الأمريكي، ويوم الأحد وعيد الشكر والميلاد إجازات رسمية، ولا تدفع الكنائس وممتلكاتها ضرائب، وتحمل العملات الأمريكية عبارة "نثق في الله" (بينتون، بدون، ص183:184)

وهكذا أصبح لفصل الدين عن الدولة معنى جديد في ظل المذهب البروتستانتي، إنه توزيع للمهام أو تقسيم للعمل حسب تقاليد النظام الرأسمالي. "فالكنيسة لا تحدد سياسة الأمة. لكن الكنيسه تؤيد حقيقة الرب الذي لابد لهذه السياسات أن تخضع لها" (بلاكر، 2005، ص311) وقد عبر توكفيل عن الطابع الديني لأمريكا بقوله: "عند وصولي إلى الولايات المتحدة كان الطابع الديني للبلاد هو أول ما أثار انتباهي. وكلما طال مكوثي هناك، كلما أدركت النتائج السياسية الكبرى الناجمة عن هذا الحال. ففي فرنسا يتعارض الدين مع الحرية. وعلى العكس، فإن الأمريكيين قد نجحوا في أن يمزجوا بشيء يدعو للإعجاب، بين روح الدين وروح الحرية. فالدين في أمريكا يجب أن ينظر إليه باعتباره أول مؤسسة من مؤسساتهم السياسية" (هنتنجتون، 2009، ص 128).

5.4.2 رأى فلاسفة التنوير في الدين

من الخطأ أن يُظن أن دعاة القومية وفلاسفة الوحدة السياسية، في عصر النهضة والإصلاح الديني، كانوا كلهم ضد الدين أو أنهم أرادوا بناء الدولة علي الإلحاد. فقد أشاد مكيافيللي بالديانات التي حققت مجد روما القديم. وأشاد روسو في (العقد الاجتماعي) بديانات الوثنيين التي جعلت من الوطن موضع عبادة المواطنين ووحدت بين أتباعها وضمنت لهم المجد(كريسون،1982، ص129). وكذا أشاد هيجل بكل دين يشتعل حماسة للوطن. ومن الأفكار الأساسية في مذهب مازيني، أنه لا يمكن وجود مجتمع ولا تقدم مهم دون اعتقاد ديني قوي، وأن الدين هو الشئ الوحيد الذي يمكن أن يدفع المواطن للتضحية وأداء الواجب.

بل وحتى هتلر دعا إلي وحدة الدين والدولة وسعي؛ لبناء دين قومي مرتبط بدم الشعب الألماني وتراثه. ورغم كل ذلك فقد اتفق الجميع على أن الديانة الكاثوليكية بالذات هي ديانة فردية أخلاقية روحانية تعني بأمور السماء وتهتم بما وراء عالم الواقع وليس لها اهتمام بالشؤون الاجتماعية والسياسية أصلا وهى لا تتفق مع القومية وتنقصها الوطنية (صقر، 1995، ص96).

6.4.2 رأى فولتير في الدين:

من المفكرين الذين هاجموا نشاط المؤسسات الدينية الكاثوليكية، الفيلسوف الفرنسي (فولتير) الذي تربى في مدارس اليسوعيين، فوقف على الأساليب، والتصرفات الخطأ لرجال الكنيسة، فكان ذلك محفزاً له على الشك في رجال الدين، ونقمته على المذهب الكاثوليكي ومهاجمته.

"والواقع أن آراء فولتير، تعتبر امتداداً طبيعياً للنزعة التحررية من ربقة السلطة الكنسية والبابوية التي كانت تمارس منظماتها ألواناً من النشاط التدميري؛ لتحقيق أهدافها النفعية. ويبدو لنا أن فولتير يندد بفكرة الاضطهاد الديني أكثر من تنديده بالوظيفة الاجتماعية للهيئات الدينية، ومعنى ذلك أن حملاته ضد الكنيسة الكاثوليكية كان مرجعها إلى تعصبها ضد الطوائف الدينية الأخرى كالبروتستانتية، وآية ذلك أنه يشير في فلسفة التاريخ إلى أن الدين مظهر فطري للمجتمع الإنساني عن طريقه يتحقق السلام والوفاق بين الأفراد والجماعات، فإذا حاد عن وظيفته الاجتماعية الطبيعية أصبح معول هدم، وأساس اضطهاد، وعامل تفرقة ومشاحنات" (الخشاب، ب. ت، ص 113).

ويبدو أن فولتير لم يتخذ موقفاً خاصاً إزاء الدين ذاته. ففي الوقت الذي هاجم وانتقد الكاثوليكية، امتدح البروتستانتية، زاعماً أنها لا تخرج عن حدود طبيعته الدينية إلى الأغراض الملتوية؛ لتحقيق أغراض سياسية واقتصادية. وانطلاقاً من ذلك ابدى إعجابه بالبروتستانتينية، في رسائله عن الإنجليز:

"فقد أثارت دهشته الحرية التي كان يعمل في ظلها الكتاب الإنجليز. فقد كتب (بولينج و واديسون وسويفت) كل ما أرادوا في جو من الحرية التامة. هنا شعب له آراؤه الخاصة به، شعب أصلح دينه وشنق ملكه، واستورد ملكا آخر، وأنشأ مجلسا نيابيا أقوى من أي حاكم في أوروبا. ولا وجود لسجن الباستيل هنا، وهنا ثلاثون مذهباً دينيا بغير قسيس واحد. هنا أشجع المذاهب الدينية جميعاً، مذهب الأصحاب (الكويكرز) الذين أثاروا دهشة العالم المسيحي بأخلاقهم المسيحية" (راسل، 1983، ص258).

7.4.2 رأي كانط في الدين:

سار الفيلسوف الألماني البروتستانتي (عمانوئيل كانط) على نفس النهج في موقفه من الدين، وانتقد ممارسات رجال الكنيسة الكاثوليكية والكثير من طقوسها، حيث قال :

"إن قيمة الكنائس والمعتقدات الدينية تكون بمقدار ما تعاون الجنس البشري على التطور والرقي الأخلاقي، أما إذا تحول الدين إلى مجموعة من المراسيم والعقائد والطقوس الشكلية، فإن هذا يعنى انتهاء أمر الدين وزواله. إن الكنيسة الحقيقية هي جماعة من الناس، مهما بلغ تفرقهم وانقسامهم يجمعهم ويوحدهم ولاؤهم لقانون أخلاقي مشترك. وقد أسس المسيح الكنيسة الحقيقية للقضاء على نفاق ورياء رجال الدين وطقوسهم الشكلية، ولكن ظهر بيننا طبقة كهنوتية طغوا بطقوسهم ومراسيمهم على فكرة الديانة المسيحية الأصيلة النبيلة. لقد قرب المسيح ما بين ملكوت الله والأرض، ولكن أخطأنا في فهمه فاستبدلنا مملكة الله بمملكة الرهبان والقسيسين، التي نشأت بيننا" (راسل، 1983، ص356) .

هذا هو رأي (فولتير) و(كانط) وغيرهم من مفكري عصر التنوير في فرنسا وألمانيا. فكما لاحظنا فإن (فولتير) يمجد الدين في شقه البروتستانتي، وينقم على الدين في شقه الكاثوليكي، وقد عبر عن ذلك بقوله: في فرنسا ينظر الناس إلي على أنني مقل في الدين، وفي إنجلترا على أنني مسرف فيه" (ديورانت، 1998، ص 167). فهي ليست رؤية أحادية للدين ترفضه رفضاً تاماً كما يعتقد بعض مفكرينا، بل هي دعوة إصلاحية للدين تلتقي في النهاية مع أفكار قادة الإصلاح الديني الذين فصلوا الدين عن الدولة، ولكن بدون إلغاء دور الدين في الحياة العامة والخاصة، بل ألغت سلطة رجال الكنيسة فقط، أو بالأحرى نزعت السلطة من يد البابا والكنيسة الكاثوليكية ومنحتها لكافة أفراد الشعب.

8.4.2 نسق الدين ونشأة النظام الرأسمالي

هذا الدور الجديد للدين، في الدول البروتستانتية، ربما يفسر لنا كيف أن بعض الباحثين يذهبون إلى أن النظام الرأسمالي بأسره، هو وليد منظومة القيم الدينية التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني وبالذات القيم الكالفينية (انظر: فيبر، 1990)، لأن الإصلاح الذي وضعه كالفن طمس إصلاح (لوثر) وتفوق عليه في مكان تلاقيهما" (دلماس، 1982 ص 62). وقد اعتبر فيبر البروتستانتية وخاصة في أفكارها الكالفنية مصدر الإلهام الحقيقي لنشأة النظام الرأسمالي، "وربط بين اعتناق الإنجليز لمذهب كالفن من جهة، واعتناقهم للنظم السياسية الحرة وتفوقهم في التجارة والنشاط الاقتصادي من جهة أخرى. فقد كان كالفن يحث أتباعه على احتراف المهن والاشتغال بالتجارة والجمع بين النواحي الدينية والنواحي الدنيوية

المادية. وكان يؤمن بأن التقوى الشخصية هي المرجع الأخير للالتزام الأخلاقي فكل فرد مسئول عن أعماله وسلوكه بدون وساطة، لذلك فإن عليه أن يتحرر من كل سلطة تتحكم في سلوكه ولو كانت الكنيسة أو البابا (صقر، 1995، ص94). ويؤكد فيبر أن الكالفنية شكلت نسقاً ثيولوجياً له معناه، احتوى على عدد من القضايا التي شكلت في مجموعها نسقاً منطقياً له تماسكه واتساقه وتتمثل في الآتي:

1. إن هناك إلهاً واحداً ترانسندنتالياً (متعالياً) ومطلقاً، هو خالق الكون ومالكه، حيث خصائص ومجالات فعله بدون الوحي بعيدة تماماً عن الفهم البشرى .

2. إن هذا الإله قادر على كل الأرواح الإنسانية لأسباب بعيدة تماماً عن الإدراك البشرى، أما (الخلاص النهائي أو الموت والخطيئة الكاملة) فتمثل اعتقادات ثابتة من الأزل إلى الأبد، وليس للإيمان أو الإرادة البشرية تأثير عليه.

3. إن الله لأسباب غامضة تتعلق به، خلق العالم، ووضع الإنسان بمفرده بداخله، وذلك لمضاعفة مجده .

4. قرر الله أن على الإنسان، دون اعتبار إلى أنه قد قدر الخلاص عليه أم الإدانة، أن يعمل لتأسيس مملكة الله على الأرض، وأنه سوف يخضع أثناء ذلك للقانون الإلهي .

5. ترك مسائل هذا العالم ذات الطبيعة البشرية والجسدية لذاتها، بحيث تذهب إلى غير رجعة (إلى الموت أو الخطيئة)، حيث لا مهرب منها إلا باللجوء إلى تحقيق مجد الله" (ليله،1981، ص 507، 508 بتصرف) .

9.4.2 العوامل ذات الصلة بالنظام الرأسمالي

شكلت العناصر السابقة في مجموعها كما يذهب (فيبر) نسقاً قيمياً يحكم ويضبط حركة التفاعل فى النسق الرأسمالي، وشهد النسق الاجتماعي ظهور عوامل ذات صلة بنشأة البروتستانتية ذاتها مثل :

1. سيادة النزعة التقشفية: يرى (فيبر) أنه نظراً للتعالي الكامل لله، والانفصال بين المسائل الدنيوية والسماوية، فإن هذا الوضع استبعد تماماً الاتجاه الصوفي للاتحاد بروح السماء، والاستغراق في إطارها، بل أصبح على الإنسان أن يوجه طاقاته الدينية نحو الاتجاه الإيجابي التقشفي، بدلاً من الاتجاه الصوفي السلبي. فالله لا يمكن الاقتراب منه كليةً، وإنما يمكن خدمته فقط.. "فخدمة الله لا يمكن أن تكون في اتجاه

الاستغراق الكامل في المسائل الحسية لهذا العالم أو التكيف معها، ولكنها تكمن في السيطرة على كل ما هو حي، وفى الخضوع للنظام من أجل مجد الله. ويرتبط بذلك أن العمل من ناحية (وهو قيمة كالفنية) والتقشف، وعدم إنفاق المال فيما هو دنيوي من ناحية أخرى يؤدى إلى التراكم العقلاني لرأس المال" (الخشاب، ب. ت، ص 100).

2. **ازدهار العلم الحديث:** يعتبر ازدهار العلم الحديث من العوامل الهامة لازدهار الرأسمالية، حيث يعتبر (فيبر) ذلك من نتائج الاعتقاد بصيغة الإله المتعالي، فما دام العالم اللامتناهي هو من خلق الله، فأفضل السبل لمعرفة الله هو أن ندرس أعماله.

3. **ازدهار التكنولوجيا:** يرى فيبر أن ازدهار التكنولوجيا جاء نتيجة لرفض المنطق التقليدي لإنجاز الأعمال، فهي تنطوي على أداء أكثر كفاءة لتحقيق مجد الله، كما تمليه القيم الكالفنية.

4. **تقسيم العمل:** تعتبر ظاهرة تقسيم العمل والمهن في المجتمع عند (فيبر) كنتيجة مباشرة للتطور الإلهي للأشياء، فتباين البشر إلى الطبقات والمهن يعتبر بالنسبة (لمارتن لوثر) نتيجة مباشرة لإرادة السماء، فمواظبة الفرد ومثابرته في موقعه في إطار الحدود التي عينها الله له، تعتبر واجباً دينياً.

5. **تقديس العمل:** يرى (فيبر) أن الكالفنية، دعت إلى تقديس العمل؛ لأن هناك اعتراضاً أخلاقياً على الركود إلى الدعة، استناداً إلى ما قد يملكه الشخص. لأن الإنسان على الأرض ينبغي لكي يتأكد من تحقيق مجد الله أن ينجز أعمال الله الذي خلقه في يومها. فلا فراغ ولا متعة، ولكن عليه أن يبدل النشاط فقط؛ لمضاعفة مجد الله وإظهار إرادته الواضحة. "فالكالفني غير المطمئن إلى انتخابه، كان يفتش عن ازدهار أشغاله المثمرة، وحيث إنه لم يكن واثقاً من نجاحه لينصرف إلى الراحة، عمد إلى تشغيل أمواله مرات عديدة، وجني أرباحاً عظيمة بطريقة حسابية دقيقة" (دلماس، 1982، ص 63).

6. **إضاعة الوقت:** يعتبر إضاعة الوقت ذنباً دينياً؛ لأن حياة الإنسان قصيرة جداً وقيمة، ومن ثمَّ فإضاعة الوقت من خلال الفراغ والترف أو النوم بأكثر مما تحتاجه الصحة، يجلب الإدانة الأخلاقية. فضياع ساعة وقت تعنى ضياع ساعة عمل في تأكيد مجد الله. وعلى ذلك فالتأمل السلبي لا قيمة له، ويستحق الإدانة. فليس أسعد لله من الإنجاز الإيجابي لإرادته.

7. **التبرير الديني لتخفيض الأجور واستغلال العامل:** يؤكد (فيبر) أن رفع أجر العامل يعنى أنه سوف يجد لديه أكثر مما يحتاجه؛ لإشباع حاجاته التقليدية، وبالتالي سوف يدفعه ذلك إلى التقليل من كم

العمل. ولما كان الإنسان الذي لا ينتج مادامت لديه الصحة والقدرة، هو الإنسان الذي يغفل مسئولياته الأخلاقية، فإن تخفيض أجر العامل تكون له مبرراته الدينية. فيجب علينا كما يقول (فيبر) أن نأخذ بالحكمة الكالفنية التي تقول: "أن البشر يعملون فقط ماداموا فقراء" (ليله،1981، ص 507).

وهكذا شكلت العناصر السابقة المستمدة من المذهب البروتستانتي، في مجموعها كما يذهب (فيبر)، نسقاً قيمياً، كان مصدر الإلهام لنشأة النظام الرأسمالي. "فالديانة التي استصلحت أصلحت بدورها الخلق الاقتصادي. لقد كانت تخشى تراكم الثروات، ولكنها كانت تحارب سوء استعمال الثروة لا تجميعها، وحكماء إنكلترا المجددون، حاولوا الجمع بين روح الأعمال ومقتضيات العقل، ومن هنا نشأ مبدأ المنافسة والصراع" (دلماس، 1982، ص 62) .

5.2 المبحث الرابع : الدين ودوره في تشكيل الهوية الأمريكية

في كتابه الجديد (من نحن؟ تحديات الهوية الوطنية الأميركية) يحاول (صموئيل هنتنغتون) تحديد الهوية الحقيقية لأمريكا؛ حيث يرفض فكرة أن الولايات المتحدة، هي مجتمع من المهاجرين متعددي الأعراق والإثنيات والثقافات، ويرى أن الأميركيين الذين أعلنوا استقلال أميركا عن الاستعمار البريطاني في أواخر القرن الثامن عشر، كانوا مجموعة متجانسة من المستوطنين البريطانيين البروتستانت، الذين توافدوا إلى العالم الجديد من أوروبا، وخاصة بريطانيا؛ لكي يستقروا فيه ويعمروه للأبد. ويرى أن هؤلاء المستوطنون وضعوا بذور المجتمع الأميركي، انطلاقاً من مبادئهم وثقافتهم الأنجلو . بروتستانتينية التي لولاها لما قامت أميركا، التي نراها اليوم، ولذا يرى هنتنغتون أن لأميركا هوية محددة هي هوية هؤلاء المستوطنين، التي تقوم على ركائز أربع أساسية، هي: العرق الأبيض، والإثنية الإنجليزية، والدين المسيحي البروتستانتي، والثقافة الإنجليزية البروتستانتينية. ويعتقد هنتنغتون أن الخصائص الأربع السابقة، انعكست بوضوح على جميع خصائص المجتمع، والدولة بالولايات المتحدة، وظلت سائدة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً (انظر: هنتنغتون، 2004).

1.5.2 القيم الدينية تؤسس العالم الجديد

القارئ لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية منذ تأسيسها، يمكنه أن يلحظ إلى أي حد مثلت القيم الدينية البروتستانتية أساساً، أقيم عليه العالم الجديد. فقد رأى الأمريكيون أنهم " شعب مختار خلص من العبودية إلى (أرض الميعاد)" (مكدوجال، 2001، ص 42). فقد جاء البيوريتانيون . الذين أسسوا مستعمرة خليج

ماساتشوستس إلى العالم الجديد بدوافع دينية إلى حد ما، "لكي يحيوا حياتهم بالشكل الذي يتماشى مع رؤاهم الدينية، حيث تعذر ذلك في إنجلترا خلال الحكم العدائي لجيمس الأول، وشارلز الأول (انظر:النيرب، 1997، ص39)، ورأى الكثير منهم أنه من الأفضل لهم الذهاب إلى مكان آخر، لممارسة معتقداتهم؛ لذا قام البيوريتانيون بتأسيس مستعمرة خليج ماساتشوستس في عام 1630م وخلال العقد التالي هاجر أكثر من عشرين الف بيوريتاني إلى هذه المستعمرة" (كوربت، 2002، ص 43). وعند وصولهم عقدوا عهداً مع الرب وبعضهم بعضاً، ببناء مجتمع يقوم على أساس القانون الإلهي. فعملوا على تأسيس مدينة تقف أعلى التل (أي مدينة فاضلة) تكون محط أنظار العالم أجمع.

- "إن أي إنسان يدان قانونياً بعبادة إله غير إلهنا سوف يعدم .
- إن كل من يعمل بالسحر رجلاً كان أو امرأة (يلجأ للاستعانة بالأرواح) سوف يعدم.
- إذا ما قام أي إنسان بسب الرب (الأب أو الابن أو الروح القدس)، سواء بالتعبير الصريح أو بالتجريح، أو عن طريق العمد، أو يلعن الرب بأسلوب مماثل سوف يعدم.

تلك مختارات من قوانين الإعدام، التي تشكل جزءاً من هيئة الحريات بماساتشوستس لعام 1641م، حيث حدد البيوريتانيون (التطهريون) اثنتي عشرة جريمة يعاقب فيها المرء بعقوبة الإعدام، وحرصوا بشكل جاد على استخدام كل من المنظمات السياسية والدينية في صياغة رؤيتهم للمجتمع، على أساس معتقداتهم الدينية" (كوربت، 2002، ص 93) .

وهكذا لعب الدين دوراً مركزياً في حياة الأمريكيين منذ السنين الأولى "فأمريكا هي الأمة الوحيدة في العالم التي شيدت على أساس الإيمان" (برستوفتز، 2003، ص5). ويصبح المرء أمريكيا عبر اعتناق جملة الطروحات الواردة فيما أطلق عليه (امرسون) اسم (تجربة دينية). "واليوم يعتقد الكثيرون في الولايات المتحدة، بأن الدولة مكلفة بمهمة خاصة، ويتعين عليها أن تكون مثالاً يحتذى به في العالم أجمع. ويشعر كثير من الأمريكيين بأن الولايات المتحدة هي الأرض المختارة التي أسبغ الرب عليها نعمته" (كوربت،2002، ص50). وقد نسب الوعاظ الاستقلال الأمريكي إلى يد العناية الإلهية الواثقة: "هنا أعد الرب ملجأ للمضطهدين في كل مكان من العالم" (مكدوجال، 2001، ص 41)

ويمكننا الحصول على صورة لا بأس بها، عن أثر الدين في الحياة الأمريكية، إذا لاحظنا أنه كانت توجد مقاعد في الكنائس عام 1860م تتسع لستة وعشرين مليوناً من السكان، الذين بلغ إجمالي عددهم 31 مليوناً. وتدل هذه الأرقام على أن المرء لو زار الولايات المتحدة يوم أحد في تلك الفترة لوجد على الأرجح أن أكثر من نصف الناس كانوا في الكنيسة. "وقد لاحظ (توكفيل) في ثلاثينات القرن التاسع عشر

أن الأمريكيين كانوا الشعب الأكثر تدينا" (النجار، 1986، ص43)، وقد بقي ذلك صحيحاً إلى اليوم. "ففي أي عطلة أسبوعية، سيبادر ما يزيد على نصف مجموع الأمريكيين إلى الذهاب إلى إحدى دور العبادة، مقارنة بنسبة تتراوح بين 10، و20، بالمئة في أكثر البلدان الأوربية وكندا". (برستوفتز، 2003، ص52). كما لاحظ (جيمس برايس) وهو زائر بريطاني للولايات المتحدة في ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي "أن رجال الدين كانوا أبرز مواطني أمريكا، وأنهم كانوا يحصلون على قدر من النفوذ كثيراً ما يفوق في اتساعه وقوته نفوذ أي رجل عادى علماني" (مارسدن، 2001، ص 112). كما كانت القوة الدافعة لتحريم الخمر في أمريكا هي الحملة البروتستانتية التي انخرط فيها الليبراليون والمحافظون البروتستانت. "وقد وصف أحد الكتاب (جمعية مناهضة الحانات) التي تأسست في 1895م على أنها في الحقيقة فرع الكنائس الميثودية المعمدانية؛ حيث أيد بشدة جميع البروتستانت الأمريكيين تحريم الخمر، ولم يكن هناك إلا بعض الاستثناءات" (كوربت، 2002، ص 115) .

2.5.2 أمريكا ولاهوت الاستعمار العبراني (أمريكا وإسرائيل ووحدانية النشأة)

ألقى القس ونثروب، موعظة في الحجاج على متن السفينة أربيلا، أكد فيها على العهد الجديد بين الإسرائيليين الجدد وبين يهوه، وعلى الرسالة التي يحملونها إلى مجاهل أرض كنعان الجديدة قائلاً:

> "إننا سنجد رب إسرائيل بيننا عندما سيتمكن العشرة منا من منازلة ألف من أعدائنا، وعندما سيعطينا مجده وأبهته، وعندما يتوجب علينا أن نجعل من نيوانغلاند مدينة على تل، وهذا التعبير رمز لأورشليم ولصهيون أيضاً، وما يزال يستخدم إلى الآن للدلالة على المعنى الإسرائيلي لأميركا، وقد استخدم آخر أربعة رؤساء أميركيين هذا الرمز في مناسبات مختلفة : ريغان، بوش الأب، كلينتون، بوش الابن" (نقلاً عن: العكش، 2002، ص 127).

ولو عدنا إلى الوراء قليلاً وتوغلنا في التاريخ الأمريكي، لوجدنا كثيراً من وجوه التشابه في إنشاء الوطن الأمريكي، وإنشاء دولة إسرائيل، وخير ما يوضح هذا التشابه هو كتاب (مورتن) المسمى (كنعان الجديدة الإنجليزية) فإنه يعبر أصدق التعبير عن روح فكرة أمريكا، التي هي الفهم الإنجليزي التطبيقي لفكرة إسرائيل التاريخية، حتى إن قصة هؤلاء الحجاج الإنجليز، الذين أسسوا أول مستعمرة في أمريكا، إن هي إلا تجسيد لإنجلترا الجديدة الأصل الأسطوري للتاريخ الأمريكي ومركزيته الأنجلوسكسونية. "وفي كل عام يحتفل كل بيت أمريكي بعيد الشكر، وهو تعبير عن النهاية السعيدة الناجحة (لمن هرب) من ظلم الفرعون البريطاني ونجاتهم وخروجهم من أرضه والتيه في البحر؛ ولذلك صنعوا (العهد) الذي أبرموه على ظهر

السفينة، التي حملتهم إلى أمريكا الجديدة مع (يهوه)، حتى وصولهم إلى أمريكا- التي في نظرهم أرض كنعان الجديدة" (عبد الحكيم، 2005 ص 37).

ونلاحظ أن كل تصورات (العبرانيين القدامى) وأفكارهم عن الحياة قد زرعها هؤلاء الإنجليز، الذين هاجروا إلى أمريكا، حتى الأسماء التي سموا بها المدن في أمريكا هي أسماء عبرانيه قديمة كالتي أطلقها اليهود على أرض فلسطين مثل: أرض الميعاد، صهيون، إسرائيل، واستعاروا كثيراً من سلوك اليهود عند إبادتهم سكان كنعان فشبهوا إبادة الأمريكان للهنود بإبادة اليهود لسكان كنعان. "كما أن هناك كثيراً من التشابه القصصي والتقمص التاريخي لاجتياح العبرانيين أرض كنعان (أرض فلسطين). لقد كانوا يبيدون الهنود وهم على قناعة بأنهم عبرانيون قد اختارهم الله لهذه المهمة وفضلهم على العالمين. وأكثر من ذلك أعطاهم تفويضاً بقتلهم" (السقا، 2003، ص 9). يقول (منير العكش) في كتابه (حق التضحية بالآخر): "إن فكرة إنشاء أمريكا قامت على فكرة إسرائيل التاريخية، وإن ما يعانيه الفلسطينيون هو ما عانى منه الهنود الحمر، فالرواد الأمريكيين الأوائل وصفوا أنفسهم بأنهم الإسرائيليون، وأطلقوا على السكان الأصليين الكنعانيين. واتهم المستوطنون الأوائل بإبادة 112 مليون هندي أمريكي بالسلاح والتجويع وحتى بالأوبئة". وتحت عنوان المعنى الإسرائيلي لأمريكا يضيف:

> "إن فكرة أمريكا.. فكرة استبدال شعب بشعب، وثقافة بثقافة، عبر الاجتياح المسلح وبمبررات غير طبيعية، هي محور فكرة إسرائيل التاريخية. فعملية الإبادة التي تقتضيها مثل هذه الفكرة مقتبسة بالضرورة بشخصيات أبطالها، الإسرائيليين، الشعب المختار، والعرق المتفوق وضحاياها الكنعانيين.. الملعونين.. المتوحشين.. البرابرة ومسرحها أرض كنعان وإسرائيل ومبرراتها الحق السماوي، أو الحضاري، وأهدافها الاستيلاء على أرض غيرهم، واقتلاعه جسدياً وثقافياً" (العكش، 2002، ص124).

ولما كان المجتمع الأمريكي، مثل المجتمع العبراني، مؤسساً على اجتياح أرض غيرهم، كان لابد من تشريع هذا الاجتياح واقتلاع شعب من أرضه بزعم الحق الإلهي، عن طريق استبطان أسطورة أرض الميعاد، بالزعم أن ما يبدو اغتصاباً، إنما هو تنفيذ لإرادة إلهية، وقد "تشابهت في هذه العقدة النفسية، التي احتاجت إلى نظرية أرض الميعاد، مجتمعات عديدة يجمعها اجتياح أرض الآخرين، ومحاولة إبادتهم، وهى أمريكا وإسرائيل والنظام العنصري البائد في جنوب إفريقيا" (سحاب، 2003، 17، فبراير). فكما وضحنا إن فكرة قيام أمريكا وهي (استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة) عبر السطو المسلح وبمبررات غير طبيعية، هي نفسها فكرة (إسرائيل التاريخية)، التي أوحت إلى أمريكا بأن هناك قدراً خاصاً بها. ويمكن ملاحظة

مثل تلك المبررات من خلال تصريحات بوش والمسئولين الأمريكيين إبان غزو العراق، (السلام العالمي، الإرهاب الدولي، أسلحة الدمار الشامل، نشرالديمقراطية ...الخ).

"فكل هذه المبررات لاحتلال وغزو منطقة بتاريخها، والسيطرة عليها وعلى ثرواتها، حسب الاعتقاد الأمريكي هو قدر خاص بأمريكا، وبمشيئة الرب، (ولها) جذور تاريخية واعتقاد راسخ يضرب جذوراً عميقة في الذاكرة الأمريكية، وهو واضح في معظم المناسبات الدينية والوطنية، وكل خطابات التدشين التي يلقيها الرؤساء الأمريكيون، الذين يصرحون بعبارات منها: أن إرادة الله ، القدر، حتمية التاريخ .. إلخ، قد اختارت الأمة الأمريكية المتفوقة وأعطاها التاريخ دور المخلص في حق تقرير الحياة والموت والسعادة والشقاء لسكان العالم، ومن هذه العبارة القدرية أجريت الجراحة التجميلية المزيفة للمعنى الإسرائيلي لأمريكا وفكرة الاختيار والتفضيل الإلهي" (السقا، 2003، ص 12، 13).

وبناء على ما تقدم فإننا لا يجب أن نندهش حين يرحب الأمريكيين بالمجازر التي يرتكبها جيش الاحتلال حالياً على أرض فلسطين. فالأمريكيون يربطون ربطاً لازماً بين مصير الهنود الحمر ومصير الفلسطينيين. يقول وليم فوكسويل:

"إن فيلسوف التاريخ وهو القاضي النزيه يرى أن من الضروري زوال شعب متخلف؛ ليخلى مكانه لشعب آخر ذي ملكات متفوقة. فقد يؤدى الاختلاط بين العروق البشرية إلى نتائج مدمرة". وهذا ما أتاح لصاحبنا أن يخلص فيما يخص الكنعانيين إلى ما يأتي: كان من حسن حظ التوحيد ومستقبله، إن الإسرائيليين المجتاحين كانوا شعباً متوحشاً يملك تلك القوة البدائية مع إرادة للحياة لا نظير لها، فإبادة الكنعانيين قد حالت دون الانصهار التام للشعبين المنحدرين من أصل واحد، ولو قدر لهذا الانصهار أن يقع، لعمل دون شك على إضعاف ديانة يهوه إلى حد بعيد" (جارودي، 1991، ص 38).

وفي كتابه (فلسطين الجانب الإنساني) أورد ويكفيلد عبارة لراينهولد يقول فيها: "إن الزعم بأنه من غير الأخلاقي دولياً أن تؤخذ فلسطين من العرب وتعطى لليهود، زعم عار من الصحة، اللهم إلا إذا صح الزعم بأن المستوطنين الأوربيين لم يكن من حقهم أخذ الأرض من الهنود الحمر؛ ليستوطنوها، ويجعلوا منها القارة الأمريكية العظيمة" (العكش، 2002، ص 170). ويقول الحاخام (لي ليفنجر):

"إن مؤسسي أمريكا كانوا أكثر يهودية من اليهود أنفسهم، وهم على حسب ما يزعمون (يهود الروح) الذين عهد الله إليهم كما عهد إلى يهود (اللحم والدم)، قبل أن يفسدوا ويتخلوا عن أحلام المملكة الموعودة. ويضيف مخاطباً المهاجرين الأوائل قائلاً: إن يهوديتكم أيها المهاجرون إلى العالم الجديد هي التي أرست الثوابت الخمسة التي رافقت التاريخ الأمريكي في كل محطاته:

1- المعنى الإسرائيلي لأمريكا.
2- عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي والتفوق العرقي والثقافي والفكري .
3- الدور الخلاصي للعالم.
4- قدرية التوسع اللامحدود.
5- حق التضحية بمن سواهم وإبادتهم واعتبارهم – كما تقول التوراة والتلمود – جنسا محتقراً لا لزوم له ما دام ليس يهوديا" (السقا، 2003، ص 10).

وهكذا فقد اقتدى الأمريكيون في المبادئ الخمسة بعلماء اليهود وبحرفية كل ما جاء في التوراة . "فالتفسير النزيه للتقاليد الكتابية التي تأمر بالأعمال الفظيعة، وجرائم الحرب، قد قدمت العزاء والسلوى لأولئك المصممين على استغلال الأراضي الجديدة على حساب الشعوب المحلية. وهناك دليل وافر بأن الكتاب المقدس كان ولا يزال إلى حد ما، المثل الأعلى الذي يسعى إلى استلاب الأرض بالفتوحات" (برير، 2004، ص 24). وهنا يتضح أن سياسة أمريكا تجاه شعب أمريكا الأصلي هي نسخة طبق الأصل عن النموذج التلمودي اليهودي لعلاقة اليهود بالغرباء، حيث يطالعنا الموقف عينه من الناس كأنهم دواب، والوحشية الفظيعة نفسها، والشعور بأن كل شيء مباح. كما أن أراضي الهنود وأملاكهم لا تخص أحدا مشاعاً يعيد إلى الأذهان أحد معايير التلمود الرئيسة، الذي يعتبر ملكية غير اليهود (بحيرة شاغرة). وانطلاقاً من هذا المبدأ اتخذت الحكومة الأمريكية في عام 1899 م إجراءاً جديداً؛ لنهب أراضى الهنود وبدأ تنفيذ حملة (السباق) لعموم أمريكا. وقد جاء في نداء الحكومة الأمريكيه:

> "إن على كل مواطن أمريكي أبيض يرغب في الحصول على أرض مجانية الحضور في الثاني والعشرين من نيسان 1899م إلى خط محدد مسبقاً. ففي الثامنة من صباح ذلك اليوم ستعطى إشارة الانطلاق. ولسوف يحصل كل متسابق على تلك القطعة من الأرض التي يستولي عليها قبل غيره، دون أي مقابل وسوف يربح . أكثر من يجري أسرع . لقد شارك في هذا (السباق) الآلاف من البيض الراغبين في الإثراء على حساب الهنود. كان كل متسابق يحمل قطعة من القماش الأبيض وكانت قطعة من الأرض الهندية نصيب أول من يصل إليها، ويركز قطعة القماش عليها. وعلى هذا النحو حققت الروح التلموديه النصر على الأرض الأمريكية". (بلاتونوف، 2002، ص 23) .

3.5.2 ثقافة أهل الحدود

في ظل اعتقاد الأمريكيين أن ما يقومون به من احتلال ونهب لأراضي غيرهم، ما هو إلا تنفيذٌ لإرادة إلهية، وأن الله منحهم هذا الحق، فإنه كان طبيعياً أن تنشأ لديهم ثقافة جديدة سماها بعضهم بثقافة أهل الحدود، والتي لا تضع حداً لأطماع الأمريكيين في أراضى غيرهم. يقول (جارودى): "فبالنسبة للعلاقة مع

الطبيعة لم تكن لـ (الحدود) طوال أكثر من قرن نفس المعنى، الذي كانت تعنيه في أوروبا، كانت الحدود الأمريكية دائماً مساحة مفتوحة حتى نهاية القرن التاسع عشر، ولم تغلق تلك الحدود رسمياً إلا بالوصول إلى المحيط الهادي" (جارودي، 2002، ص49). فقدر أميركا الأبدي هو الغزو والتوسع، إنها مثل عصا موسى، التي صارت أفعى وابتلعت كل الحبال. هكذا ستغزو أميركا الأراضي وتضمها إليها أرضاً بعد أرض، ذلك هو قدرها المتجلي، أعطها الوقت، وستجدها تبتلع في كل بضع سنوات مفازات بوسع معظم ممالك أوروبا، ذلك هو معدل توسعها" (العكش، 2002، ص 105).

والقدر المتجلي، لا يعنى للأمريكيين سوى أن تظل تلك المساحة الشاسعة داخل أمريكا وفي العالم، مسرحاً للنهب والسلب وتدمير الغابات الكثيفة بحثاً عن مناجم الذهب والفضة، التى بدأت أولاً بطرد الهنود للاستيلاء على أراضيهم ووضعهم بين خيارين: إما الإبادة، وإما النفي والانسحاب إلى المعزل. وبعد ذلك كانت العلاقة بين البيض أنفسهم خاضعة لأحكام قانون الغاب؛ لنهب الثروات المسروقة من الهنود أرضاً كانت أم ذهباً. فقد كان النيوانجلانديون ميالين لاعتبار كل ما هو محيط بهم على أنه برية تنتظر حضارة منظمة تستنقذها" (بيري، 1990، ص 58). وقد عبر عن طموح الولايات المتحدة مجسداً في رسالتها التوسعية الخالدة، العديد من رجال الدولة والزعماء؛ مما يؤكد أنها جزء من ثقافة اجتماعية سائدة، وإن صيغت الرؤية بعبارات متباينة.

"إن فكرة: "الأمريكيون هم شعب الله المختار"، عبر عنها صراحة (توماس جفرسون) في خطابه الرئاسي الأول عام 1801م، وسبقه أيضاً جورج واشنطون أول رئيس للولايات المتحدة؛ إذ قال في خطاب رئاسته: أنه موكل بمهمة عهدها الله إلى الشعب الأمريكي، وذلك في عام 1789م ، ومن بعده قال (جون آدمز) الرئيس الأمريكي الثاني: إن استيطان أمريكا الشمالية تحقيق لمشيئة إلهية. وقال (تيودور روزفلت) "أمركة العالم هي مصير وقدر أمتنا" (جلال، 1997، ص 227) .

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الرغبة في التوسع والنمو الطفيلي لهذا الكائن الحي المتوحش، كارثية، حيث تقلص معنى الحياة، وساد قانون الأقوى في حرب الجميع ضد الجميع، ولم تلعب التطهيرية المسيحية أي دور سوى دور المبرر لتلك الأفعال والعلاقات الاجتماعية بل والمحرك لها. وأصبح العنف الأكثر دموية والتحريض عليه بنفاق المتدينين ملمحاً دائماً في تاريخ الولايات المتحدة منذ نشأتها. فقد "قدم المتطهرون من الإنجليز الأوائل إلى الولايات المتحدة حاملين معهم العقيدة الأكثر دموية في تاريخ البشرية، ومسلحين بفكرة (الشعب المختار) مقننين فكرة الإباده وكأنها حسب روايتهم أوامر إلهيه. كانوا

يسرقون أراضى الأهالي الأصليين طبقاً لتعاليم يهوا (إله الحرب) في العهد القديم هذا الإله الذي أمر شعبه المختار، بإبادة وذبح السكان القدامى في أرض كنعان واغتصاب أرضهم" (جارودي، 2002، ص49) .

4.5.2 أمريكا تقف في صف الله وتنفذ إرادته

لم يقف أثر الأفكار الدينية عند هذا الحد، بل ساعدت التقاليد البيوريتانية في تشكيل فهم الأمريكيين لأنفسهم فهماً جماعياً؛ إذ لدى الأمريكيين استعداداً للاعتقاد بأن الازدهار الوطني الدائم الذي ينعمون به يعود إلى ما يتحلون به من فضيلة. وعندما تبدو الأمور وكأنها تسير نحو الأسوأ درج القوم على تقليد وطني قديم يزعم أن الأمة تواجه المصائب لأن الناس فقدوا الفضائل المفترضة التي تحلى بها أجدادهم. وقد أطلق على هذا النوع من التفجع الوطني اسم (الأرميادة) نسبة إلى النبي أرميا، الذي ورد في العهد القديم، وما يحمله السفر المسمى باسمه من نذر وتشاؤم بسبب ابتعاد إسرائيل عن الله، وعن قواعد الأخلاق القويمة. "وظهرت الأرميادة في المواعظ البيوريتانية لأول مرة قبل نهاية عقد السبعينات من القرن السابع عشر الميلادي، وذلك حال ظهور الجيل الثالث من المستعمرين" (مارسدن، 2001، ص 27). "وبعد قرن من وصول البيوريتانز، خلص المستعمرون إلى أن التقوى الدينية كانت في انحسار، وفرص الصحوة الروحية كانت تتضاءل. وقد أفضى ذلك إلى وقوع أول إحياء أمريكي كبير فيما يعرف بالصحوة الكبرى في القرن الثامن عشر". وبسبب ذلك الإحياء أصبحت أمريكا أكثر الأمم المسيحية تديناً على مر العصور" (بلاكر، 2005، ص64-67).

> "وفي منتصف القرن السابع عشر، ساد اعتقاد بأن الله عاتب على شعبه الجديد، وأن هناك بوادر خصومه عبر عنها (ميخائيل وورث) أحد أكبر شعراء عصره في قصيدة ملحمية بعنوان (خصومة الله مع نيو انغلند) ندب فيها فشل المستعمرين في أداء واجبهم الرسالي. وتبدأ الملحمة بمقدمة طويلة تصف شيطانية الهنود وظلاميتهم ووحشيتهم، وكيف أن هؤلاء العماليق والكنعانيين الملعونين تنطحوا لمحاربة رب إسرائيل، ثم انهزموا مذعورين أمام جنوده ؟! وهناك عشرات المحاولات لتقليد هذه القصيدة الملحمية من قبل شعراء ثانويين، كلهم ردوا غضب الله إلى خيانة العهد معه، ودعوا إلى تجديده كما فعل العبرانيون القدامى" (العكش، 2002، ص 127).

وهكذا منذ ظهرت أمريكا، كان التبرير الديني حاضراً، من خلال الاعتقاد بأنها في كل ما تفعل تقف في صف الله وتنفذ رغباته. ومن هنا لا يمكن فهم السياسه الأمريكية الداخلية والخارجية بعيداً عن أثر القيم الدينية البروتستانتية، والتى كانت ولازالت تحتل دوراً مركزياً في توجيهها .

"إن نظرة شاملة لطرق تفاعل الدين والسياسة في أمريكا، منذ التاريخ المبكر للهجرة إلي أمريكا، وبناء المستعمرات، وحتى الآن، ستجعلنا نتبين أنه لا يمكن فهم التاريخ الأمريكي المعاصر دون فهم جدلية العلاقة بين الدين والسياسة، التي تعد المنظور الكامل للتاريخ الأمريكي، حيث إن جذور الأحداث، التي تعرفها أمريكا المعاصرة، تضرب بجذورها في أعماق التاريخ والثقافة الأمريكية. وتعد العلاقة بين الدين والسياسة أحد أهم المؤثرات فيهما والمحركة لهما" (كوربت، 2002، ص 18) .

فالهنود الحمر، مثلاً، كانوا أشباه بشر، وأبالسة من أعماق الجحيم، وأعداء للمسيح؛ ولذا، فإن أبادتهم كانت عملاً خيراً من أجل المسيح وضد الشيطان إبليس عليه لعنة الله. ودائماً بشكل لحوح مستمر ومتواصل كان كل من استهدفته أمريكا شيطاناً (إبليس) أو من زبانية الشيطان (إبليس). وبالتالي كان قتال أمريكا له عملاً مقدساً من أعمال الله على الأرض. "فكانت أمريكا بمحاربتها أسبانيا لأخذ مستعمراتها منها قائمة بعمل الله على الأرض، وقائمة بدور الملاك جبرائيل في قتاله مع إبليس. وعندما اعتبرت الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي، بعد الحرب العالمية الثانية، منافساً خطراً لها، بات الاتحاد السوفيتي هو إبليس وقامت أمريكا بدور جبرائيل، دفاعاً عن المسيح" (مقار، 1992، ص 415).

ولما كان تاريخ الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر هو في الأساس تاريخ القضاء على الهنود، واستغلال العبيد الزنوج، فقد ظهر خلال هذه الفترة أبشع أنواع النفاق الديني فيما يخص الهنود، يقول أحدهم: "واضح أن الله يدفع المستوطنين للحرب، بينما يعتمد الهنود بعدتهم وعددهم على ارتكاب الخطأ مثل القبائل القديمة، يتحينون الفرصة لفعل الشر مثل قبائل (الأماليسيت) القديمة والفلسطينيين الذين كانوا يتحدون مع آخرين لقتال إسرائيل" (جارودي، 2002، ص 50). كما ظهر لأول مرة، ما أصبح المبدأ المحرك لكل الاعتداءات المستقبلية التي ستقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية عبر العالم أجمع، ويتمثل هذا المبدأ في اعتبار كل عدوان أو إباده تقوم بها الولايات المتحدة نوعاً من (الدفاع الشرعي)، وحق مقدس للرجل الأبيض؛ لتنفيذ الرسالة الإلهية الملقاة على عاتقه. فالرسالة التي ألقيت على عاتق الأمة الأمريكية التقية، هي رسالة إلهية .... فهذه الأمة التي وصفها أيزنهاور بأنها (تحب الله كثيراً ويبادلها الله حباً بحب) مكلفه تبعاً لذلك بتنفيذ مخطط الله للخليقة، ذلك المخطط الوارد بحرفيته في التوراة، وسائر أسفار العهد القديم" (مقار، 1992، ص 409).

فتعابير مثل (شعب أخص) و(شعوب مختارة)، هي تعابير مهمة وحاسمة، لا توجد فقط في الأدبيّات السياسية لليمين الأمريكي، ولكنها توجد أيضاً، في الثقافة الأمريكية عموماً، وهو الإيمان بأمريكا (مختارة) بشكل خاصّ، وهو ما يصبح عند السيدة (مادلين أولبرايت)، هو الإيمان بـ(أمّة ضرورية)، سواء كانت

منتخَبَة من الرب أم من القَدَر أم من التاريخ، أو بكل بساطة أمريكا مدعوَّة إلى العظمة وإلى القوة؛ لأنه مفروض أنها تمتلك أكبر وأقدم ديمقراطية وأكثرها تطوّراً. هكذا سيقول (ويلسون) إن أمريكا لَهَا الامتياز اللامتناهي لأداء قدَرهَا وإنقاذ العالَم. والأمثلة كثيرة على هذه المكانة التي يمنحها الأمريكيون لبلدهم، وهي مكانة تتجاوز المنطق، وتذهب بعيداً في مسار نبوئي وتبشيري. وهناك مقطع لهرمان ميلفيل: "نحن الأمريكيين شعب مختار مميز . إسرائيل هذا الزمان، إننا حاملون لتابوت عهد حريات العالم" (برستوفتز، 2003، ص 28). لقد صوَّر الرب أشياء كثيرة لعرقنا، والبشرية تنتظر هذه الأشياء. إننا في قلوبنا نحس بهذه الأشياء. أمّا باقي الأمم فستَسير، قريباً، خلفنا. إننا روَّاد العالَم، الطليعة التي تم إرسالهَا من خلال غابة الأشياء التي لم تتحقق، لشق طريق في هذا العالَم الجديد الذي هو عالَمنَا" (ليبفين، 2005، 23، تموز، يوليو).

5.5.2 التباين في الثروات

لم يكن غريباً أن (مارتن لوثر) مؤسس المذهب البروتستانتي، "اعتبر الملكية معياراً للتفريق بين الإنسان والحيوان، ولهذا اتهم القديس الأسيزي بأنه مختل العقل، طائش أحمق شرير لمجرد أنه كان يطلب من أتباعه إن يتخلوا عما لديهم للفقراء. ومنذ نزولهم في جيمس تاون عام 1607م، لم يستطع القديسون أن يميزوا بين السماء وعجل الذهب "لقد وجدنا أرضا واعدة أكثر من أرض الميعاد فبدلاً من اللبن وجدنا اللؤلؤ وبدلاً من العسل وجدنا الذهب" (العكش، 2002، ص117). وعندما انطلقت دعوة الدارونية الاجتماعية وجدت الكنيسة فيها مبرراً للاستيلاء على ثرواث الآخرين، واعتنقها عدد غير قليل من رجال الدين الأمريكيين، منهم الكاهن (جوسيان سترونج)، الذي قال: "إنه طبقاً لصراع وتفوق النوع الأنجلوسكسوني، يظهر في أمريكا نوع من الناس كبار الأجسام أقوياء فارعي الطول، إن العنصر الأمريكي سوف يملأ القارة، ويزحف نحو الأقطار الأخرى في أمريكا، وما وراءها وستكون نتيجة هذا الزحف تفوقه والقضاء على الأجناس الأخرى؛ لأن البقاء للأصلح" (عماد، 2003، ص 19) .

ولما كانت الحيوانات (حسب دارون) غير متساوية وأن أفضلها هو أقواها وأقدرها على التكيف مع متطلبات البيئة، فكذلك البشر، هم مختلفو القدرات، وأفضلهم هم أقدرهم على التكيف خلال عملية الصراع من أجل البقاء؛ ولذلك فإن المساواة فكرة خاطئة تكرس التخلف والمرض في المجتمع، أما حرية الصراع فإنها تولد الشجاعة والذكاء والعمل. وهكذا لعبت القيم الدينية المستمدة من التوراة دوراً رئيساً في تبرير الغنى والفقر، الذي انعكس بدوره على القيم التي يقوم عليها النظام الرأسمالي برمته، حيث يعتقد الأصوليين الأمريكيون أن ما تتمتع به أمريكا من رخاء وثراء، وتفوق دليلاً لا يدحض أن الله ذاته يوافق

الأمريكيين على إيمانهم بأنهم هم العالم، وأنهم المكلفون بتنفيذ مشيئته والقيام بعمله على الأرض، ويكافئهم على ذلك بالرخاء والثراء والقوة" (مقار، 1992، ص 414). وهكذا أوجد الإيمان بهذه الأفكار تبايناً صارخاً في الثروات، ووصف مدير إحدى الشركات الأمريكية، النظام الأمريكي بقوله: " لقد أفرز نظام الرأسمالية الاستعمارية، تفاوتاً وعدم مساواة بين الأمم على صعيد العالم كله، وهو أمر آخذ في التزايد. وهناك 358 ملياردير يتربعون علي ثروة مجمعة تعادل إجمالي ما يملكه أفقر 2.5 مليار إنسان على ظهر الأرض" (زلوم، 2003، ص13) .

6.5.2 السير على هدى وصايا يهوه

قرنت نصوص التوراة باستمرار وبإلحاح لافت للنظر، بين الثراء والوفرة المادية للفرد وللجماعة، وبين (السير على هدى وصايا يهوه)، باعتبار الثراء والوفرة نعمة، ينعم بها يهوه على من يطع أوامره ويلتزم بنواهيه، وباعتبار الفقر والجوع والشقاء الدنيوي عقاباً، يعاقب به يهوه ممن يعصي أوامره ولا يلتزم بنواهيه (مقار، 1992، ص 78)، وهذا ما يوضحه بجلاء بالغ هذا النص: "فإذا سمعتم لوصاياي أعطي مطركم في حينه المبكر والمتأخر. فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك فتأكل وتشبع فاحترزوا؛ لئلا يحمى غضب يهوه عليكم ويغلق السماء فلا يكون مطر ولا تعطي الأرض غلتها. فتبيدون سريعاً... أنا واضع أمامك اليوم بركة ولعنة. فالبركة إذا سمعتم لوصايا يهوه إلهكم. واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب يهوه" (التثنية15.11:11، 26). ولما كان المتطهرون هم ورثة الإصلاح البروتستانتي؛ لذلك كانوا يعلمون أنها كانت غلطة رومانية كاثوليكية، أن يظن بأن الأعمال الطيبة والصدقات يمكنها أن تمحوا وشم الخطيئة، لأن هدف الدين هو تمجيد الرب ذي الجلال والإكرام . وحيث أن أوامره ليست سهلة التنفيذ لذلك فإن رحمته لا تحل إلا بالمؤمن (بيري، 1990، ص 71)

> وعندما أخذت البروتستانتية ذلك الكلام من عجزه، فقالت: إن كل من لم يتصف بالمبادأة، ولم يجد لديه القدرة على أن يقوم بأمر نفسه اقتصادياً، ودينياً، فابتلي بالفقر والجهل والمرض وداسته الأقدام، لا حق له في أن يلوم أحداً إلا نفسه، لأنه شرير وسيئ وخاطيء ورديء وإلا لما جلب على نفسه فراغ خزانته، والخيبة في كل ما يفعل، وما تمتد إليه يده- كانت البروتستانتية بذلك مستنده بظهرها الورع إلى أخلاقيات العهد القديم، الذي زودها بكل ما افتقدته من سند إلهي في التعاليم المتسامحة للسيد المسيح، الذي لم يكتف بأن دعا إلى الرحمة والتراحم وصنع السلام، بل تمادى في نقضه للناموس، الذي ادعى أنه جاء ليكمله وقال: "ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله؛ لأن دخول جمل من ثقب إبره أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله (لوقا 18 :24)" (مقار، 1992، ص79).

وهكذا قدمت البروتستانتية الكثير من الأفكار، التي حملها الأوروبيون إلى العالم الجديد، حتى إن بعض المؤرخين اعتبروها المكون الرئيس في حوافز المستوطنين الجدد في أميركا، حيث كانت حملات الدعاية لمعظم المشروعات الإنجليزية الاستعمارية، عبارة عن فقرات تناشد أوائل المستعمرين بتقديم العون السياسي أو المالي، أو مواعظ كنسية تدعو للمسافرين بالتوفيق من الله، أو قصص تفاؤل عن مغامرات البحار، تؤكد عظمة العناية الإلهية أكثر من أمجاد البشر. وتعكس تلك المقتطفات أن رجال الإنجليز في القرن السابع عشر كانوا يحبون تبرير أعمالهم بعبارات فضفاضة من علم الكونيات الديني.

> "فقد كان واضحاً بأن هناك توجهاً للعناية الإلهية يسري في سائر كتاباتهم، فهم يتكلمون عن أنه رغم كون الجميع من الناس مشاركين في خطيئة آدم، إلا أنهم يحتفظون بموهبة العقل، التي تمكنهم من استغلال الحيوان والنبات وممالك المعادن. وهم بأعمالهم الأنانية كانوا ينفذون خطة مقدسة تفضي إلى الوفاق النهائي، وهكذا فإن الله تعالى قد أخر استعمار العالم الجديد إلى ما بعد الإصلاح الديني البروتستانتي لكيلا تقع أميركا بغير منازع في حضن الظلام البابوي" (بيري، 1990، ص 12) .

هذه الخلفية الدينية المستمدة من العهد القديم، والتي تمسك بها البروتستانت، و التزموا بحرفية تعاليمها، لكي يحصلوا على البركة والرخاء، ولكي لا تحل عليهم النقمة، هي التي يمكن أن توضح لنا سبب الجشع والطمع وحب المال الذي يتمتع به الأمريكان، باعتبار أن ذلك هو إطاعة لأوامر الله. وقد اكتشف (توكفيل) هذه الحقيقة، حين قال: "لم أعرف شعباً مثل هذا الشعب استولى فيه حب المال على قلوب البشر، إنه شعب من شراذم المغامرين والمضاربين" (جارودي، 2002، ص 48).

6.2 المبحث الخامس: الحكومات الأمريكية والبعث اليهودي

كان واضحاً منذ البدايات الأولى أثر العهد القديم في الحياة الأمريكية. فقادة الولايات المتحدة وشعبها وكتابها أسموا دولتهم وقت إنشائها بـ (أورشليم الجديدة)، وأسموا مدنهم ومستوطناتهم بأسماء توراتية، منها: صهيون، وأورشليم، وحبرون، واليهودية، وسالم (التي اشتهرت بإحراق الساحرات)، وعدن، وأسموا أولادهم بأسماء آباء العهد القديم وأبطاله، بدل أسماء القديسين وتلاميذ المسيح.

> "ومع نهاية القرن الثامن عشر، أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودي يشكل جانباً مهماً من الفكر الأمريكي. وكان من شأن الحماسة الأمريكية لإعادة اليهود إلى إسرائيل، بعد استثارته، أن يثبت أنه أقوى من النزعة الإعادية الإنجليزية، لأنه أكثر حيوية ومستنداً إلى قاعدة أوسع، فالطبعة الأمريكية تضيف إلى الاقتناع الإنجليزي بمسؤولية خاصة عن إنقاذ اليهود المشتتين، الإيمان بأن أمريكا نفسها صبت في ذلك القالب منذ بداياتها الأولى، وبأن مصير إسرائيل يعانق مصيرها"(مركلي، 2003، ص107).

1.6.2 أمريكا مهد الصهيونية

أمريكا، ومنذ ظهورها، دخلت في تشكيل بنيتها وفي صنع روحها مؤثرات عبرانية بالغة الفعالية. "فقد غزت اللغة العبرانية العالم الجديد قبل أن ينادي هرتزل بإنشاء الدولة اليهودية بأكثر من قرنين ونصف القرن! وكانت لغة التعليم الأساسية في جامعة هارفارد عند تأسيسها عام 1636م، وشريعة موسى كانت هي القانون الذي أراد جون كوتون تبنيه إلى جانب العبرية التي أرادها لغة رسميه لأبناء مستعمرات الدم الأزرق الثلاث عشرة على الأطلنطي" (العكش، 2002 ص152). وهكذا يمكن القول؛ إن بين اليهود وأمريكا قضية مشتركة من مبدأ الأمر، وإن ذلك التوافق شكل علاقتهما منذ التقائهما.

"فالأمريكيون ينظرون إلى إسرائيل على أنها شديدة الشبه بأمريكا. أمه مهاجرة، ودولة مهاجرين، وملاذ مضطهدين ومظلومين، ومجتمع رواد استيطان، بلد قوي وشجاع عازم على النضال في صف الحق، ونظام ديمقراطي تظلله سيادة القانون (الوحيد في الشرق الأوسط) وواحة ثقافة استهلاكية غربية في صحراء قاحلة تحيط بها من كل جانب. فالروابط بالغة المتانة إلى درجة أن إسرائيل ليست بنظر عدد غير قليل من الأمريكيين، سوى ولاية حادية وخمسين" (برستوفتز، 2003، ص252).

فكلاً من الولايات المتحدة وإسرائيل يضمهما عناق حميم في سياق علاقة خاصة غريبة، وسواء كانت إسرائيل بالنسبة لأمريكا أصلاً إستراتيجياً أو مشكلة إستراتيجية، فإنها قبل كل شئ تجسد مثلاً أعلى مغروساً بعمق في الفكر الأمريكي منذ السنوات الأولى لظهور أمريكا في العالم الجديد.

2.6.2 رؤساء أمريكا والبعث اليهودي

إن تتبع سيرة رؤساء الأمريكيين يكشف عن إيمانهم الصهيوني العميق، ودورهم الواضح في إقامة الكيان الصهيوني، وأن دورهم لم يكن دور المعاون أو المساند، فأمريكا هي المالك الحقيقي للمشروع الصهيوني، وهي المتصرف في أمره كذلك. فقد كان واضحاً منذ البداية أثر الرموز التوراتية على الرؤساء الأمريكيين الأوائل جورج واشنطون وجون آدمز وجفرسون، حيث أخذت تلك الرموز تهيمن على كل كبيرة وصغيرة في الحياة الأمريكية: عملتها، شعارها، خاتمها، أسماء مدنها.. والأهم تفكيرها وطبيعة مؤسسيها.

فخاتم الدولة هو شعارها الرسمي، وهو – بلا شك – شعار يتم اختياره بعناية للتعبير عن هويتها وانتمائها، وقد اختار المؤسسون الأوائل للولايات المتحدة الأمريكية، نجمة داود شعاراً لهم وضعوه على رأس النسر الأمريكي (النسر رمز توراتي). ويشير جوزيف كامبل، في كتابه (قوة الأسطورة) إلى أن النجوم المستخدمة في الخاتم الأمريكي تشكل 13 نقطة هي عينها النقاط الـ 13 في النجمة اليهودية بحيث

أدمجت في خاتم الدولة الأمريكي" (مقار،1992، ص117). ولو تأملنا أيضاً ورقة العملة النقدية الأمريكية، فئة دولار واحد، فسنجد رسماً مثيراً لهرم مصري، وقد اعتلته قمة ذهبية عليها عين وحيدة، ويخرج من القمة الذهبية خيوط إشعاع، وقد كتب فوق الهرم (المصري الوحيد)، وتحته (إنه يرانا) - أو يرقبنا أو يرعانا، وليست مصادفة أن نفس هذا الرسم بتفاصيله يستخدم كرمز أساسي من رموز الماسونية، وهي واحدة من أقدم الحركات اليهودية التي تستهدف السيطرة على العالم، وفروعها وجمعياتها حالياً كثيرة ومنتشرة كالسرطان" (بلاتونوف،2002، ص 32)

3.6.2 جورج واشنطن 1789 . 1797

هو أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية وانتخب على فترتين متتاليتين، وكان جورج واشنطن من أوائل الأمريكيين الذين انتسبوا إلى المحافل الماسونية اليهودية، "حيث انتسب إليها في عام 1755م وترقى في الدرجات إلى أعلاها، وقام بتأسيس محفلاً ماسونياً في فرجينيا، دعاه محفل إسكندرية نمره 23 وانتخب رئيساً له، وبعد وفاته أجمع أعضاء المحفل على تسميته (محفل واشنطون الإسكندري)؛ وذلك رغبه أن يبقى ذكر رئيسهم المجيد في الأفواه وأن تكون آثاره الماسونية غرضاً تصوب إليها الأفكار للاقتداء به" (مكاريوس،1994، ص118). وانتساب جورج واشنطون إلى هذه المحافل يعكس بجلاء خلفياته الدينية التوراتية، حيث كان رجلاً شديد التدين (عبرانياً)، وظل حتى آخر أيامه عظيم التقديس للطقوس والتاريخ اليهودي الذي تضمنه العهد القديم، ففي رسالتين وجههما إلى اثنين من قادة اليهود أعرب واشنطن عن أمله في: "أن يظل الرب صانع المعجزات الذي خلص العبرانيين في الأزمنة القديمة من بغى مضطهديهم المصريين، وزرعهم في أرض الميعاد، يسقيهم من السماء، وأن ينعم ذلك الرب القدير يهوه، على كل من بالولايات المتحدة التي تأسست بقدرته، بالبركات الدنيوية والروحية التي انعم بها على شعبه" (مقار،1992، ص163).

أما الرئيس الثاني لأمريكا جون آدمز (1797–1801) فقد تمنى عام 1818 بأن يصبح اليهود أمة مستقلة، وبعث برسالة إلى الصحفي اليهودي، مردخاى نوح عبر فيها عن أمنيته في أن يعود اليهود إلى جوديا (يهود) لتصبح أمة مستقلة: "لأنني اعتقد أنه بعد أن يعودوا إلى مكانه مستقلة، لن يكونوا مطاردين بعدها، سيزيلون من على أنفسهم، التصلب والغرابة في طباعهم"(نتنياهو، 1996، ص75)

4.6.2 توماس جيفرسون 1801 ـ 1809

اقترح الرئيس الثالث لأمريكا جيفرسون، وواضع وثيقة استقلالها، "أن يمثل رمز الولايات المتحدة الأمريكية، على شكل أبناء إسرائيل تقودهم في النهار غيمه وفى الليل عمود من النار، بدلاً من الرمز المعمول به حالياً. وواضح أن هذا الشكل المقترح رمزاً للولايات المتحدة يتفق مع النص التوراتى الوارد في سفر الخروج (13: 21) والذي يقول: "كان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب يهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نور؛ ليضئ لهم" (الحسن، 2003، ص41). كما أن جيفرسون كان من أبلغ من تحدث عن المعنى الإسرائيلي لأميركا، بل إنه ختم خطابه التدشيني لفترة الرئاسة الثانية بتعبير يشبه الصورة التي اقترحها لخاتم الجمهورية "إنني بحاجة إلى فضل ذلك الذي هدى آبائنا في البحر، كما هدى بنى إسرائيل وأخذ بيدهم من أرضهم الأم؛ ليزرعهم في بلد يفيض بكل لوازم الحياة ورفاه العيش" (العكش، 2002، ص131).

أما بنيامين فرانكلين "فقد اقترح أن يكون الشعار صورة موسى وهو يشق البحر الأحمر بعصاه" (الزين، 2002 ، ص275). وهنا مرة أخرى تتأكد لنا صهيونية الرمز الأمريكي، وهي صهيونية سبقت إعلان الصهيونية اليهودية بأكثر من قرن كامل. ويضعنا (شفيق مقار) أمام رموز أخرى حيث يقول: "ومن تلك المعطيات أيضاً أن الرسم الأول الذي اقترح لعلم الولايات المتحدة كان رسماً لصور موسى خارجاً من مصر على رأس بني إسرائيل، لكنه – وقد أثار جدلاً – استعيض عنه برسم النسر، والمسألة مجرد استبدال رمز توراتي برمز توراتي آخر" (مقار، 1992، ص118).

5.6.2 جيمس ماديسون 1809 ـ 1817

كان الرئيس الرابع لأمريكا ماديسون، "رجلاً شديد التدين اتجه طموحه إلى سلك الكنيسة؛ ولذا امتاز على غيره من الرؤساء الأمريكيين المؤمنين بإجادته اللغة العبرية وتبحره في آدابها، أي العهد القديم وكتابات الكهنة والأحبار اليهود" (مقار،1992، ص167). وبتأثير تلك الخلفية العبرانية، كان فعل العامل الديني في حالته قوياً، حيث "قام بتعيين الداعية اليهودي الشهير (موردخاي نوح) قنصلاً فخرياً لأمريكا في تونس" (الشيخ، 2006، ص298) سنة 1813م. وقد تبع هذا التعيين المشؤوم، أن قامت أمريكا عام 1815م بإعلان الحرب على الجزائر بحجة الدفاع عن المصالح الأمريكية في المنطقة .. ومن الجزائر انتقلت إلى تونس عام 1816م" (السماك، 2000، ص88). ولما عاد نوح إلى أمريكا، "حاول إقامة مشروع (أرارات) تبركاً باسم الجبل الذي تقول التوراة: إن سفينة نوح رست عليه، ليكون وطناً قومياً لليهود

على جزيرة بنهر نياجرا" (عناية،2001، ص 31) ولما فشلت المحاولة اتجه نوح بمشروعه إلى سوريا، وصرح : "إن عدد اليهود قد بلغ 7 ملايين، وإنهم يتحكمون في ثروات طائلة، وإعادة احتلال اليهود لسوريا ليست مستحيلة، خاصة وأن دولتهم التي وصفها بأنها حكومة عادلة ليبرالية ومتصفة بالتسامح، ستكون عوناً كبيراً لمصالح فرنسا وإنجلترا" (مقار، 1992، ص174).

وفي سنة 1844م عدل نوح خطته، عازماً على إقامة وطن قومي لليهود في صهيون، وألقى محاضرة ضمنها مشروعه الجديد، واقترح أن يتم السعي لدى سلطان تركيا للحصول على موافقته على شراء الأرض اللازمة لإنشاء الوطن اليهودي بأموال اليهود وامتلاكها. ويبدو أن دعوة نوح السابقة، كانت صدى لموعظة المبشر ليفى برسونس عام 1821م قال فيها: "في قلب كل يهودي، تتأجج رغبة لا يمكن إخمادها، لاستيطان الأرض التي أعطيت لأجدادهم إذا دمرت الإمبراطورية العثمانية، فإن معجزة فقط يمكنها أن تمنع عودة اليهود الفورية إلى أرضهم، من كافة أقطار العالم" (نتنياهو، 1996، ص77). والمهم هنا هو أن محاضرة نوح تلك لم تلفت نظر اليهود إليها، لكن المسيحيين الصهاينة أولوها اهتماماً كبيراً، وكتب (إسحق ليسر) يقول: "أثارت محاضرة نوح قدراً كبيراً من الاهتمام بين مواطنين المسيحيين، فاق بكثير ما أثارته من اهتمام بيننا نحن اليهود" (مقار، 1992، ص178).

6.6.2 الرئيس المنصر جون كوينسي آدمز 1825 . 1829

هو ابن الرئيس جون ادمز وأصبح الرئيس السادس لأمريكا عام 1825، وكان وزيراً لخارجيتها، واشتهر بدوره كمنصر بروتستانتي انصب جهده على اختصار الطريق إلى تحقيق مخطط الله، عن طريق محاولة إقناع اليهود بتغيير رأيهم فيما يتعلق بمسألة المجيء، والقبول بالمسيح، والتعجيل بذلك ببدء العصر الألفي السعيد، حيث كان الاعتقاد السائد لدى المسيحيين الصهاينة في ذلك الوقت، أنه لابد من أن يشرق عصر ذهبي يضع حداً للظلم وللشر المستشري في العالم: "فالطموح إلى تحويل اليهود إلى المسيحية اكتسب قوة جعلت منه شبه حملة صليبية اجتماعية في مستهل حياة الجمهورية الأمريكية، وأنه تولدت عنه حركة شاعت بين النخبة الأمريكية، كان من أوائل مؤيديها جون آدمز، حيث تحول الرمز اللاهوتي إلى مخطط سياسي هو المشروع الصهيوني الذي اضطلعت الولايات المتحدة الأمريكية بدور القائد في تنفيذه" (مقار، 1992، ص182).

وكمنصر بروتستانتي من المتمسكين بأهداب الدين، وقرأ عدة فصول من التوراة، (الشيخ، 2006، ص300)، عمل آدمز من موقعه كرئيس لتحقيق الحلم الصهيوني، "حيث بذل جهوداً كبيرة أثمرت عن

عقد اتفاقية مع الإمبراطورية العثمانية في عام 1830م، استغلتها الكنيسة البروتستانتية في إطلاق العنان للبعثات التبشيرية في المنطقة، التي انتشرت ستون بعثه منها، من اليونان حتى إيران، ومن اسطنبول وحتى القدس. وهذه البعثات هي التي مهدت الطريق أمام مشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين عملاً بتعاليم الصهيونية المسيحية التي تؤمن بها الكنيسة البروتستانتية الأمريكية"(السماك، 2000، ص89). وقد لعبت هذه البعثات دوراً تخريبياً في المنطقة العربية الإسلامية باعتبارها أداة وركيزة للاستعمار والصهيونية، ومعول هدم وتدمير لكل ما يمت للإسلام بصله. "فالتبشير كان ولازال دعامة من دعامات الاستعمار وأداة من أدوات الفكر الغربي، فقد قدم الاستعمار ولا يزال يقدم العون المادي والمعنوي للمبشرين ويقوم بحمايتهم وإزالة الصعاب من أمامهم" (خالدي، 1964، ص 34).

"فارتباط التنصير بالاستعمار يكاد يكون عضوياً، حيث مهدت السلطات الاستعمارية لنشاط التنصير ووفرت له الحماية والأمن، وكان كثير من مبشري القرن التاسع عشر يتحركون بعقلية صليبية وكانوا استعماريين يقومون بدور مزدوج في التبشير وخدمة مخططات دولهم الاستعمارية. لقد كان المبشرون هم الرواد الأوائل للاستعمار الثقافي الغربي في عالمنا الإسلامي وبلادنا العربية". (حارب، 1985، ص70، عبد الحليم، 1989، ص165)

7.6.2 أندرو جاكسون .. وخرافة المعاد (1829-1837م)

عبرالرئيس الأمريكي السابع عن تعاطفه مع اليهود عندما كافأ مؤيده اليهودي موردخاي نوح بتعيينه مشرفاً عاماً على ميناء نيويورك. كما عبر في أحاديثه الخاصة وخطبه عن إيمانه بضرورة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، متبنياً نفس الرؤية التي عبر عنها حزقيا نايلز رئيس تحرير مجلة (نايلز ريجستر) الذي قال: "إن النتائج التي تترتب على إعطاء اليهود ذلك الوطن فلسطين ستتجاوز كل ما يمكن أن يتصوره أي متكهن بالنتائج. فصحارى فلسطين المجدبة ستخضر وتورق وتزهر وتتفتح كالورود، وأورشليم التي باتت في الحضيض (لوجودها في حوزة العرب المسلمين) سوف ترتفع ثانية وتضارع أكبر مدن العالم جمالاً وثراء وروعة" (مقار، 1992، ص184).

ثم شهد عهد الرئيس الأمريكي الثامن (مارتين بورين1837-1841م)، أول تدخل أمريكي فيما وراء البحار لنصرة اليهود. "ففي1840م تلقى وزير الخارجية الأمريكي (جون سايث) مكاتبة رسمية سرية وعاجلة من قنصل بلاده في بيروت، تضمنت المكاتبة قصة القبض على عدد من اليهود في دمشق، بسبب قيامهم بذبح أطفال ورجال دين مسيحيين لاستخدام دمهم في صنع فطير عيد الفصح اليهودي" (لورنس، 2006، ص59). وعلى الفور رد بورين، ووزير خارجيته على المكاتبة معترضين على التقارير

الواردة عن أحداث مزعومة في دمشق. التي اعتبراها "مثالاً سيئاً على التعصب والخرافات الشائعة في العالم القديم، وهي أمراض سعت الولايات المتحدة إلى أن تظل بمنجاة منها". وبناء عليه فقد صدرت التعليمات إلى قنصلي أمريكا في الاسكندرية والقسطنطينية بـ "بذل المساعي الحميدة لصالح أفراد ذلك الجنس اليهودي المضطهد المقهور" (مركلي،2003، ص 111). كما سارع المبعوث الأمريكي بالإعراب للحكومة البريطانية عن "بالغ القلق إزاء ضروب القسوة التي تمارس تجاه اليهود في الشرق" (مقار، 1992، ص 186).

وفي عام 1841م أصبح (جون تايلر 1841-1845م) الرئيس الأمريكي العاشر، وفي أول خطاب له قال: "يقيم العبراني المضطهد والمغلوب على أمره في مناطق أخرى، بيننا دون أن يخشى أحداً. وله أن يتفاخر بأنه من نسل أبناء الحكماء في الرأي والمشورة والأقوياء في المعارك، وله أن يوجه نظره نحو أرض يهودا، ويشعر بالثقة القوية على وعد العودة إلى الأرض المقدسة" (الشيخ، 2006، ص305). وبالرغم من ذلك، كان عليه أن يتلقى أول توبيخ يهودي علني لرئيس أمريكي، عندما زل لسانه أثناء تأبينه الرئيس الراحل واصفاً أمريكا بأنها أمة مسيحية، وهو خطأ عاقبة عليه (يعقوب حزقيال) القيادي اليهودي برسالة قال فيها: "وأين نحن؟ "وبدلاً من أن يغضب الرئيس من هذا المتطفل المنتمي إلى أقلية تريد تعليم الرئيس، والسيطرة على الأغلبية، بدلاً من هذا بادر تايلر إلى الاعتذار مؤكداً أنه يكن لليهود أعمق الاحترام وأصدقه، وبعدها وبخ الرئيس الجنرال سكوت؛ لأنه رأس مؤتمراً من ضباط الجيش والبحرية لم يمثل فيه اليهود" (مقار، 1992، ص188).

أما خلفه (جيمس بولك1845-184)، فقد عمد إلى تشكيل فيلق الحرس اليهودي الأول في بلتيمور عام 1846م، وهو أول فيلق في الجيش الأمريكي يكون كل جنوده وضباطه من اليهود، وبهذا سبقت أمريكا تشكيل الفيلق اليهودي البريطاني بـ 98 سنة، ومعروف دور الفيلق اليهودي البريطاني في اغتصاب فلسطين، وإضافة إلى هذا أعاد بولك تجربة تعيين قناصل يهود لأمريكا في الخارج.

8.6.2 فرانكلين بيرس (1853 – 1857م)

كان بيرس معروفاً بتدينه، وبارتباطاته اليهودية الوثيقة، ومن خلال ذلك حقق اليهود اختراقاً جديداً بالغ الأهمية، "تمثل في فتح أبواب المحكمة العليا أمام اليهود، وقام بإسناد منصب وزير بالسلك الدبلوماسي إلى (أوجست بلمونت) في لاهاي، فكان ذلك بمثابة فتح لأبواب المناصب الدبلوماسية العليا أمام اليهود، الذين كان اختراقهم للسلك الدبلوماسي الأمريكي قد اقتصر حتى ذلك الوقت على مستوى القناصل،

وبأعداد محدودة للغاية" (مقار، 1992، ص192). وإمعاناً في إظهار الولاء، قام بيرس بتعيين رسام الخرائط اليهودي (جوليوس بين) مشرفاً عاماً على أنشطة وزارة الحرب في تخصصه، وهي مخاطرة كبيرة أوصلت اليهود إلى التحكم في أدق المراكز العصبية للعسكرية الأمريكية.

وبظهور الرئيس الأمريكي الخامس عشر (جيمس بوكانان1857-1861م)، أقدم بوكانان على أول إجراء من نوعه في تاريخ أمريكا؛ إذ دعا إلى البيت الأبيض وفداً من كبار الحاخامات اليهود، لمعرفة مطالبهم فيما يتعلق بمشروع معاهدة تجارية مع سويسرا، بدلاً من تلك التي خربها تدخل منظمة (بناي بريث) في عهد الرئيس (ميلارد فيلمور). وحتى يرفع عن نفسه الحرج أمام اليهود اجتمع الرئيس شخصياً مع الحاخامات وأعلن عدة تعديلات جذرية على المعاهدة، "مع إعلان أن الغرض من هذه التعديلات هو إعلام السويسريين بأن أمريكا لا تقر موقف المقاطعات السويسرية من القانون الذي يقضي بحق المقاطعات في منع اليهود من الإقامة، وإن كانوا يتمتعون بالجنسية الأمريكية" (الشيخ، 2006، ص310). وقد واصل الرؤساء التالون له نفس السياسة، حتى حصل اليهود على كل ما أرادوا من سويسرا. ويقارن شفيق مقار بين ما فعله بوكانان، وما فعله السناتور الأمريكي (سكوب جاكسون)، عندما عمد إلى تخريب قانون التجارة لسنة1974م، وأوقف بذلك تنفيذ الاتفاقية التجارية لبيع القمح، التي أبرمت بين واشنطن وموسكو في 1972م، معلقاً بيع القمح للاتحاد السوفيتي ومنح وضع الدولة الأكثر رعاية، على فتح أبواب الهجرة أمام اليهود السوفييت (مقار،1992، ص194).

وبعد اغتيال الرئيس (ابراهام لنكولن)، أصبح (أندرو جونسون) الرئيس السابع عشر لأمريكا، حيث أبدى تعاطفه مع اليهود وكان المتحدث الرئيس في حفل افتتاح معبد (فاين ستريت) بمدينة ناشفيل في 1874م، حيث اصطحبه الحاخام اسحق وايز إلى المعبد في عربته، وحين صعد جونسون إلى المنصة كان يعتمر اليارمولكا (الطاقية اليهودية) وقال إنه: "لم يوجد من امتلأ حباً لليهود مثله بين أبناء ديانته المسيحيين جميعاً، ولم يوجد من اهتم اهتمامه العميق والدائم بنجاح اليهود ورخائهم وازدهار ديانتهم ومعبدهم، ذلك المعبد الذي سيظل النصب المقدس الذي يجسد كد اليهود ومثابرتهم واستحقاقهم النجاح والرخاء والرفاه، لا في مدينة ناشفيل فحسب، بل وفي كل مكان"(مقار، 1992، ص201).

9.6.2 يوليسيس جرانت (1869 – 1877)

كان جرانت هو الرئيس الثامن عشر لأمريكا، وكان يقدس التوراة وتعاليمها (الشيخ، 2006، 313)، وخلال رئاسته قام بتعيين أحد مساعديه اليهود سيمون وولف قنصلاً لأمريكا في مصر، الذي قال متفاخراً:

"إن بوسعه أن يقرر بمنتهى الوضوح، أن الرئيس يوليسيس جرانت فعل من أجل اليهود طوال مدتي رئاسته من 1869 إلى 1877، أكثر مما فعل أي رئيس أمريكي دخل البيت الأبيض قبله"(مقار، 1992، ص202). وقد خلفه في الرئاسة روثر فورد هايز (1877-1881)، حيث كان عدد الموظفين اليهود في الإدارة الأمريكية قد زاد إلى الحد الذي جعل صوتهم يرتفع مطالباً بمنحهم يوم السبت إجازة اتساقاً مع تحريم التوراة للعمل في ذلك اليوم. وعندما تباطأت إدارة هايز في الاستجابة لذلك الطلب، أوعزت القيادات اليهودية إلى مرشح لشغل منصب دبلوماسي أن يعلن أنه– عندما يباشر مهام منصبه – لن يكون بوسعه أن يعمل في يوم السبت، وأعطت المسألة تغطية إعلامية جعلتها قضية عامة، ولما وصلت الرسالة واضحة إلى هايز، سارع بالتصريح للصحفيين: "بأن أي مواطن يكون على استعداد لأن يضحي بفرصة كهذه على مذبح معتقداته الدينية، لابد أن يكون مواطناً صالحاً، ومن الظلم لدافعي الضرائب الأمريكيين أن نخسره. وأعلن عن موافقته على المطلب اليهودي" (مقار،1992، ص203). وقد بدأ هايز رئاسته بتعيين (بنيامين وبييكسوتو) رئيس (البناي بريث) قنصلاً لأمريكا لدى روسيا، مع تكليفه بمهمة، التحقيق في تصرفات حكومة روسيا غير الطيبة إزاء اليهود، التي أدت إلى إلغاء المعاهدة التجارية المبرمة بين روسيا وأمريكا. لكن المهمة لم تتم؛ لرفض القيصر الروسي ذلك.

تم جاء الرئيس العشرون (جارفيلد 1881)، الذي لم يعمر في منصبه طويلاً؛ إذ تم اغتياله، لكنه كان قد أدى للصهاينة خدمة متميزة، حين أعاد تعيين اليهودي (وولف) قنصلاً لأمريكا في مصر، قائلاً له: "آمل أن تكون رحلتك سعيدة، وأن تجد أرض أجدادك كما تتوقع، أنا سعيد لتعيين أحد أحفاد الذين استرقهم المصريون ممثلاً هناك من بلد حر عظيم. لا يزال الرب في إسرائيل. كن قوياً في العقل والجسم واكتشف اللغز في مصر" (الشيخ، 2006، ص315). وقد كتب ولف مذكرات أثناء وجوده في مصر، بعنوان (مصر وكيف غدر بها)، ممنياً نفسه بأن الثمرة أوشكت على النضج والسقوط في يده. ولنلاحظ أنه عمل في مصر في السنوات التي سبقت سقوطها في قبضة الاحتلال البريطاني 1882م.

ولم يختم جارفيلد حياته قبل أن يبعث رسالة إلى حكومة القيصر الروسي بشأن أوضاع اليهود، لكن القيصر لم يعرالرسالة التفاتاً، وصد محاولات التدخل الأمريكية المتكرر، وهذا نبه الرئيس الحادي والعشرين "(تشستر آرثر 1881-1885م) إلى وجود صعوبات تحول دون التدخل لصالح اليهود أحياناً، ولهذا فقد حاول حل المشكلة "بتعيين، (أدولفوس سولومونز، رئيس البناي بريث) ممثلاً للولايات المتحدة الأمريكية في هيئة الصليب الأحمر الدولية، وهكذا أصبح بمقدور (بناي بريث) أن تتدخل في شؤون روسيا وغيرها تحت ستار المساعدات الإنسانية عبر هيئة الصليب الأحمر" (مقار،1992، ص203).

ثم تولى كليفلاند الرئاسة الأمريكية لمرتين منفصلتين، حيث كان مسيحياً بروتستانتياً، من أتباع الكنيسة المشيخية التي تعتبر أهم الكنائس المسيحية الصهيونية التي دفعت بأبنائها إلى البيت الأبيض. "والكنيسة المشيخية تستمد تعاليمها من أفكار، جون كالفن (1509-1564م)، وهو لاهوتي فرنسي بروتستانتي من رجالات الإصلاح الكنسي. تحول عن الكاثوليكية عام 1523م، حيث آمن بأن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد لشريعة الله ونواميسه، كما أنه لا يعترف بسلطة البابا" (دمشقية، 1990، ص189). والمهم هنا هو أن أتباع هذه الكنيسة كانوا ولازالوا من أهم مؤيدي اليهود، ولم يقتصر نشاطها في أمريكا بل امتد إلى المنطقة العربية، فالجامعة الأمريكية في القاهرة وبيروت من أعمالها، والقس صموئيل زويمر كان مشيخياً، وهو الذي رعى ورأس المؤتمر التبشيري المنعقد في القاهرة ببيت الزعيم أحمد عرابي بعد هزيمته أمام الإنجليز واحتلالهم مصر 1882م، ذلك المؤتمر الذي وضع أسس الهيمنة الغربية لصالح المشروع الصهيوني على منطقتنا" (عبد الوهاب، 1981، ص161).

"وخلال ولايته احتج على رفض النمسا قبول جون كيلي وزيراً مفوضاً لأمريكا في فينا؛ لأن زوجته يهودية، كما احتج على معاملة روسيا لليهود" (الشيخ، 2006، ص317)، وفي عهده بلغت منظمة بناي بريث الصهيونية، حداً بالغاً من القوة والسطوة، فبعث لها برسالة مفتوحة قال فيها: إنها "جمعية أنشئت؛ لتحقيق أهداف نبيلة، وإنه لا ينبغي أن يقتصر ما تحدثه من أثر على إثارة حماس أعضائها، بل ينبغي أن تستجلب تمنيات النجاح لها من جانب كل من يهمهم الارتقاء بالنوع الإنساني وتنمية الغرائز العليا في الطبيعة الإنسانية". ورجا الرئيس أن: "تتقبل الجمعية صادق تمنياته بأن يتضاعف ما كانت قد توصلت إليه من نجاحات تثلج الصدر" (مقار،1992، ص204).

7.2 المبحث السادس: الجماعات المسيحية الصهيونية والبعث اليهودي

منذ البداية كان التطلع إلى العصر الألفي السعيد وإعادة اليهود إلى أرضهم، يشغل تفكير الرواد الأوائل، ولعل كريستوفر كولومبوس كان أول من حمل هذه العقيدة إلى الولايات المتحدة، فقد كتب في مذكراته "إن العالم سوف ينتهي في عام 1650م، وإن اكتشافه للعالم الجديد هو جزء من خطة إلهية لإقامة جنة الألفية". وقال أيضا: "إن الله جعلني رسولاً إلى الجنة الجديدة وإلى الأرض الجديدة التي تحدث عنها القديس يوحنا في نبوءاته، وهو الذي أرشدني إلى المكان الذي أجدها فيه" (السماك،2003، ص104). ويكشف كولومبوس في يومياته "أنه يأمل في العثور على الذهب وبكميات كثيرة حتى يتسنى للملكيين، خلال ثلاث سنوات، الاستعداد والاتجاه الى فتح الديار المقدسة" (تودوروف، 2003، ص 27).

1.7.2 العمل من أجل تحقيق النبوءات التوراتية

منذ عام 1814، انطلقت الدعوات الأميركية الإنجيلية؛ لتوطين اليهود في فلسطين، وهاجر بعض الإنجيليين وأنشأوا مستوطنة زراعية يهودية ضمت يهوداً وإنجيليين أمريكيين عام 1850، ثم أنشئت مستوطنات أخرى، لكن الإنجيليين كانوا أكثر حماساً من اليهود للإقامة فيها، أو للهجرة من أمريكا أصلاً. وقد قامت عام 1867، أول بعثة مسيحية أمريكية للاستيطان في فلسطين مع 150 قسيساً إنجيلياً أمريكا وفي العام التالي أقيمت مستوطنة بمشاركة 70 شخصية دينية إنجلينية. ففي عام 1814، نشرت في نيويورك الموعظة المشهورة للقس جون مكدونالد، أكد فيها الدور المركزي الذي تنبأ به النبي يشعياهو، للدولة الجديدة في أمريكا، في إعادة اليهود إلى أرضهم، حيث قال: "يا سفراء أمريكا، انهضوا واستعدوا لإسماع بشرى السعادة والخلاص لأبناء شعب منقذكم، الذين يعانون من الظلم ... أرسلوا أبناءهم واستخدموا أموالهم في سبيل تحقيق هذه الرسالة الإلهية" (نتنياهو، 1996، ص77). وفي نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، بدأ التعاطف الأمريكي مع اليهود يتحول إلى عمل ملموس؛ لتحقيق النبوءات التوراتية، سواء عن طريق أفراد أو جمعيات أو كنائس.

> "ففي عام 1840م بعث مؤسس الكنيسة المورمينية، جوزيف سميث، تلميذه أورسون هايد من أجل تسهيل نبوءة (بعث إسرائيل)، ومن بين كتب التوصية التي حملها هايد معه، كتاب من وزير خارجية الولايات المتحدة، وآخر من حاكم ولاية إيلينوى. يقول هايد: "إن فكرة نهضة اليهود في فلسطين تقوى يوماً بعد يوم. لقد بدأت العجلة الكبرى بالدوران، ولا شك في ذلك، وأن الرب أمر بأن تدور هذه العجلة على محورها" (نتنياهو، 1996، ص78).

"وفى عام 1850م قام (واردكريون) القنصل الأمريكي في القدس، بتأسيس مستوطنة زراعية في منطقة القدس، وخطط لتأسيس مستوطنات أخرى، وحاول الحصول على دعم زعماء اليهود، ولكنهم لم يستجيبوا له رغم أنه تحول عن ديانته المسيحية إلى اليهودية. وكان يرى أن تلك المستوطنات الزراعية ستكون البداية الأولى لفلسطين الجديدة، حيث ستقيم الأمة اليهودية وتزدهر" (عباس، 1984، ص 286). وقد حذا حذو القنصل الأمريكي، بعض المواطنين الأمريكيين؛ إذ أسسوا مستوطنة زراعية بالقرب من يافا لنفس الغرض. "وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت مذاهب بروتستانتية نادت بعودة اليهود إلى فلسطين، انطلاقا من إيمانها بالمعتقدات المسيائية، ولم يكتف أصحاب هذه المذاهب بالدعوة، بل عملوا من أجلها" (الحوت،1991، ص 288). فقد تبنت كثير من الفرق البروتستانتية الدعوة إلى هذه الأفكار، مثل المشيخيين والمعمدانيين والمرمون والسبتيين وغيرها من الفرق. وقد علق على ذلك هنرى فورد في

كتابه (اليهودي العالمي) بقوله : "لقد سيطر اليهود على الكنيسة في عقائدها وفى حركة التحرر الفكري المسماة بالليبرالية، وإذا كان ثمة مكان تدرس فيه القضية اليهودية دراسة صريحة وصادقة، فهو موجود في الكنيسة العصرية؛ لأنها المؤسسة التي أخذت تمنح الولاء دون وعي أو إدراك إلى مجموعة الدعاية الصهيونية" (فورد، 1986، ص 59).

كما بدا واضحاً خلال هذا القرن مدى التعاطف مع اليهود وآمالهم في العودة إلى فلسطين، حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بفترة كبيره، حيث ازدادت في هذه الفترة المشاريع الهادفة إلى إعادة اليهود إلى فلسطين، واحتل مشروع موردخاى نواه (نوح) الذي تقدم به سنة 1845 أمام جمع من المسيحيين في نيويورك، مركز الصدارة بين مشاريع العودة، فهو ينص على عودة اليهود نهائياً إلى فلسطين، إلا أنه كمرحلة تمهيدية دعاهم إلى إقامة المستوطنات في منطقة آرارات قرب بافالو وشلالات نياجرا، وقد أيد الرئيس الأمريكي جون آدمز عودة اليهود، في رسالة وجهها إلى نواه" (الحوت، 1991، ص256).

وفي القرن التاسع عشر ظهرت كثير من الطوائف والجمعيات المسيحية التي دعت إلى ضرورة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، حيث أخذت تنشر دعوتها بين العامة والخاصة، حيث ساعدت نصوص الدستور الأمريكي وخاصة في بنده الأول على امتداد وإنشاء المذاهب في أمريكا، التي بلغ عددها 1200 مذهباً، وحمتها بحيث لا يمكن للكونغرس صياغة أي تشريع يمنع أي مذهب ديني، أو يحد فترة ممارسة الحريات الدينية؛ وقد جاء ذلك انطلاقاً من أن مجموعات الاستيطان الأولى التي وفدت إلى أمريكا جاء بعضها هرباً من الملاحقات الدينية في موطنها الأصلي" (حماده، 1990، ص222).

2.7.2 جمعية بنى بريث (أبناء العهد)

في عام 1843م أنشأ هنرى جونز بالتعاون مع مجموعة من الصهاينة الأمريكيين، جمعية بني بريث في مدينة نيويورك، بهدف تسهيل إعادة اليهود إلى فلسطين. "ومن هناك انتشرت فروع الجمعية في أمريكا وجميع أنحاء العالم. وقد أنشئ فرع للجمعية في فلسطين عام 1888م من أجل المساهمة في بناء المستعمرات اليهودية لتكون نواة للوطن القومي اليهودي، كما تم فتح فرعين للجمعية في مصر" (عبد الله، 1986، ص 52). وقد استطاعت هذه الجمعية وفروعها المنتشرة في كثير من البلدان التأثير على كثير من الشخصيات المهمة في أمريكا والعالم، لكسب دعمهم ومساندتهم للمطالب الصهيونية في فلسطين. وقد حرص غالبية الرؤساء والمسؤولين الأمريكيين، على المشاركة في المناسبات والحفلات التي تقيمها الجمعية، لكي يشيدوا بالأعمال العظيمة التي تقوم بها من أجل خدمة الأهداف الصهيونية.

3.7.2 جمعية شهود يهوه

في عام 1848م أسس جون طوماس جماعة أخوة المسيح، التى تقوم دعوتها على تطبيق النبوءات التوراتية وسفر الرؤيا، على الأحداث الحاضرة والمستقبلية. وقد حاول أحد أتباعها (فرانك جنادى)، في إظهار الحركة الصهيونية بمظهر البينة أو العلامة على مجيء المسيح قريباً؛ ليبسط حكمه وسلطانه على العالم أجمع من مقره في القدس" (رزوق، 1973، ص 219).

وفي عام 1884م أنشأت جمعية شهود يهوه في ولاية بنسلفانيا، ثم انتقلت إلى نيويورك، حيث أخذت توفد المبشرين إلى جميع أنحاء العالم لكسب التأييد لفكرة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، تحقيقاً للنبوءات التوراتية. وقد وصل نشاط هذه الجمعية إلى البلاد العربية، فتصدى لها رجال الدين المسيحي، وفندوا دعاويها التي تسعى لتصديع الكنيسة وكسر عقائدها خدمة لليهودية والصهيونية، التي تهدف إلى تفسير العهد القديم تفسيراً يهودياً. "والتبشير بفلسطين وطناً قومياً لليهود العائدين لتأسيس دولة برئاسة المسيح، بالتركيز على كتاب يوحنا؛ لتفسيره تفسيراً يهودياً، حيث وجد اليهود في رؤيا يوحنا فخاً؛ لتضليل المسيحيين، فانصرف شهود يهوه إليه؛ ليبشروا بقرب مجيء المسيح. ولكن مسيحهم المنتظر هو مسيح يقيم حكومة عالمية في القدس وزراءها من اليهود" (حماده، 1990، ص110). وقام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بطردهم من مصر ووقف البابا شنوده وقيادات الكنيسة المصرية وجهاً لوجه أمامهم وتم فضح مخططاتهم للمواطنين(عازر، 15،2003 شباط، فبراير) يقول عبد الله التل عن هذه الجمعية:

> "هي جمعية يهودية ترتدي ثوباً مسيحياً مزيفاً، وهى في الواقع من أخطر الجمعيات اليهودية في العالم، ذلك أنها تقوم على مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة، وإدخال نبوءات التوراة في النفوس المؤمنة ليصبح الاعتقاد جازماً عند المسيحيين، بوجوب عودة اليهود إلى أرض الميعاد. ولقد تسربت هذه الجمعية إلى البلاد العربية، وخدعت حكومات عربية كثيرة، وفى لبنان استفحل نفوذها، فهب فريق من رجال الدين المسيحي الواعين وهالهم التطبيق العملي لتعاليم هذه الجمعية، وقاد المعركة ضد شهود يهوه، الخوري، جورج فاخوري، وفضح أسرارها وكشف حقيقتها"(التل، 1978، ص 156).

4.7.2 وليم بلاكستون والبعثة العبرية نيابة عن إسرائيل

في أواخر القرن التاسع عشر ظهر رجال دين، يطالبون بعمل شعبي لإعادة اليهود إلى فلسطين، وكان من أبرز هؤلاء (القس وليام بلاكستون) رجل الدين والمليونير الذي ينفق الملايين على التبشير، الذي يعتبر أباً للصهيونية اليهودية، بسبب نشاطه المتواصل من أجل تحقيق النبوءات التوراتية. فقد كان

بلاكستون ممولاً، ورجل صناعة كبير، وكان في نفس الوقت شديد التعصب. وفي عام 1878م ألف كتاب (عيسى قادم) الذي بيع منه أكثر من مليون نسخة، وترجم إلى 48 لغة بما فيها العبرية. وقد أثار هذا الكتاب جميع الأمريكيين، حيث كان من أكثر الكتب التي تتحدث عن عودة اليهود إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر. "وقد حج بلاكستون إلى الأراضي المقدسة برفقة ابنته في 1888م، وادعى أن تطويرها زراعياً وتجارياً لن يتم إلا على أيدي ورثة هذه الأرض وهم اليهود، وعاد؛ ليطلق الشعار الذي استغلته الصهيونية حتى اليوم حيث تحدث عن "الشذوذ المتمثل في أن فلسطين هذه تركت هكذا أرضاً بغير شعب، بدلاً من أن تعطى لشعب بغير أرض" (مقار،1992، ص152).

وبالإضافة إلى ذلك فقد أسس بلاكستون في شيكاغو منظمة سماها (البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل). "وقد عملت هذه المنظمة في مجالات متعددة ودعت اليهود إلى العودة إلى فلسطين، واستمرت هذه المنظمة في العمل حتى يومنا هذا وأصبح أسمها حالياً، أتباع أمريكا المسيحية" (الحسن، 1986–ب، ص 121). وخلال فترة رئاسة هاريسون، وجه بلاكستون (المنتمي إلى المنهاجيين) مظلمة إلى هاريسون ممهورة بتوقيع 413 من القيادات المسيحية الأمريكية تطالب بتجميع اليهود في (وطنهم) فلسطين. وقد عبر بلاكستون عن هذا صراحة في مظلمته، حيث جاء في هذه العريضة قوله:

> "لماذا لا نعيد فلسطين لهم (اليهود)؟ إنها وطنهم حسب توزيع الله للأمم، وهى ملكهم الذي لا يمكن تحويله لغيرهم والذي طردوا منه عنوة. لقد كانت أرضاً مثمرة بفضل فلاحتهم لها، وكانت تعيل ملايين الإسرائيليين الذين كانوا يفلحون سفوحها ووديانها بكل نشاط، كانوا مزارعين ومنتجين، كما كانوا أمة ذات أهمية تجارية كبرى. لماذا لا تعيد الدول التي أعطت بموجب معاهدة برلين عام 1878م؟ بلغاريا للبلغاريين والصرب للصربيين، فلسطين لليهود" (شديد،1985، ص 58).

وقد تسلم الرئيس هاريسون هذه العريضة ووعد بأن يأخذها بعين الاعتبار. وقد وقع على هذه المظلمة القادة السياسيون وقيادات الرأي في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تلخص وتحدد بصراحة أهم المنطلقات والأكاذيب والأباطيل الصهيونية بالقول بأن (فلسطين أرض بلا شعب، واليهود شعب بلا أرض)، والقول بأن اليهود هم أصحاب فلسطين، والمطلوب إعادتهم إليها، وأخيراً الزعم بأن ازدهار الحياة وخصب الأرض في فلسطين مرتبط بوجود اليهود، وتلك مسألة إلهية قدرها الرب بحيث إن أرض فلسطين تظل صحراء قاحلة حتى يأتيها اليهود! ولم تكن مظلمة بلاكستون هي الوحيدة التي قدمت إلى هاريسون، فقد رفع إليه عدد من أغنياء اليهود عريضة بطلب "عقد مؤتمر دولي للنظر في أحقية اليهود في استرداد وطنهم القديم فلسطين". واستجابة لتيار العرائض هذا، احتج الرئيس لدى قيصر روسيا على اضطهاد

اليهود، وعزز هذه الدعوة بقوله: "إن إدارتي قد أعربت لحكومة القيصر بروح ودية، ولكن بحزم بالغ، عن عميق قلقها إزاء الإجراءات القاسية التي تتخذ حالياً في روسيا ضد العبرانيين" (مركلي، 2003، ص 111). والجدير بالذكر أن "القس بلاكستون، قام بإرسال نسخة من التوراة إلى هرتزل، واضعاً خطوطاً وعلامات تحت النصوص التي تشير إلى استعادة فلسطين، ولقد حفظت هذه النسخة في ضريح هرتزل" (الشريف، 1985، ص 187).

5.7.2 جمعية احباء صهيون

وهي جمعية صهيونية تأسست عام 1882 من 25 طالباً روسياً، ثم انضم إليها ليون بنسكر صاحب كتاب (التحرر الذاتي) ورأسها، وكانت تهدف إلى مساعدة اليهود في الهجرة الى فلسطين، وأصبح لها فروع في عدة دول منها فلسطين. وبحلول عام 1890، كان هناك فروع لجمعية أحباء صهيون في نيويورك وشيكاغو وبلتيمور وبوسطن وفلادلفيا وكليفلاند. وتكونت جمعيات العودة لصهيون على يد آدم روزنبرج بغرض شراء أرض في فلسطين والإعداد لعودة اليهود إلى هناك. وفي عام 1896، طرح بول هاوبت خطة ترمي إلى توجيه المهاجرين اليهود القادمين من شرق أوربا إلى بلاد النهرين وسوريا، وأيده في هذه الخطة العديد من الشخصيات اليهودية البارزة، وفي هذه الأثناء قام هرتزل بالإعداد لمؤتمره الصهيوني الأول وحضره أربعة من اليهود الأمريكيين (المسيري، 1999، ص 180). وفي 1897، كونت الجمعيات الصهيونية في نيويورك اتحاد صهاينة نيويورك بغرض تكوين منظمة على مستوى الأمة كلها، وقد أصدر الاتحاد عام 1901 جريدة المكابي برئاسة لويس ليبسكي. وكانت توجد تحت مظلة الاتحاد 88 جمعية صهيونية محلية ومتخصصة، ومن هذه الجمعيات منظمة أبناء صهيون والشباب اليهودي وعصبة التحالف الصهيوني الجامعي، هذا غير منظمة الهاداساة أو منظمة النساء الصهيونيات الأمريكية عام 1912 برئاسة هنريتا سيزولد. وقد تأسست أول جمعية عمالية صهيونية في أمريكا عام 1903، وأصدرت صحيفة باليديشية" (المسيري، 1999، ص 181).

6.7.2 العقيدة التدبيرية من درابي إلى سكوفيلد

استطاع لاهوت الأيام الأخيرة الذي روج له بولس الرسول ويوحنا اللاهوتي، السيطرة على خيال وتفكير أتباع المذهب البروتستانتي، حيث اعتنقته في البداية طائفة بروتستانتية بريطانية غير معروفه (أخوة بليموث) في القرن التاسع عشر، التي كان باعث إلهامها رجل يدعى (جون داربي)، "حيث اتبع نهجاً؛ لتفسير الكتاب المقدس يدعى (التدبيريه)، بمعنى أن كل شيء مدبر ومبرمج، وأن على الإنسان

العمل على تحقيق البرنامج الإلهي وفق التفسير الحرفي للنبوءات التوراتية، حيث أدى ذلك إلى إرساء قواعد الأصولية الدينية الإنجيلية" (السماك، 2003، ص31). "واشتهرت الحركة في بواكير القرن العشرين، بعد توزيع سلسلة من الكتيبات بعنوان الأصول، وطلب أن يقبل المسيحيون الكتاب المقدس باعتباره، موحى من الله، لا يأتيه الباطل، ومعصوماً من الخطأ" (بلاكر، 2005، ص69)

وقد كان اعتقاد (داربي) وإيمانه، بأن نبوءات العهد القديم التي ترتبط بعودة اليهود المشتتين إلى أرض إسرائيل قبل تغربهم، يجب أن تتحقق حرفياً، حيث راج تعليمه بشكل كبير في كلٍ من بريطانيا وأمريكا. ولكن التحول الكبير حدث عندما نجح الأمريكي (سيروس سكوفيلد 1843- 1921) في التقدم خطوات طويلة في عملية التهويد المنظم للمسيحية، عندما نشر في عام 1888 كتابه (واجب تجزئة كلمة الحق)، طرح فيه المبادئ اللاهوتية للأصولية الإنجيلية التدبيرية، حيث التبس على الكثيرين التمييز بين نص الإنجيل وتفسيرات سكوفيلد الواردة فيه، وهو بمضمونه وسعة انتشاره أصبح العمود الفقري للفكر الأصولي للإنجيلية الصهيونية، ومنه يستمد قساوسة هذه الحركة المعاصرون أمثال بيل غراهام، وجيري فولويل وسواهم، أفكارهم التي يبنون عليها التزامهم الديني بإسرائيل، وبما يعتقدون أنه حقها التوراتي. فقد ربط سكوفيلد تفسيره للإنجيل بماضي وحاضر ومستقبل إسرائيل. "ففي اعتقاد سكوفيلد فإن عودة المسيح لن تحدث إلا باكتمال العوامل الأربعة التي، تفرض العودة: عودة اليهود إلى فلسطين، السيطرة الكاملة على القدس غير المقسمة، والعامل الثالث: إعادة بناء الهيكل، أما العامل الرابع والأخير، فهو خوض حرب هرمجيدون" (حرب،2003، 9، مارس)

مما تقدم يتضح لنا أهمية التغييرات اللاهوتية، التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني، مقارنة بالمذاهب المسيحية الأخرى، تجاه اليهود ومستقبلهم. وكيف ساهم المذهب البروتستانتي الذي انتشر في أمريكا، في تشكيل الفكر الأمريكي منذ بداياته الأولى، مستمداً قيمه وثقافته من العهد القديم، ورموزه التوراتية، مما جعله يسعى لتحقيق النبوءات التوراتية، والعمل من أجل تحقيقها على أرض فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية بزمن كبير.

الفصل الثالث

أمريكا والمشروع الصهيوني (1948- 1980)

1.3 تقديم

بإعلان قيام إسرائيل في عام 1948 بدأ التنفيذ الفعلي للمشروع الصهيوني على أرض الواقع، وتحققت الآمال البعيدة للمسيحية الصهيونية، وبدأت مرحلة العمل؛ لإكمال الحلم بتأسيس مملكة الرب التى سيعود اليها المسيح؛ ليحكم العالم من مقره في القدس. وخلال هذه الفترة مرت إسرائيل بظروف صعبة تتعلق بالرفض العربي لهذ الكيان الدخيل، وما أفرزه من مشكلات، حيث حاول العرب استرداد حقوقهم الشرعية التي أيدتها الشرعية الدولية، ولكن كان الرفض الصهيوني المدعوم أمريكياً على كافة المستويات هو الرد الدائم. وقد استطاعت إسرائيل وبدعم أمريكي شامل، أن تتغلب على كافة الصعوبات التي واجهتها في ظل ظروف دولية حرجه ومتغيرة، وتحملت أمريكا عبء النفقات الهائلة؛ لتعزيز الكيان الصهيوني، وكانت نقطة انطلاق سياستها منذ ذلك الحين هي إنهاك واحتواء وهزيمة حركات التحرر العربية كشرط أساسي لفرض رؤيتها على المنطقة (انظر: الدسوقي، 1985).

ولأهداف الدراسة سنقوم بتقسيم علاقة أمريكا بإسرائيل والقضية الفلسطينية، خلال هذه الفترة إلى أربع مراحل. المرحلة الأولى امتدت منذ النكبة 1948 حتى نهاية حرب عام 1967. أما المرحلة الثانية فامتدت منذ نهاية حرب عام 1967، وحتى حرب الخليج الثانية عام 1991، والمرحلة الثالثة امتدت من حرب الخليج الثانية حتى نهاية فترة الرئيس كلينتون في عام 2000، أما المرحلة الربعة فهى المرحلة التي شهدت تولي جورج بوش الابن السلطة من 2000-2009.

2.3 المبحث الأول: اليهود والحركة الصهيونية (خلفية تاريخية)

بالرغم من أن الكتابات والدراسات المتعلقة بالحركة الصهيونية احتلت حيزاً كبيراً في الأدبيات العربية، إلا أنها في أغلبها لم تستطع وضع هذه الحركة في حجمها الطبيعي، وبيان دورها الحقيقي في قيام إسرائيل، حيث يعزو معظم الكتاب والمحللين المهتمين بالقضية الفلسطينية للحركة الصهيونية، القيام بالدور الرئيس في إقامة دولة إسرائيل. وأعتقد أن ما عرضنا له في السابق يكشف ولو جزئياً عدم دقة هذه الدعاوى، ويكشف أن دور الحركة الصهيونية وزعمائها لم يكن في أحسن الأحوال إلا كصدى للأفكار التي انتشرت بين المسيحيين البروتستانت؛ ولذلك فإنه ليس من المغالاة في شيء القول:

"إن الصهيونية غير اليهودية، كانت قد انتشرت في أوروبا، ووصلت فكراً وتخطيطاً إلى أعلى مراحل الصهيونية، أي مشروع الدولة، بينما كان اليهود أنفسهم، سواء في أوروبا الغربية أو أوروبا الشرقية، لا يزالون خارج النشاطات الصهيونية، وفي الكثير من الأحيان كانوا يقفون ضدها، كان بعضهم لا يستوعبها عقلياً، وبعضهم يرفضها دينياً أو نفسياً، وبعضهم لم يسمع بها بعد. ويمكن القول، بصورة عامة إن اليهود كانوا آخر من اكتشف الصهيونية في أوروبا" (الحوت،1991، ص 285)

ويؤكد هذه الحقيقة نتنياهو بقوله: "كان التأييد للفكرة الصهيونية، منذ البداية بين من هم غير يهود، أكبر بكثير منه في الأوساط اليهودية" (نتنياهو، 1996، ص72). ولاحظنا كيف أن المسيحيين البروتستانت بدأوا يطالبون بإعادة اليهود إلى فلسطين منذ القرن السادس عشر، ولم يتركوا وسيلة لتحقيق ذلك، من خلال عقد اللقاءات وطرح المشاريع على رجال الدولة، والقيام برحلات استكشافية لدراسة فلسطين وتهيئتها لعودة اليهود إليها، هذا في حين كان اليهود آخر من يفكر في هذا الأمر.

"ويعود سبب إحجام اليهود عن المشاركة والتجاوب مع هذه الدعوات إلى فقرة تلموذية شهيره في الجزء المسمى (كيتوبوت ص111) التي تتردد في أجزاء أخرى من التلمود، حيث تقول إن الله فرض على اليهود ثلاثة مواثيق : ينص الأول على أن اليهود لا يجب أن يتمردوا على غير اليهود. والثاني بألا يقوم اليهود بالهجرة إلى فلسطين قبل مجئ المسيح. أما الميثاق الثالث فيفرض على اليهود عدم الصلاة بقوة طلباً لقدوم المسيح، حتى لا يأتي قبل موعده المحدد. وقد قامت الغالبية العظمى من أهم حاخامات اليهودية التقليدية بتفسير المواثيق الثلاثة وواصلت اعتبار وجود اليهود في المنفى التزاماً دينياً للتكفير عن الآثام اليهودية التي جعلت الله يقوم بنفيهم" (شاحاك، 2001، ص23)

فاليهود المتدينون يبنون آمال المستقبل من العبرة بالماضي، ويفسرون التوراة:

" بأن الإسرائيليين القدماء أضاعوا الأرض المقدسة؛ بسبب ارتكابهم المعاصي ضد الآخرين، وبسبب تخليهم عن إلههم الواحد من أجل آلهة أخرى. واليهودية في جوهرها دين ميثاق وعهد وإن اختلف هذا العهد من جيل إلى جيل، فهو دائماً يبقى عقداً بين الشعب والله. فالله وعدهم بالأرض، وبأن يعيشوا فيها عيشة ازدهار، لكن في مقابل ذلك، على اليهود من جانبهم أن يقوموا بتنفيذ الشروط الخلقية والمبدئية للعهد. فالله وحده إذاً هو الذي يحكم على سلوك أبناء اليهود، وهو وحده الذي يرى، في مرحلة ما، أنهم قد وصلوا إلى حد المثالية الخلقية؛ مما يستدعى تصحيح العهد، فيرسل لهم مسيحاً؛ ليخلصهم من الشتات، ويعيدهم إلى الأرض المقدسة" (الحوت، 1991، ص 327).

ومن هنا فالتعجيل بمعجزة مجيء العصر المسيحاني "لا يمكن أن يأتي إلا من الله، وما على الإنسان إلا أن يصلي لله ويحسن عمله أملا في ألا يتأخر الخلاص، وكل محاولة للعودة إلى أرض إسرائيل قبل

ظهور الإشارات الإلهية، كفر وهرطقة وثورة ضد الإله. وعودة اليهود إلى أرض آبائهم شأن من اختصاص الإله وحده، ولا تتم بقرار من بنى البشر" (عبد الدائم، 2000، ص 25).

كانت هذه هي النظرة التي حكمت تفكير اليهود منذ تدمير الهيكل الثاني وحتى بداية القرن التاسع عشر، حيث التزموا بهذه الرؤية الدينية طوال هذه الفترة، ولم يبذلوا أي جهد للعودة، وظلوا ينتظرون المسيح المنتظر لكي يخلصهم ويعيدهم إلى فلسطين بمعجزه إلهية، ولهذا كانت تظهر بين الفترة والأخرى دعوات من بعض اليهود الذين يدعون أنهم المسيح المنتظر، فيلتف حولهم اليهود ويعقدوا عليهم الآمال ولكن سرعان ما يتضح كذبهم فتنتهى هذه الدعوات بمقتل صاحبها أو تراجعه عن دعوته.

> "فقد ملأت قصص المسيح المنتظر كثيراً من التراث اليهودي، وكثيراً ما كانت سبباً في نزول بلايا ورزايا كثيرة باليهود في أدوار مختلفة ولا تزال هذه العقيدة إلى اليوم راسخة في نفوس الطبقات المتدينة من اليهود. وإذا قام شخص وادعى انه المسيح المنتظر الذي يحنون إليه منذ أزمان طويلة أنكروا ادعاءه وسفهوا قوله ورفضوا الإذعان لما يدعوهم اليه. وكأن الامة اليهودية كانت ترمي في هذه الفكرة إلى غاية معنوية لا يريدون تحقيقها بوجه من الوجوه" (ولفنستون، 2006، ص 122).

وفي القرن الثالث عشر قام الحاخام اليعازر بن موشيه- الزعيم الروحي ليهود المانيا، بتحذير اليهود الذين يهاجرون بكثافة إلى فلسطين من أن الله سيعاقبهم بالموت. وفي نفس الوقت تقريباً قال الحاخام عيزرا في أسبانيا: "إن اليهودي الذي يهاجر إلى فلسطين انما يهجر الله الذي يوجد فقط في الشتات، حيث يعيش أغلب اليهود وليس في فلسطين. وفي منتصف القرن الثامن عشر كتب الحاخام الألماني الشهير يوناثان ايبشوتز "إن الهجرة المكثفة إلى فلسطين حتى مع موافقة كل دول العالم هي أمر محظور قبل مجئ المسيح" (شاحاك،2001، ص52). وهكذا كان حال اليهود طوال تاريخهم حائرين بين الدعوات المسيائية، وبين قيود حاخاماتهم التى تمنعهم من العودة إلى فلسطين، بدون انتظار المسيح المنتظر. وبناءً على هذه المسيائية المتدينة، فإنه لا يوجد سبب على الأرض، يستدعى العودة إلى صهيون، إلا أن يكون هو الأمر الإلهي. فالعودة مرتبطة بسلطة الله التي لا تناقش.

1.2.3 عصر التنوير في أوروبا وحركة التنوير اليهودية

ساهم كثيراً مفهوم التنوير الحديث في تحرر اليهود، حيث كانت لفكرتين من التنوير عواقب مهمة بالنسبة ليهود أوروبا .الفكرة الأولى تصر على أن يقيم كل إنسان بحسب مزاياه الذاتية وليس كما كان الحال من قبل، بحسب أسرته، أو طبقته أو مكانته الدينية. والفكرة الثانية تصر على أن كل فرد يستطيع استعمال العقل

والرأي الشخصي لاتخاذ قراراته (فايرستون،57،2005). وقد منحت هاتان الفكرتان الفرصة للترحيب باليهود؛ ليكونوا مقبولين ومندمجين في المجتمع الأوروبي دون الأفكار المسبقة المبنية على الكراهية التقليدية وجاءت الثورة الفرنسية وألغت كل تمييز عنصري يمارس على اليهود، وراح ينظر إليهم على أنهم مواطنون حقيقيون، اذ اندمج اليهود في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأوطانهم وأسهموا في تطوير الحياة الثقافية الغربية في شتى المجالات (جارودي، 1991، ص165). كما شجعت الولايات المتحدة الأمريكيّة الذي شدّد بيان استقلالها على حرّية الفرد والشعوب، على إدماج اليهود. وهذا الانفتاح على العالم الخارجي بعد قرون من الحجر والعزلة جعل اليهودية قادرة على إصلاح نفسها؛ لتتخلص من شكلانية الطقوس الجامدة ومن التعصب.

فدعوة سبينوزا إلى النزعة الإنسانية الشاملة والتسامح راحت ترن أصداؤها في كل أرجاء أوروبا، كنقيض لعهود التعصب الديني المظلمة. فالعقلانية بدأت تغزو التقاليد الجامدة المحافظة. تم جاء موسى مندلسون (1729–1786) الذي يلقب بلوثر اليهودية، بحركته الإصلاحية لليهودية، حيث أراد إحياء رسالة الأنبياء فدعا الى الانفتاح على ثقافة الآخرين كما دعا إلى المحبة (جارودي، 1991، ص164). وأبرز ما قاله موسى مندلسون هو قيامه بتوسيع الدين اليهودي؛ ليكون ديناً عقلانياً عالمياً؛ ليضع اليهودية ضمن السياق الانساني العام(المسلماني، 2003، ص69). وعمل على تقريب المسافات وتخفيف حدة العداء بين المسيحية واليهودية، والتوفيق بينهما، عن طريق التشديد على النقاط المشتركة بينهما. كمقدمة لتقليص الجفاء بين اتباع الديانتين. ولم يكن التحديث ليكتمل بدون تبسيط الطقوس والعبادات اليهودية.وبدأت الدراسة النقدية العلمية للتاريخ اليهودي. ولم يعد من المقبول اعتبار الأسفار الخمسة (من أول العهد القديم) من الوحي. فقد بددت هذه الدراسات صفة الوحي عن العهد القديم وجعلت من التلمود كتاباً وضعياً، بعد أن كان يفوق الكتاب المقدس في أهميته، ودعا إلى اعتبار اليهودية ديانة توحيدية مبسطة لا ترتبط بالقومية اليهودية ولا بأرض الميعاد. كما دعا هذا الاتجاه لاعتبار اليهودية ديانة كونية مفتوحة لهداية الناس جميعاً. ثم جاء الفيلسوف اليهودى الفرنسي برجسون؛ ليعلن رفض اله اليهودية الذي لا يسخر كل قوته إلا في سبيل البغض، على العكس من إله الحب المسيحي الذي يتوجه بحبه إلى الإنسانية بأسرها. ولولا تصاعد النازية لاعتنق برجسون الكاثوليكية، وهو ما فعلته "سيمون فيل" التي أردت عن اليهودية واعتنقت المسيحية واصفة العهد القديم بأنه كتاب قبائلي يحض على الحروب(المسلماني، 2003، ص67). وهكذا خلصت حركات التنوير اليهودية، إلى أن الطريق للخلاص من طغيان الماضي اليهودي الانعزالي، لا يكون إلا بتجاوز تراث الجيتو إلى الآفاق الرحبة للنزعات الإنسانية. غير أن القرن التاسع عشر لم ينته إلا وكان تراث التنوير اليهودي قد تجرع كأس الهزيمة أمام الحركة الصهيونية الصاعدة.

2.2.3 ظهور الصهيونية

ظهرت الصهيونية السياسية، أواخر القرن التاسع عشر، في فترة تحول تاريخية، بدأ معها بداية انهيار نظام الغيتو اليهودي ومعه سياسة اللاسامية. وقد جاء ظهور الصهيونية السياسية كظاهرة اعتراضية لقطع الطريق على هذه العملية التاريخية. فمع بدايات القرن التاسع عشر، ولأسباب كثيرة، ظهر عدد من المفكرين اليهود الذين نشروا العديد من الكتابات التي هاجمت الأفكار التقليدية، التي ترى بأن الخلاص لن يتم إلا من خلال معجزة إلهية على يد المسيح المخلص، حيث نادى هؤلاء بضرورة تحرك اليهود من أجل تحقيق العودة بالعمل واستغلال كافة العوامل التي تخدمهم في هذا المجال. وبهذا فقد سبق ظهور الصهيونية بروز بعض الآراء اليهودية المتطرفة المعارضة لاندماج اليهود في مجتمعاتهم، وكان هناك رواد يهود بحثوا قضية العودة وتحدّثوا عن الدولة اليهودية ودعوا إلى إحياء أرض إسرائيل، بالاستفادة من العناصر اليهودية المنتشرة في أكثر بلدان العالم، وتحديداً يهود شرق أوروبا الذين كانوا في وضع اقتصادي سّييء. حيث كانوا يتعرضون لعمليات الاضطهاد الدينى والسياسي والتضييق الاقتصادي.

3.2.3 يهودا الكعى (1878-1798م)

كان يهودا الكعى غارقاً مثله مثل باقي اليهود، في الغيبيات الدينية، لما انتشرت في البلقان إشاعة تقول أن سنة 1840م ستكون سنة الخلاص. حيث تعلق معظم اليهود وخصوصاً المتدينين منهم بهذه الشائعة (النبوءة). وقبل موعد الخلاص بعام، أي في 1839م، نشر الكعى كتاباً في تعليم اللغة العبرية.

> "دعا فيه اليهود إلى الاستغراق في الصلاة تمهيداً؛ لتحقيق النبوءة المسيائية، ثم اتبعه بكتاب ثان سنة 1840م سماه (شلوم يروشالايم) حث فيه اليهود على دفع عشر مدخولاتهم لمساعدة يهود القدس، ولكن لما فشلت النبوة بعدم ظهور المسيح المخلص، ولما وقعت حادثة دمشق الشهيرة في السنة نفسها، والتي اتهم فيها اليهود بقتل المسيحيين واستنزاف دمهم، تخلى الكعى عن الغيبيات الدينية وسيلة وحيدة لخلاص اليهود، وبات يدعو إلى درب عملي، خصوصاً بعد رؤيته أهمية تدخل القناصل والدول الأجنبية لوقف محاكمة اليهود في دمشق" (الحوت،1991، ص 313).

ولهذا كرس الكعى ما تبقى من حياته داعياً إلى تخليص اليهود وعودتهم، بالصلاة والعمل. "ونشر منذ سنة 1843م سلسلة من الكتيبات والمقالات، ركز فيها على أهمية الطلب من شعوب العالم كي تسمح لليهود بالعودة إلى وطنهم، كما طالب اليهود بدفع العشر من أجل العودة، حيث ربط بين الخلاص اليهودي وابتياع الأرض المقدسة (أي فلسطين) من أصحابها غير اليهود" (الخالدي، 1984، ص8).

وبهذا كان الكعي من أوائل اليهود الذين نادوا بإقامة دولة يهودية في فلسطين، ونشر كتاباً دعا فيه اليهود إلى بذل نشاط خاص لإعادتهم إلى فلسطين وإحياء لغتهم المقدّسة. وقد اعتبر عودة اليهود الجماعية بداية الخلاص الذي وعد به جميع الأنبياء، وأشار إلى أنّ المسيح سيظهر بين المهاجرين الرّواد (عايد،1986، ص539).

4.2.3 تسفى هيرش كاليشر (1795-1874م)

كتب هيرش في عام 1837 يقول: "إن الله أمر اليهود بألا يقوموا أبدا بإنشاء دولتهم بأنفسهم ومن خلال جهودهم". وفي نفس العام الذي حظر فيه على اليهود إعلان دولة يهودية، حدث زلزال قتل الغالبية العظمى من سكان مدينة صفد، وكان كثير منهم من اليهود. وقد أرجع الحاخام البولندي موشيه تيتلباوم هذا الزلزال إلى عدم رضا الله عن الهجرة اليهودية الزائدة إلى فلسطين، وقال: ليست مشيئة الله أن نذهب إلى أرض إسرائيل عن طريق جهودنا ومشيئتنا" (شاحاك، 2001، ص53). ولكن كاليشر منذ 1842م غير آراءه تماماً، ونشر أفكاره سنة 1843م في كتاب بعنوان (عقيدة صادقة)، وأعلن أن استرداد صهيون يجب أن يبدأ بالعمل عليه من جانب اليهود أولا، أما معجزة قدوم المسيح المنتظر، فتتبع ذلك. لهذا دعا اليهود للاعتماد على أنفسهم لأن خلاص بنى إسرائيل لا يمكن تصور حدوثه بواسطة معجزة "فالرب لن ينزل لقيادة شعبه، وهو لن يرسل المسيح من السماء لينفخ النفير ويجمع اليهود المشتتين للتوجه إلى أورشليم" (ربيع، ب.ت، ص23). "فالناس البلهاء فقط، يمكن أن يصدقوا هراء كهذا. أما العقلاء فيعرفون أن الخلاص لا يكون إلا بالتدريج، وهو فوق كل شيء لن يكون إلا نتيجة جهود اليهود أنفسهم. وإذا كانت القدرة الإلهية ستقوم بمعجزة، فأي مغفل لا يكون مستعداً، عندئذ، للذهاب إلى فلسطين؟ أما أن يتخلى المرء عن بيته وماله من أجل المسيح المنتظر، فذاك هو الامتحان الحقيقي، وذاك هو التحدي" (الحوت،1991، ص 314). وفي سنة 1862م نشر كتاب (البحث عن صهيون) وهو أشهر كتبه ومن أهم الأفكار التي جاء بها كاليشر: "إن خلاص اليهود كما تنبأ الأنبياء به، يمكن أن يتم بوسائل طبيعية، أي بمجهود اليهود أنفسهم، من دون أن يتطلب ذلك مجيء المسيح، وإن الاستيطان في فلسطين يجب أن يتم من دون تأخير؛ ولهذا دعا كاليشر اليهود إلى الاستيطان في فلسطين وقال: "إن الخلاص يحتاج إلى النشاط الاستيطاني وإلى الاستعمار العملي في فلسطين بدلاً من المعجزة الإلهية" (الخالدي، 1984، ص8)

ونتيجة لهذه الآراء اتهم كاليشر بالهرطقة وقوبلت آراؤه، كما قوبلت آراء الكعى المماثلة، بعدم التجاوب من قبل اليهود؛ وذلك بسبب دعوتهما إلى الإسراع في النهاية، وعدم انتظار المعجزة الإلهية؛ مما جعل

اليهودية الأرثوذكسية تناصبهما العداء. وفي سنة 1862 أصدر اليهودي (موسى هس) كتاباً أسماه "بعث إسرائيل" دعا فيه إلى قومية يهودية؛ لتحرير القدس وعودة اليهود إلى وطنهم القديم. ثم صدر كتاب لليهودي الروسي ليوليف بنسكر (1821–1891) سنة 1882 بعنوان "التحرر الذاتي" دعا فيه إلى نبذ فكرة الاندماج، وقال أن التحرر يكمن في خلق مركز قومي لليهود، ودعا إلى إقامة الأدوات التنفيذية المباشرة لبناء الوطن القومي لليهود. مع الإشارة إلى أنّ ليوبنسكر كان في بداية حياته من أنصار الاندماج في المجتمعات الأوروبية. ولكن بعد زيارة قام بها إلى لندن تنّكر لفكرة الاندماج" كما أنه "كان على غرار كاليشر وهس، يرفض الاعتماد على الإيمان الغيبي بالمسيح المنتظر، ووضع اللوم على الإيمان الغيبي بجعل اليهود يتخلفون عن الاهتمام بحريتهم القومية ووحدتهم واستقلالهم؛ مما جعلهم يغرقون إلى الأسفل، فالأسفل" (الحوت،1991، ص 323).

ومن بين الرّواد الأوائل أيضاً اليهودي بيريز سمولينسكين 1843–1885، واليهودي موشيه ليلينلوم 1843–1910، وأليعازر بن يهودا 1858–1922 وهو يهودي روسي(عوض،1984، ص845–847). ونتيجة لهذا النشاط الفعّال الذي مارسه هؤلاء الرّواد اليهود من خلال كتاباتهم الكثيرة وجولاتهم المستمرة التي تستهدف الحثّ على العودة إلى فلسطين والتمّسك بالعزلة، وضرورة بعث القومية اليهودية، ظهر عدد من المفكرين اليهود الجدد، رفدوا التّيار الأقدم ونشطوا في إبراز الجوانب النفعية لمشروع العودة والاستيطان، وقد أخذوا على عاتقهم مهّمة السعي المستمر لزرع الأفكار الصهيونية في عقول اليهود ودفعها إلى الانخراط في الحركة الصهيونية. وعلى الجانب الآخر جاء آحاد هاعام 1856–1927؛ ليدعو إلى صهيونية روحية، حيث اقترح إنشاء مركز ثقافي في فلسطين تستطيع الهّوية اليهودية أن تنمو وتستمر من خلاله، وستشّع من هذا المركز الرّوح القومية اليهودية على أعضاء الأقليات في العالم، فتبعث فيهم حياة جديدة تقوّي وعيهم القومي وتوطّد أواصر الوحدة بينهم" (المسيري،1984، ص257).

وبذلك كان هؤلاء المفكرون، هم الدعاة الأوائل الذين مهدوا الطريق أمام ظهور الحركة الصهيونية على يد هرتزل؛ لهذا فإن الكثيرون يعتبرون أن الحركة الصهيونية المتعارف عليها الآن "هي الوارث الشرعي لعدد من النداءات والدعوات الفكرية التي ابتدأت تظهر في أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر، لكنّها لم تجد تجاوباً . ولو محدوداً . إلا مع بداية الستينات، وهذا فضلاً عن أنّ بعض النداءات والمؤلفات لم تكن لتجد الحد الأدنى من الانتشار والشهرة، حتى بين اليهود أنفسهم. ومع ذلك، فإنها في مجموعها مقدمة مهمة لمعرفة الصهيونية، فكراً وحركة سياسية يهودية" (برير،2004، ص161).

5.2.3 هرتزل ومؤتمر بازل

مع انتشار كتابات وأفكار المفكرين اليهود، أمثال الكعى وكالشر وغيرهم بين اليهود في أوروبا، أصبح الجو مهيئاً لتوحيد جهود المؤمنين بهذا النهج الجديد من خلال حركة يهودية عامة تزعمها هيرتزل، الذي كان لكتابه "دولة اليهود" الذي صدر سنة 1896 أثرٌ كبير في تشكّل الحركة الصهيونية الحديثة وتطورها، وقبل أن ينشر كتابه قام بنشاط فعّال التقى خلاله شخصيات يهودية ثريّة بحث معها مشروع الدولة اليهودية، كما التقى مع عدد من القادة البريطانيين الصهيونيين في لندن سنة 1895 (المسيري،1984، ص261)، وأخذ ينشر أفكاره بين اليهود وغيرهم من المسيحيين البروتستانت. ونتيجة لهذه الجهود المكثّفة التي قام بها هرتزل، تمّ عقد المؤتمر الصهيوني الأول يوم الأحد 29 آب، أغسطس 1897م في صالة احتفالات بلدية بازل، وأصدر المؤتمر قرارات تعرف الآن باسم (برنامج بازل) الذي أصبح الوثيقة النظرية والعملية لأهداف الصهيونية" (المسيري، 2003–ا، ص74)، حيث أعلنت الحركة الصهيونية عن برنامجها السياسي الذي يهدف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في أرض فلسطين، وقرّرت إنشاء المنظمة الصهونية العالمية، وانتخب هرتزل رئيساً لها وللجنتها التنفيذية.

6.2.3 معارضة الحركة الصهيونية في العالم

عندما بدأ التحضير الجدي لعقد أول مؤتمر صهيوني مع مطلع سنة 1897م، كان مقرراً عقده في ميونخ، ولكن لما أرسلت الدعوات الرسمية، غضب اليهود الغربيين وأعلنوا سخطهم على المؤتمر واعتبرته الصحافة الألمانية اليهودية خيانة، كما أعلنت رابطة رجال الدين اليهود في ألمانيا أن هذا المؤتمر يناقض الدعوة الميسائية؛ ولذا رفضته بشده، "وقد أدت هذه الحملة إلى نقل مكان المؤتمر إلى بازل بسويسرا (المسيري، 2003–ا، ص74). وفي الوقت نفسه الذي تأسست فيه الصهيونية في مؤتمر بازل، عقد مؤتمر مونتريال في العام نفسه بدعوة من الحاخام (ماير وايز)، وهو أكبر شخصية يهودية في الأمريكتين، وقد جرى التصويت على الاقتراح الذي يفصل فصلاً حاسماً بين قراءتين للتوراة: قراءة متعصبة منغلقة، وقراءة شاملة منفتحة. كان نص الاقتراح يقول: "نستنكر كل الاستنكار أية مبادرة ترمي إلى إقامة دولة يهودية. هناك محاولات من هذا القبيل تنبئ عن مفهوم مضلل ينطلق من منطلق سياسي وقومي ضيق؛ ليشوه رسالة إسرائيل التي ارتقت إلى المستوى الإنساني الشامل، والتي بشر بها أنبياء اليهود الأوائل. ونحن نؤكد أن أهداف اليهودية ليست سياسية ولا قومية وإنما هي أهداف روحية تحمل على عاتقها نشر السلام والعدالة والمحبة بين البشر."(جارودي، 1991، ص183)

كانت أقوى معارضة للصهيونية من جانب المتدينين اليهود الأرثوذكس والشرقيين، وبعض الحاخامات، واليهود الإصلاحيين؛ لأنهم يعتقدون أن هدفها لإنشاء وطن يهودي يمثل محاولة من اليهود"لثني يد الله " بمحاولة الإنقاذ السياسي للشعب اليهودي؛ وبحسب هذه النظرة المثالية الأرثوذكسية، فإن المحاولات "لثني يد الله" ستقود إلى كارثة ، تماماً ، كما قادت مثل تلك الحركات السابقة في التاريخ اليهودي إلى عنف رهيب ودمار وحشي .وعليه، فإن اليهود مطالبون بالصبر والانتظار حتى يحدد الله الوقت المناسب للخلاص النهائي(فايرستون،2005، 109). فقد وجد اليهود المتدينون أن الفكرة الصهيونية "منافية للطبيعة والمنطق إن لم تكن تجديفاً وكفراً، ورأوا أن الخلاص يكون في مجئ المسيح، وليس في الطموحات السياسية للدكتور هرتزل" (تيفن، 1998 ص 13). ومن هنا تختلف هذه الصهيونية الدينية، عن الصهيونية السياسية التي قرر رجالها في مؤتمر بازل سنة 1897م العودة إلى الأرض المقدسة، ولم ينتظروا المعجزة الإلهية. "فالصهاينة المتدينون لا يرون في أي مؤتمر سياسي طريقاً للعودة، وهم، أكثر من ذلك . لا يرون حتى في عذاب الهولوكوست ومعسكرات النازية سببا للعودة. فالعودة إن لم تقترن بالإرادة الإلهية فهي عودة باطلة" (الحوت،1991، ص 327). وهكذا كان موقف اليهود المتدينين من الحركة الصهيونية متمسكاً بالشك وعدم الاطمئنان، في أفضل حالاته، وبالرفض الصريح والمناوأة في أشدها، كما في هذا الكلام للحبر المتدين صدوق الذي قال:

> "إن أورشليم أرفع الذرا التي تتطلع إليها قلوب اليهود، ولكني حتى وإن عذبت بثلاثمائة قضيب محمى بالنار، لن أتحرك من مكاني، ولن أصعد إلى أورشليم لصالح الصهيونيين. ولقد بلغ إيمان اليهود الأرثوذكس بشيطانية الحركة الصهيونية أن الحاخام يوسف حاييم أعلن، عندما زار هرتزل فلسطين، أن "الشر قد دخل الأرض المقدسة معه" وقال: "إننا لا نعرف ما الذي يمكننا أن نفعله دفاعاً عن أنفسنا في مواجهة هؤلاء الصهيونيين الذين يريدون تدمير كل إسرائيل، فليرحمنا الله" (مقار، 1992، ص159).

هذا ولم تنقطع المعارضة مع قيام دولة اسرائيل التي لم تطمئن سياستها مخاوف اليهود المؤمنين. وقد لخص الحاخام هيرش عام 1978 النقد اللاهوتي الموجه للصهيونية فقال: "إن الصهيونية على نقيض تام مع اليهودية. إنها تريد تعريف الشعب اليهودي بأنه وحدة قومية، وهذا هو الكفر نفسه. لقد تلقى اليهود من الله رسالة لا تلزمهم بالعودة الى الارض المقدسة على الرغم من أولئك الذين يسكنونها. وهم حينما يفعلون ذلك عليهم أن يتحملوا كل العواقب. والتلموذ يقول: إن هذا التعدي سيجعل من لحوم اليهود فريسة لوعول الغابة إن المحارق والمجازر هي إحدى ثمار الصهيونية"(جارودي، 1991، ص184). وفي كتابه انحلال اليهودية يرى الحاخام موشي مونهين أن الصهيونية هي التعبير الأكثر وضوحاً لانحلال اليهودية. ولهذا وجه نداءه إلى الإسرائيليين بقوله: أود أن أقول لكم عودوا إلى آبائنا، إلى اليهودية التي جاء بها الأنبياء،

ارفضوا ديانة النابالم، عودوا إلى الحدود التي أعطيتم إياها عام 1947 من قبل الأمم المتحدة رغماً عن العرب الفقراء، وعيشوا حياة بناء لا هدم" (المسلماني، 2003، ص141).

وإذا كان لنا أن نقيم إنجازات المؤتمر الصهيوني الأول، فإنه يمكن القول إن أهم إنجاز له على الإطلاق، تمثل في انعقاد المؤتمر ذاته، أي التقاء الزعماء اليهود واتفاقهم على نهج جديد في التعامل مع المسألة اليهودية. وقد تمثل هذا النهج في رفض تصور اليهود التقليدي حول المسيح المنتظر، والبدء في البحث عن طرق عملية من أجل تحقيق الحلم القديم للشعب اليهودي، بحيث تكون هذا الطرق متكيفة وملائمة مع عوامل الزمن الملائمة لحركتها. وهنا نود أن نؤكد على أن هذا الأمر لا ينفي الطابع الديني عن هذه الحركة، والذي يحاول كثير من المثقفين العرب إقناعنا والبرهنة عليه من خلال التفرقة بين الصهيونية واليهودية بتأويلات وتفسيرات مختلفة. "فالصهيونية هي في الأساس حركة يهودية ذات منطلقات دينية أصيلة، ولكنها تختلف عن اليهودية التقليدية التي كانت سائدة قبل ذلك، هو في تبنيها طريق جديد؛ لتحقيق الحلم اليهودي من خلال رفضها للتصور التقليدي بضرورة انتظار عودة المسيح المنتظر، وضرورة العمل؛ لتهيئة الظروف للتمهيد لهذه العودة وتحقيق الحلم الصهيوني" ([1]). فقد كانت الصهيونية سواء بالنسبة لليهود أو المسيحيين بمثابة تحقيق لنبوءة قديمة: "ويحمل معجزة للغرباء، ويجمع إسرائيل الشتات، ويجتمع اليهود من كافة أقطار الأرض" هكذا قال يشعياه. كما تنبأ حزقيال: "وخلصتكم من الغرباء وجمعتكم من كل الأقطار، أحضركم إلى أرضكم" (نتنياهو، 1996، ص77).

وربما يرفض بعضهم تحليلنا السابق الذي يحصر أهمية قيام الحركة الصهيونية في مجرد أنها رفضت التصور التقليدي الغيبي الذي كان سائداً قبل ذلك، واتباع منهج جديد؛ لتحقيق الحلم الصهيوني، ويعتبرون ذلك انتقاصاً للدور الكبير الذي لعبته الحركة في قيام إسرائيل. وكان من الممكن أن يكون هذا الرفض في محله لو أن هذه الحركة عملت لتحقيق قيام إسرائيل بمفردها، أو أنها كانت أول من تبنى هذه الفكرة، ولكننا لاحظنا، كيف أن التفكير بإعادة اليهود إلى فلسطين بدأ قبل ظهور الحركة الصهيونية بثلاثة قرون على أيدي أتباع المذهب البروتستانتي، الذين لم يتركوا مناسبة إلا استغلوها من أجل تحقيق هذه العودة. كما أنهم قاموا بدراسة فلسطين والبحث فيها لإعدادها وتهيئتها لسكانها الجدد، الذين لم يطلب منهم سوى التجاوب مع هذه الجهود وعدم رفضها، وقد جاء هذا التجاوب من قبل الحركة الصهيونية، التي وجدت

([1]) هناك شبه كبير بين الفكرة الصهيونية وفكرة ولاية الفقيه التي نادى بها الإمام الخميني، حيث إن كليهما رفضتا التفسير التقليدي لانتظار المسيح المنتظر عند اليهود، والمهدي المنتظر عند الشيعة. واتخذتا خطوات إلى الإمام كان الفكر التقليدي يعتقد بأنهما من مهام المسيح المنتظر أو المهدي المنتظر.

كافة الأمور ممهدة أمامها، ولم يكن مطلوب منها سوى تبني هذه الدعوة نيابة عن اليهود، والعمل مع الصهيونية المسيحية لتحقيق الأهداف المطلوبة.

فالحركة الصهيونية في مبدأ أمرها لم تلقَ قبولاً واسعاً بين اليهود، في حين أثارت حماساً شارف الهوس بين المؤمنين المسيحيين المتحمسين؛ لتوفير متطلبات المجيء الثاني. وباختصار يمكننا القول بأن إقامة إسرائيل كان مطلباً دينياً في الأساس لاتباع المذهب البروتستانتى، اللذين كان لهم الدور الأكبر في إنجازه وحمايته منذ البداية وحتى الآن، وإذا كان هناك من دور للحركة الصهيونية وزعمائها، فإنه لم يتجاوز مجرد القبول بإمكانية تحقيق عودة اليهود إلى فلسطين عن طريق التدخل البشري، بعكس النظرة اليهودية التقليدية. وربما هذا ما يفسر حرص الصهيونيين المسيحيون على دعوة اليهود للهجرة إلى فلسطين وإقامة وطن لهم هناك، حيث كان الرفض اليهودي المستمر يسبب لهم أزمة (الحوت، 1991، ص292). ولكن هرتزل عندما تمرد على الأفكار اليهودية التقليدية، قوبلت آراؤه بترحاب من الصهاينة المسيحيين.

فهذا هو القس وليام هشلر – الذي كان يعمل في السفارة البريطانية في فينا "قام في عام 1882 بعقد مؤتمر مسيحي في لندن، دعا إليه كبار المسيحيين للنظر في توطين اليهود المهاجرين من رومانيا وروسيا في فلسطين" (الحوت، 1991، ص 301) ونشر مقالاً في صحيفة (دى فلت) اليهودية، اختتمه بقوله: "أفيقوا يا أبناء إبراهيم ، فالله ذاته الأب السماوي، يدعوكم إلى الرجوع إلى وطنكم القديم" (النتشة، 1986، ص 169). وعندما قدم له أحد أصدقائه كتاب (الدولة اليهودية لهرتزل) لم يكد هشلر يفرغ من قراءة الكتاب حتى هرع إلى سفير بلاده قائلاً: "إن الحركة التي قدرها الله من قبل قد جاءت – يقصد الحركة الصهيونية. وطلب عقد لقاء مع هرتزل، وساعده لمقابلة قيصر ألمانيا، أملاً في استغلال نفوذه لدى الباب العالي؛ ليقنعه بتوطين اليهود في فلسطين، ولكن هذا المسعى لم ينجح بسبب رفض السلطان عبد الحميد" (مؤسسة الدراسات الفلسطينية،1987، ص49).

4.3 المبحث الثاني: الحكومات الأمريكية والمطالب الصهيونية (خلفية تاريخية)

نشأت أمريكا كأرض صهيونية منذ فجر ميلادها الأول، حيث لاحظنا ذلك على مستوى الفكر والعمل، ورأينا كيف قدم الرؤساء الأمريكيون الأوائل خدمات جليلة، ومباشرة في هذا السياق، وكيف أنهم – من حيث العقيدة – لم يكونوا أكثر من مجموعة من المتطرفين الصهاينة المهووسين بالعبرانية، وتابعنا مساعيهم لإقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين قبل هرتزل بزمان طويل، بل إن المؤتمر الصهيوني

الأول الذي انعقد في 1897 ما كان له أن ينعقد لولا جهود الرؤساء الأمريكيين المتعاقبة. وسنتابع مواقفهم في دعم المطالب الصهيونية التي أدت لقيام إسرائيل في 1948.

1.4.3 الرئيس ويلسون (1913 . 1921)

لم يكن اقتراب الولايات المتحدة من ساحة فلسطين مطلع القرن العشرين خجولاً – كما يتصور البعض – بل كان فاعلاً أساسياً لكن من وراء حجاب، هذا الحجاب تمثل في أن بريطانيا كانت صاحبة تصريح بلفور في 2 تشرين ثاني، نوفمبر 1917 الذي دعى لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين والذي كان بمثابة أول خطوة رسمية كبيرة ترعى نشوء المشروع الصهيوني. والولايات المتحدة لم ترث فكرة المشروع عن بريطانيا بل تبنته منذ اللحظات الأولى لولادته. يقول حاييم وايزمان عن هذا التأييد الأمريكي، حتى قبل صدور وعد بلفور بخمسة أشهر: " وقد مضى أصدقاؤنا الأمريكيون إلى أبعد من هذا الحد، فقرروا شكل الدولة التي ستقوم، منادين بقيام جمهورية يهودية" (الجراد، 2007، ص44). لهذا فإن ويلسون الذي أنشأ عصبة الأمم، ساهم في تحقيق أولى المطالب الصهيونية التي تحققت بفضل وعد بلفور، حيث كانت موافقة أمريكا على الوعد ضرورية. ولعب ويلسون دوراً رئيساً في صدوره، وشارك في الاتصالات التي سبقته، وأعلن عن تأييده لمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين، وصرح عشية صدور الوعد بقوله: "لن تصبح فلسطين مؤهلة للديمقراطية إلا إذا امتلك اليهود فلسطين، كما سوف يمتلك العرب شبه جزيرتهم أو البولونيون، بولونية" (رزوق، 1973، ص 407).

وعندما صدر وعد بلفور لم يتوانَ الرئيس ويلسون عن تأييده وإعلان موافقته عليه. ففي آب 1918م قال ويلسون: "أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا" (عباس، 1984، ص 29). "وبتاريخ 31 آب، أغسطس 1918م بمناسبة العام العبري الجديد أعلن عن موافقته الرسمية على وعد بلفور" (الكفري، 2003، ص8)، وبعث ويلسون رسالة رسمية لزعيم الصهيونية الأمريكية الحاخام (ستيفن وايز) مصدقاً بشكل رسمي على وعد بلفور(حكيم،1967، ص13−15)؛ ولضمان تنفيذ الوعد قررت دول الحلفاء (أمريكا وبريطانيا وفرنسا) أن تعهد لبريطانيا بالانتداب على فلسطين وأن تكون حكومتها مسئولة عن وضع تصريح بلفور موضع التنفيذ، كما اعتمد الكونجرس تصريح بلفور بقرار مشترك في 20 حزيران،يونيو 1922، ثم أعيد تأكيد ذلك في 1924 بمقتضى الوفاق الأمريكي البريطاني بشأن الانتداب على فلسطين.

والرئيس ويلسون كان مدفوعاً لتحقيق آمال اليهود بناءً على خلفيته الدينية. فقد تربى في ظل التعاليم البروتستانتية التي تؤمن بالنبوءات التوراتية، وكان يسعده أن يكون له دور في إعادة اليهود إلى فلسطين، وكان يقول: "إن ربيب بيت القسيس ينبغي أن يكون قادراً على المساعدة في إعادة الأرض المقدسة لأهلها" (الشريف، 1985، ص 195). وكان يرى نفسه من خلال خطبه العديدة، بأنه أعطى الفرصة التاريخية لخدمة رغبات الله بتحقيقه للبرنامج الصهيوني، وعرف عنه أنه كان يقدر اليهود، ويعلي من شأنهم، فجعل (برنارد باروخ) وهو يهودي، مستشاره للشؤون الاقتصادية. وجعل اليهودي (لويس برانديس) مستشاراً قضائياً، ثم رئيساً للمحكمة الأمريكية العليا" (حكيم، 1967، ص202) .

"إن مناصرة وودرو ولسون للصهيونية كانت شأناً يتجاوز السياسة، والنظريات السياسية؛ ذلك أنه كان ابن كاهن بروتستانتي، كما كان يواظب على قراءة الكتاب المقدس يومياً. وعلى هذا فقد أثارت محنة اليهود فيه مشاعر العطف عليهم. وكما ذكر بيتر غروز في كتابه "إسرائيل في فكر أمريكا" فلقد كان هناك تعاطف تقليدي وثيق مع حلم صهيون عند البروتستانت. ويروى عن ويلسون قوله:"تصوروا ما ستقولون عني أنا ابن القس عندما أساعد في إعادة فلسطين لليهود" (تيفن، 1998 ص 17)

2.4.3 خلفاء ويلسون

بعد أن وافق الرئيس ويلسون على وعد بلفور ودعم مطالب الحكومة البريطانية في مؤتمر سان ريمو، الذي كرس الانتداب البريطاني على فلسطين؛ لخدمة الحركة الصهيونية، أخذ خلفاء ويلسون في الرئاسة يلزمون أنفسهم بالموقف الصهيوني، ويعبرون عن تعاطفهم مع الحركة الصهيونية. وقد وضح (كليفورد) مستشار الرئيس الأمريكي (ترومان) في استعراضه للسياسة الأمريكية تجاه قضية فلسطين منذ تصريح بلفور ذلك يقوله: "لقد أكد كل رؤساء أمريكا بعد ذلك على جوهر هذا التصريح ابتداءاً من هاردنج حتى ترومان مروراً بكوليدج وهوفر وفرانكلين روزفلت" (الدسوقي، 1985، ص 80)

وقد عبر الرئيس الأمريكي (وارنر هاردنج) في عام 1921م عن تعاطفه مع الحركة الصهيونية وتأييده الشديد؛ لإنشاء صندوق فلسطين، حيث قال: "إن اليهود سيعادون يوماً إلى وطنهم القومي التاريخي، حيث سيبدأون مرحلة جديدة بل مرحلة أعظم من كل مساهماتهم في تقدم الإنسانية" (حمدان، 2000، ص121). وقال في تصريح آخر: "يستحيل على من يدرس خدمات الشعب اليهودي ألا يعتقد أنهم سيعادون يوماً إلى وطنهم القومي التاريخي". كما صرح بتأييده الشديد لصندوق اكتشاف فلسطين (الشريف، 1985، ص 195). وفي عام 1922 ألقى رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب الأميركي (هنري لودج)، خطاباً، قال فيه: عام 1922، "إنني لم أحتمل أبدا فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت

سيطرة المحمديين.. إن بقاء القدس وفلسطين المقدسة بالنسبة لليهود، والأرض المقدسة بالنسبة لكل الأمم المسيحية الكبرى في الغرب، في أيدي الأتراك، كان يبدو لي لسنوات طويلة وكأنه لطخة في جبين الحضارة من الواجب إزالتها" (هلال، 2001، ص 102). وفى نفس العام اتخذ الكونغرس الأمريكي قراراً، وقع عليه الرئيس هاردنج جاء فيه الاعتراف، "بأنه نتيجة للحرب، أعطى بني إسرائيل الفرصة التي حرموا منها منذ أمد بعيد لإعادة إقامة حياة وثقافة يهوديتين مثمرتين في الأراضي اليهودية القديمة، وأن كونغرس الولايات المتحدة يوافق على إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي" (ستيفن، 1967، ص 75). ثم جاء كالفن كولدج وهربرت هوفر وأكدا تعاطفهما مع الشعب اليهودي وأحقيته في أرض الميعاد. كما أكدا إعجابهما الشديد بدور الحركة الصهيونية في تأهيل فلسطين؛ لاستيعاب الهجرات اليهودية (الشريف، 1985، ص 194-196). وقام الرئيس الأمريكي (هربرت هرفر 1929- 1933) في عام 1928 بتهنئة الحركة الصهيونية لإنجازاتها العظيمة في فلسطين.

وفى ثلاثينات القرن العشرين، ازداد عدد الجمعيات الأمريكية المؤيدة لإقامة دولة يهودية في فلسطين، وكان هدفها حشد الرأي العام الأمريكي من أجل تحقيق الأهداف الصهيونية في فلسطين. ففي عام 1930م أسس الكاهن (تشارلى رسل)، اتحاد المنظمات الأمريكية الموالية لفلسطين، التي كانت تهدف إلى تشجيع التعاون بين اليهود وغيرهم من المسيحيين، بهدف الدفاع عن قضية الوطن القومي اليهودي. وفى عام 1932م أسست اللجنة الأمريكية الفلسطينية للهدف ذاته. وفي عام 1936 أصدر المؤتمر المسيحي- الأميركي إعلانا بدعوة المجتمعات المتحضرة إلى مساندة الفارين من ألمانيا وأوروبا الشرقية، للعودة إلى فلسطين ملاذهم الطبيعي، وقد رفعت هذه المنظمات شعار (الأرض الموعودة)، وشعار (شعب الله المختار) وربطت بين الشعارين، وحثت الناس أن أفضل عمل يقوم به المسيحي تقرباً إلى الله، هو المساهمة المادية والمعنوية في تحقيق إرادة الله بإعادة اليهود إلى فلسطين تمهيداً لعودة المسيح. وقد ساعدت هذه الجمعيات وغيرها، كثيراً في دعم مطالب الحركة الصهيونية، بسبب وجود وسط بروتستانتي ملائم لترويج الأفكار الصهيونية (الطويل،1997، ص71).

3.4.3 مركز ثقل الصهيونية ينتقل إلى أمريكا

كان دافيد بن جوريون والزعماء الصهاينة الآخرون يعلمون، عندما أعلنوا عن قيام دولة إسرائيل عام 1948م، بأنه لا بد من وجود حليف قوى يقوم بحماية هذه الدولة الوليدة، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة المؤهلة للقيام بهذه المهمة بعد أن خرجت من الحرب العالمية الثانية كأقوى قوة في العالم، وأصبحت تلعب دوراً رئيساً في تشكيل السياسة الدولية. وهذا لا يعنى أن بريطانيا والدول

البروتستانتية الأخرى قد تخلت عن دعم إسرائيل، أو أن أمريكا كانت غائبة عن دعم مطالب الحركة الصهيونية في فلسطين قبل ذلك. كلا، إن هذا التغير فرضته المتغيرات الدولية. فأمريكا مثل بريطانيا ذات أغلبية بروتستانتية، تغلغلت في تفكير مواطنيها الأفكار والنبوءات التوراتية الخاصة بعودة اليهود إلى فلسطين، حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بفترة كبيرة من الزمن. ففي أربعينيات القرن السابق ازداد حجم الدعم الأمريكي للحركة الصهيونية، حيث أدرك الزعماء الصهاينة أن مركز الثقل في عملهم قد بدأ ينتقل من بريطانيا إلى أمريكا. فبعد أن أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض عام 1939م الذي حد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، قابل الزعماء الصهاينة والمتعاطفون معهم، هذا الكتاب بالرفض والاستنكار، و بدأوا يشعرون أن بريطانيا أخذت تتخلى عنهم ولو جزئياً بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية. وهذا التحول دفع الزعماء الصهاينة لتركيز جهودهم في الولايات المتحدة الأمريكية. فقد كتب بن جوريون في عام 1940م يصف مشاعره في تلك الفترة، فقال:

"أما أنا فلم أكن أشك في أن مركز الثقل بالنسبة لعملنا السياسي، كان قد انتقل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة، التي كانت قد احتلت المرتبة الأولى في العالم كدولة كبرى". وعندما اجتمع الزعماء الصهاينة في مؤتمر بلتمور في عام 1942م، قرروا نقل جهودهم إلى أمريكا لكي تساعدهم في تحقيق مطالبهم، فقد أعلن بن جوريون أمام المؤتمر، أن اليهود لم يعد باستطاعتهم الاعتماد على الإدارة البريطانية في تسهيل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين" (ستيفن، 1967، ص 70).

وقد كان مركز اهتمام الزعماء الصهاينة والمتعاطفين معهم في هذه الفترة، إلغاء الكتاب الأبيض الذي أصدرته بريطانيا، والذي يحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ لهذا فقد نشط المتعاطفون مع الحركة الصهيونية في هذا الوقت. "فبمعونة 1000 زعيم صهيوني في الديار الأمريكية استطاع مجلس الطوارئ الذي شكلته الحركة الصهيونية، الحصول على قرار ضد الكتاب الأبيض من جميع المنظمات اليهودية الكبرى والجمعيات المهمة، أمثال الليونز، والدلكس، والروتارى، وغيرها من الجمعيات. كما أن نقابات العمال وجمعيات الكنائس انضمت ضد الكتاب الأبيض"(ستيفن، 1967، ص 70).

وفى آذار عام 1944م قدم بعض أعضاء مجلس الشيوخ إلى لجنة الشؤون الخارجية، مشروع قرار يدعو إلى إلغاء الكتاب الأبيض البريطاني، وتأييد خطة إنشاء دولة يهودية في فلسطين، ولكن جورج مارشال وزير الحربية، آنذاك، تدخل وطلب من اللجنة عدم بحث ذلك الاقتراح، خوفاً من إثارة الرأي العام العربي، "بما يعطل المجهود الحربي للحلفاء في الشرق الأوسط" (يحيى، 1986، ص 40). فنزلت اللجنة، عند طلب المستر مارشال، وأرجأت البحث في الاقتراح المقدم لها. وبعد بضعة أشهر تغير مجرى

الحرب نهائياً لصالح الحلفاء، فأرسل مارشال نفسه كتاباً إلى السناتور واغنر، عضو مجلس الشيوخ الأمريكي، قال فيه: "إن الاعتبارات العسكرية التي حملته فيما مضى على معارضة بحث ذلك الاقتراح قد زالت" (الغورى، 1955، ص 150). "وفى فبراير 1945م وقع خمسة آلاف قسيس بروتستانتي أمريكي، عريضة رفعوها إلى الحكومة ومجلس الأمة والكونغرس، يطالبون فيها بفتح أبواب فلسطين على مصراعيها للهجرة اليهودية، وقامت وكالات الأنباء والإذاعة والصحافة بدعاية واسعة النطاق لمشروع إنشاء دولة يهودية في فلسطين" (النتشة، 1986، ص 260).

وبالرغم من أن هذا التعاطف الكبير مع الحركة الصهيونية، من قبل الجمعيات والمؤسسات العامة خلال عشرينات القرن الحالي وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، لم يرافقه موقف عملي واضح من الحكومة الأمريكية، إلا أن ذلك لم يكن لعدم إيمان الرؤساء الأمريكيين، في تلك الفترة، بأهداف الحركة الصهيونية، بل لأن بريطانيا في ظل انتدابها على فلسطين كانت تقوم بتقديم كافة التسهيلات والمساعدات للحركة الصهيونية؛ ولذلك لم يكن هناك أي داعٍ لتدخل أمريكي مباشر ما دامت بريطانيا تقوم بنفس العمل وعلى أكمل وجه. فقد كان الرؤساء الأمريكيون في تلك الفترة يعتبرون أن فلسطين هي من جملة المسئوليات البريطانية في الشرق الأوسط؛ ولذلك فإن روزفلت "خلال مدد ولاياته الثلاث كأسلافه، التزم بدقة الموقف الأساسي الذي كان قائماً خلال الفترة التي كان هيوز فيها بالحكم، وهو أن الأحكام الخاصة بإنشاء وطن قومي يهودي الواردة في صك الانتداب، لم تكن في عداد المصالح الأمريكية، بل إنها من الشؤون البريطانية" (ستيفن، 1967، ص 107).

يضاف إلى ذلك أمر آخر مهم، وهو أن ظروف الحرب العالمية الثانية فرضت على أمريكا عدم تأييد المطالب الصهيونية بصورة علنية، والسعي إلى استرضاء العرب حرصاً على الموقف العسكري في المنطقة. "ففي 29 ديسمبر 1942م أشار (هال) على الرئيس روزفلت بألا يبعث بأية رسالة إلى هيئة الصندوق القومي اليهودي، نظراً إلى الموقف في الشرق الأوسط وأفريقيا الشمالية، حيث يسود شعور عنيف ضد الصهيونية في صفوف الشعوب العربية. فقد أكدت كافة التقارير العسكرية والدبلوماسية المرسلة من البلاد العربية، خطورة إثارة العرب بالتصريحات المؤيدة للصهيونية" (ستيفن، 1967، ص 114)؛ ولهذا فإن روزفلت، وفى محاولة منه لكسب ود الزعماء العرب، قطع وعداً للملك عبد العزيز بن سعود بأنه لن يؤيد أي حركة من شأنها تسليم فلسطين لليهود.

4.4.3 روزفلت والمطالب الصهيونية

بالرغم من أن الظروف السياسية والعسكرية، فرضت على روزفلت عدم تأييد مطالب الحركة الصهيونية، بصورة علنية، إلا أنه كان متعاطفاً مع اليهود، وكان أثر العهد القديم واضحاً عليه "فقد اتخذ نجمة داوود شعاراً رسمياً للبريد وللخوذات التي يلبسها الجنود في الفرقة السادسة، وعلى أختام البحرية الأمريكية وطبعة الدولار الجديد، وميدالية رئيس الجمهورية" (الرماوى، ب.ت ، ص 126). كما أنه دعا إلى عقد مؤتمر (ايفيان) في عام 1938م، لحل مشكلة اللاجئين في أوروبا وبالذات اليهود منهم. فقد كان يريد روزفلت أن تكون فلسطين هي الحل لهذه المشكلة، ولكن المؤتمر فشل في اتخاذ أي حل. "ففي أثناء الحرب العالمية الثانية قام (اليهودى موريس أرنست) وأحد المقربين من الرئيس روزفلت، بزيارة للندن، لمحاولة إيجاد مأوى لليهود المهجرين في بريطانيا وأمريكا، وإذا برزفلت يعلن بأنه اقتنع تمام الاقتناع بأن ذلك البرنامج لن يحل المشكلة، لا سيما وأن قادة الصهيونية في أمريكا رفضوا هذا الحل. واستطرد قائلاً: إنهم على حق في معارضتهم، لأنهم يدركون أن فلسطين يجب أن تصبح عاجلاً أم آجلاً الملجأ الأمين لمجيئهم" (ستيفن، 1967، ص 116).

وهكذا نرى أن سياسة روزفلت تجاه فلسطين كانت تبدو غير واضحة، حيث إنه حاول أن يوفق بين عواطفه وميوله الصهيونية، وبين الضرورة السياسية والعسكرية التي فرضتها ظروف الحرب العالمية الثانية؛ ولكن عندما أصبح انتصار الحلفاء مؤكداً، أظهر ميوله الصهيونية الواضحة. ففي 1944 وجه رسالة إلى المؤتمر الصهيوني الأمريكي قال فيها: أنا أقدر كيف أن الشعب اليهودي قضى وقتاً طويلاً متلهفاً، وهو يعمل ويرجو ليقيم في فلسطين دولة يهودية ديمقراطية وحرة.. ولو قدر لي أن أنتخب رئيساً من جديد، فسأساعد على خلق هذه الدولة" (الجراد، 2007، ص46). وبعد إعادة انتخابه في يناير 1945، أكد تعهده لليهود بمساعدتهم على إنشاء دولة يهودية في فلسطين، ولكن القدر لم يمهله طويلاً حيث توفى في 12 نيسان، أبريل عام 1945م .

5.3 المبحث الثالث: أمريكا وقيام إسرائيل وبداية المشكلة الفلسطينية 1948-1967

امتازت السياسة الأمريكية في هذه المرحلة بقدر من التوازن فيما يخص الصراع العربي–الإسرائيلي؛ إذ خرجت بعض المبادرات الأمريكية إلى النور لجسر الهوة بين العرب وإسرائيل؛ وذلك طمعاً من أمريكا لاستمالة العرب وتكوين تحالف دولي ضد النفوذ السوفييتي المتزايد في المنطقة. وما الموقف الأمريكي من العدوان الثلاثي على مصر إلا خير دليل على ذلك. وفي هذه المرحلة "اعتمدت السياسة الأمريكية نظرة

تقليدية إلى القضية الفلسطينية باعتبار أنها صفيت بقيام دولة إسرائيل عام 1948، وكان الأثر الوحيد المتبقي لها هو ظهورها سنوياً على جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة كمشكلة لاجئين، فيما انصبت الجهود الدولية على التخفيف من معاناتهم من خلال المساهمة في تقديم المساعدات العينية والمادية لمخيمات اللاجئين" (عبد الرحمن، 1987، ص 118)، حيث واصلت أمريكا سياسة تقديم المساعدات المادية والإنسانية للاجئين، حيث "بلغ حجم المساعدات الأمريكية المقدمة للأونروا في الفترة الواقعة بين 1948- 1967 ما يقارب 411 مليون دولار، أي ما يقارب 65% من ميزانية الوكالة الدولية" (شديد، 1985، ص 119).

كما أن أمريكا تقدمت في هذه المرحلة بمشاريع عديدة لحل المشكلة الفلسطينية، ولكنها كانت في كل الأوقات تنطلق من رؤية صهيونية إسرائيلية لحل الصراع، ولهذا فشلت أغلب المشاريع. وأيضاً حاولت أمريكا الموازنة بين التزامها بأمن وبقاء إسرائيل، من خلال تقديم كافة أشكال الدعم للكيان الصهيوني وبين ظروف الحرب الباردة، التي كانت تجبرها على القيام بمناورات تكتيكية لكسب بعض المواقف على الساحة، ولكن أمريكا حكومة وشعباً ظلت خلال هذه الفترة مخلصه لالتزامها الأخلاقي والديني تجاه إسرائيل، وهذا ما سنلحظه خلال عرض مواقف الرؤساء الأمريكيين تجاه إسرائيل.

1.5.3 هاري ترومان 1945 . 1953 - قورش العصر الحديث !

عندما تولى ترومان منصب الرئاسة خلفاً لروزفلت، كان من أكثر الرؤساء الأمريكيين تأييداً للمطالب الصهيونية، حيث كان لجهوده الفضل الأكبر في إنشاء إسرائيل حتى أن الحاخام الأكبر قال له: "لقد وضعك الله في رحم أمك لتعيد إنشاء إسرائيل" (ابو الروس، 1998، ص64). ففي 31 آب، أغسطس عام 1945، طلب الرئيس ترومان من رئيس الوزراء البريطاني أتلي "السماح الفوري بدخول مئة ألف يهودي من يهود أوربا إلى فلسطين" (فهمي، 1971، ص63). ولكن رد أتلي كان غير مشجع، حيث؛ أنه أشترط أن تتحمل أمريكا الأعباء العسكرية والاقتصادية لتنفيذ هذا الطلب، ولكن ترومان رفض ذلك "وصمم على عدم الاضطلاع بأية مسئولية سياسية أو عسكرية تنفيذاً لهذا القرار" (يحيى، 1986، ص43)؛ ونتيجة لذلك بدأت اتصالات بين بريطانيا والزعماء الصهاينة المدعومين من أمريكا؛ لتحقيق مطالبهم، ولكن فشل الاتصالات، دفع ترومان إلى تأييد الحل الصهيوني المتمثل بتقسيم فلسطين.

2.5.3 ترومان ومشروع التقسيم

أصدر الرئيس ترومان في 4 تشرين أول، أكتوبر 1946 بياناً بادر فيه إلى المطالبة بإدخال مائة ألف يهودي فوراً إلى فلسطين، وأوصى بتطبيق خطة التقسيم، التي اقترحتها الوكالة اليهودية، وقال:

> "إنه كان يعتقد بأن حلاً على هذه الصورة سيصادف تأييداً من الرأي العام في الولايات المتحدة، وصدفة على حد قوله، صدر هذا البيان في يوم عيد كيبور (الغفران اليهودي)؛ ولكن لم يمض وقت طويل حتى صدر رد الفعل العربي على بيان ترومان، ففي رسالة من الملك عبد العزيز بن سعود، إلى ترومان، اتهم فيها اليهود بأنهم يضعون مخططات ضد الأقطار العربية المجاورة. وانتهي الملك عبد العزيز إلى القول، بأن بيان ترومان قد بدل الموقف الأساسي في فلسطين، خلافاً للوعود السابقة. وفي الرد على ذلك بتاريخ 26 أكتوبر 1946م، ادعى ترومان، أن تأييد وطن قومي يهودي كان دائماً من صلب السياسة الأمريكية المنسجمة مع نفسها" (ستيفن، 1967، ص 234).

ولهذا فقد مارست أمريكا، مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية ضغوطاً على بريطانيا بصفتها القوة الانتدابية في فلسطين؛ لعرض مشروع تقسيم فلسطين أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة وليس أمام مجلس الأمن، لتخوفها من قيام بعض الدول بإستخدام الفيتو ضد قرار التقسيم. وخلال المناقشات الحادة في أروقة الأمم المتحدة، التي دارت حول طبيعة هذا القرار وجوانبه السياسية والقانونية والإنسانية، "أظهر الأمريكان حماساً منقطع النظير إلى درجة أنهم مارسوا ضغوطات، وكل أشكال التأثير الأخرى على بعض الدول الأعضاء للتصويت لصالح هذا القرار" (عبد الخالق، 1985، ص 66). وبعد مشاورات عديدة رفع مشروع تقسيم فلسطين إلى الأمم المتحدة، حيث أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد أن قامت أمريكا بالضغط على كثير من الدول لتأييد المشروع، حيث يعتبر بعضهم أن أهم ما يسجل لهاري ترومان في سياق تأييده للصهيونية، موقفه من مشروع قرار التقسيم؛ إذ لم يكتف بإعطاء توجيهاته للوفد الأمريكي في الأمم المتحدة بالتصويت إلى جانب التقسيم يوم 29 تشرين الثاني، نوفمبر 1947م، بل طلب من المسئولين الأمريكيين أن يمارسوا شتى ألوان الضغط والإغراء من أجل إقناع الحكومات الأخرى بالتصويت إلى جانب التقسيم، ويقول كبير الدبلوماسية سمنر ويلز:

> "بأمر مباشر من البيت الأبيض فرض المسؤولون الأمريكيون، كل أنواع الضغوط بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، خاصة مع تلك الدول المتمردة أو المعارضة للتقسيم ولم يتوان البيت الأبيض عن استخدام الوسطاء والوكلاء في سبيل ضمان الأكثرية اللازمة للتصويت. كما كتب وكيل الخارجية الأمريكي (روبرت لافل) عن دور البيت الأبيض ما يأتي: "إنني لم أتعرض في حياتي قط لمثل ما تعرضت له من

ضغوط قبيل مشروع التقسيم خاصة تلك الأيام التي سبقته من صباح الخميس إلى مساء السبت".(حمدان، 2000، ص127-128).

وبعد صدور قرار التقسيم ورفض العرب له، وإحساس بعض الدول التي صوتت لصالحه بخطأ موقفها، "ظهرت محاولات جادة لعرض القضية على محكمة العدل الدولية، ولكنها تحطمت بوقوف الولايات المتحدة، بكل ثبات، ضد عرض أية مسألة تتعلق بفلسطين على تلك المحكمة، وهددت باستخدام الفيتو في مجلس الأمن في حالة تقديم طلب للمجلس بعرض قضية التقسيم على المحكمة" (الدسوقي ، 1985، ص 24). وقد هدفت الولايات المتحدة من خلال تبنيها ودعمها لقرار التقسيم عام 1947 إلى إضفاء الشرعية الدولية الكاملة للدولة اليهودية على أرض فلسطين، وتثبيت الكيان الإسرائيلي في قلب المحيط العربي. وكان قرار التقسيم المدخل الشرعي في إطار القانون الدولي لقيام دولة إسرائيل، وقبولها عضواً فاعلاً في الأمم المتحدة بمساعدة الولايات المتحدة نفسها، كما أن الدعم الأمريكي "هدف إلى أرضاء اللوبي اليهودي والجماعات الصهيونية المسيحية خاصة البروتستانتية في دعمها لقيام دولة إسرائيل" (سليمان، 1996، ص 96)؛ لذلك "استند المجلس القومي اليهودي إلي قرار الأمم المتحدة رقم 181 في إعلانه عن قيام دولة إسرائيل عام 1948، كما أن الأمم المتحدة استندت إلى القرار نفسه عندما قبلت إسرائيل عضواً فيها عام 1949" (عبد الرحمن، 1987، ص 30).

3.5.3 قيام إسرائيل وحرب عام 1948

بالرغم من الجهد الكبير الذي بذلته أمريكا لتمرير قرار التقسيم، إلا أنها بعد فترة تراجعت عن هذا المشروع بسبب صعوبة تنفيذه، واقترحت وضع فلسطين تحت الوصاية، ولكن هذا الاقتراح لم يقبله الزعماء الصهاينة الذين كانوا يعدون العدة لإعلان قيام دولة إسرائيل بمجرد انتهاء الانتداب البريطاني عليها في 15آيار، مايو 1948م. وعندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل، "كان ترومان أول رئيس في العالم يسارع في الاعتراف بها (بعد عشر دقائق من إعلانها)، على الرغم من نصيحة مستشاريه بالتريث في الأمر" (الجراد، 2007، ص46). كما أنه قام بتصرف يخالف كل المبادئ الدبلوماسية المعروفة، عندما اعترف بدولة إسرائيل قبل أن تطلبه رسمياً وقبل انتهاء الانتداب البريطاني بعشر ساعات. ولم يقف تأييد ترومان للحركة الصهيونية عند هذا الحد، بل إنه استطاع أن يحل أصعب مشكلة مرت بها الدولة الوليدة. فعندما دخلت سبع جيوش عربية أرض فلسطين في 15 مايو 1948م، واستطاعت تحرير كثير من الأراضي الفلسطينية، وضيقت الخناق على الجيش الإسرائيلي، بحيث أصبح في وضع حرج. وهنا أحس ترومان بأن القتال الدائر في فلسطين يسير لصالح الجيوش العربية، وأصبح قلقاً على مصير الدولة التي عمل

على إنشائها على أرض العرب، فمارس ضغوطاً مباشرة على المندوبين في مجلس الأمن للحصول على قرار بوقف القتال بأية طريقة يمكن التوصل إليها.

4.5.3 اتفاقية الهدنة عام 1948

بعد مناقشات ومشاورات وملاحقات وضغوط من الرئيس ترومان شخصياً، وبناءً على اقتراح المندوب البريطاني، وفى 29 ايار، مايو 1948م أقر مجلس الأمن الدولي الموافقة على وقف القتال في فلسطين بموجب هدنة يتم الاتفاق عليها عن طريق وسيط دولي، وقد تم تعيين الكونت برنادوت وسيطاً دولياً، حيث استطاع التوصل إلى اتفاق للهدنة لمدة أربعة أسابيع. ونصت اتفاقية الهدنة الأولى على أن يحتفظ كل طرف بالمكان المتواجدة فيه قواته، ولا يحق لأي طرف استغلال الهدنة والحصول على مكاسب عسكرية، سواء باحتلال الأراضي أم بجلب الإمدادات. ولكن إسرائيل لم تلتزم بذلك، وعملت على جلب مزيد من المتطوعين والأسلحة من الخارج بمساعدة سرية من أمريكا وبريطانيا، في الوقت الذي فرض حظر على تصدير الأسلحة للدول العربية" (جورج و دوغلاس، 1994، ص 28). "فأصبح لدى إسرائيل بعد الهدنة الأولى 90 ألف مقاتل كقوات هجومية مسلحة بالدبابات والمدفعية والطيران. كما أن إسرائيل استطاعت في ظل هذه الهدنة تنظيم جيشها والاستيلاء على مزيد من الأراضي العربية، بحيث أصبح ميزان القوى لصالحها بفارق كبير" (إمام، 150،1971) .

وهكذا لعب ترومان دوراً مهماً في حماية إسرائيل عند ولادتها، من خلال الهدنة التي فرضها على الدول العربية؛ ولهذا يرى بعضهم أن موافقة الدول العربية على الهدنة كانت خطوة متسرعة وغير محسوبة، وربما جاءت رضوخاً لضغوط خارجية؛ لأن العصابات الصهيونية كانت في وضع صعب، وقد عبر مناحيم بيغن في مذكراته، عن استغرابه وتعجبه لقبول الدول العربية للهدنة بالرغم من أن الموقف كان في صالحها، كما أن موشى ديان، الذي كان من كبار الهاغاناة الإسرائيلي في ذلك الوقت، قال: "كانت الهدنة بالنسبة لنا كأنها قطرة ندى قادمة من السماء"(النتشة، 1986، ص 244).

وقبل انتهاء فترة الهدنة الأولى اقترح الوسيط الدولي برنادوت، أن تجدد الهدنة إلى أجل غير محدود، ووافقت الدول العربية على الهدنة الجديدة في 17 تموز، يوليو 1948م، ولكن إسرائيل لم تلتزم بالهدنة الجديدة، حيث احتلت مزيداً من الأراضي الفلسطينية وشردت مزيداً من السكان. وبعدها أجبرت الدول العربية على الدخول في مفاوضات مع إسرائيل لعقد هدنة دائمة، حيث وقعت الدول العربية كلاً على انفراد معاهدات للهدنة مع إسرائيل في جزيرة رودس في عام 1949. وتكمن أهمية اتفاقات الهدنة لدولة

إسرائيل في أنها حصلت عن طريقها على مكاسب عديدة، فقد حصلت إسرائيل على مزيد من الأراضي العربية، وأتاحت لها فترة من الاستقرار كانت بأمس الحاجة إليه، لبناء مرافق الدولة الجديدة وجلب مزيد من المهاجرين، واستطاعت إسرائيل في هذه الفترة أن تحقق تفوقاً عسكرياً على الدول العربية. "ومع انتهاء المواجهة الأولى بين العرب والإسرائيليين عام 1948، فرض الجيش المصري إدارته الفعلية المدنية والعسكرية على قطاع غزة، بينما سيطرت الأردن على مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والإدارية في الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية" (عبد الرحمن،1987، ص 30).

5.5.3 صهيونية ترومان

من العرض السابق يمكننا تقدير حجم المساعدة التي قدمها الرئيس ترومان لإسرائيل قبل وبعد إنشائها، ابتداءً من دعوته لفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية، وتبنيه لقرار التقسيم واعترافه بدولة إسرائيل، وانتهاءً باتفاقية الهدنة التي عقدت بين إسرائيل والدول العربية. فقد كان ترومان صهيونياً أكثر من الصهاينة، حيث انعكس ذلك على سياسته تجاه المسألة الفلسطينية، التي كانت سياسة رئاسية تم تنفيذها من جانب واحد رغم معارضة كثير من المستشارين لها؛ لهذا فقد حدث أكثر من مرة أن تضاربت قرارات ترومان مع قرارات وزارة الخارجية ومستشاريه. ففي إحدى المرات كان مندوب أمريكا لدى الأمم المتحدة، يطالب بشدة بوضع فلسطين تحت الوصاية، من غير أن يعلم بأن الرئيس ترومان قد اعترف قبل ذلك بقليل بدولة إسرائيل. وقد اعترف ترومان نفسه بحقيقة سياسته هذه حيث قال في مذكراته: "لقد كنت أعلم بأن المستشارين جميعاً لا ينظرون إلى المسألة الفلسطينية نظرتي أنا إليها، وأكثر من ذلك، كان الاختصاصيون من موظفي وزارة الخارجية في شئون الشرق الأوسط جميعهم تقريباً ضد فكرة دولة يهودية" (ديلورم، 1985، ص 91).

ولكن ما هي نظرة ترومان للمسألة الفلسطينية، التي جعلته يخالف مستشاريه ويتحدى مشاعر العرب والمسلمين ؟! إنها نظرة شخص تربى على تعاليم الكنيسة المعمدانية، التي تتبع مذهب العصمة الحرفية في تفسيرها للكتاب المقدس، وهذا يعنى الإيمان بصورة حرفية بكل ما جاء في العهد القديم من أخبار ومعلومات تاريخية ونبوءات من غير تأويل. لهذا فإن أتباع هذه الكنيسة من أكثر المتحمسين للحركة الصهيونية، حيث يؤمنون بضرورة قيام دولة إسرائيل تحقيقاً للنبوءات التوراتية؛ ولهذا فقد كان واضحاً أثر هذه الأفكار على ترومان وحياته. "فقد كان يؤمن – باعتباره أحد تلاميذ التوراة – بالتبرير التاريخي لوطن قومي يهودي، وكانت لديه قناعة بأن وعد بلفور، حقق آمال الشعب اليهودي القديمة وأحلامه. كما كان واضحاً أثر الثقافة اليهودية عليه. كيف لا وهو يعتبر التلمود اليهودي كتابه المفضل" (التل، 1979،

ص203). وكانت هديته لليهود عام 1946م، في عيد الغفران (كيبور) تأييده لمشروع تقسيم فلسطين. كما عرف عنه حبه الشديد للفقرة الواردة في المزمور 137 التي تقول: "لقد جلسنا على أنهار بابل وأخذنا نبكي حين تذكرنا صهيون" (الشريف، 1985، ص 203). "وكانت هذه الفقرة جزءاً رئيسياً من صلاته التي كان يقيمها مع القس المتطرف بيليى غراهام في البيت الأبيض، ولكن ترومان غضب من غراهام ومنعه من دخول البيت الأبيض؛ لأنه كان يخبر الصحافة بتفاصيل صلاته الخاصة معه" (أبو خليل، 2003، ص34).

وعند اقامة إسرائيل، تعهد الرئيس ترومان بإقامة ارتباط فريد وقوي بين إسرائيل والولايات المتحدة، والاستمرار بدعمها حتى تستطيع أن تقف على رجليها و"تؤمن حياة شعبها" (سليمان، 1996، ص.96). و"أعلن البيت الأبيض عن التزام ترومان شخصياً بضمان بقاء دولة إسرائيل قوية ومزدهرة وآمنة" (شديد، 1985، ص. 70-71). ولهذا كان ترومان يرى أن خدماته العظيمة التي قدمها لليهود تجعله يرقى إلى مقام الملك الفارسي قورش، الذي أعاد اليهود من منفاهم في بابل إلى فلسطين. "فعندما قدمه إيدى جاكوبسون إلى عدد من الحاضرين في معهد لاهوتي يهودي، وصفه بأنه الرجل الذي ساعد على خلق دولة إسرائيل. فرد عليه ترومان بقوله: "وماذا تعني بقولك ساعد على خلق؟ إنني قورش.. إنني قورش" (أبو خليل، 2003، ص 204). ولقد اعترف ترومان أنه ما من مرة قرأ فيها قصة إنزال الوصايا العشر في سيناء إلا وشعر بوخز خفيف يسري في عروقه. ولقد صرح بأن "موسى تلقى المبدأ الأساسي لقانون هذه الأمة على جبل سيناء" (الشريف، 1985، ص 213-216).

6.5.3 المساعدات الأمريكية لإسرائيل

في الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن الماضي، كان تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية وجلب المهاجرين الجدد من الخارج، والإبقاء على التفوق العسكري، يحتل مكان الصدارة في اهتمامات إسرائيل في هذه الفترة. وقد استطاعت إسرائيل تحقيق هذه الأهداف بمساعدة أمريكا وحلفائها. فعلى صعيد تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية، لعبت أمريكا دوراً مهماً في تأمين المساعدات المالية لإسرائيل، حيث مارست ضغوطاً كبيرة على ألمانيا؛ لإجبارها على دفع تعويضات لدولة إسرائيل عن اليهود الذين قيل أنهم قتلوا في العهد النازي (يحيى، 1986، ص 86). كما قدمت أمريكا كثيراً من المساعدات المالية لإسرائيل في هذه الفترة. فعلى سبيل المثال، "بلغت المنح التي قدمتها أمريكا لإسرائيل من سنة 1950م وحتى 1959م حوالي 4035 مليون دولار، وقروضاً قدرها 369 مليون دولار، ومساعدات فنية قدرها 35 مليون دولار، وأجهزة علمية قيمتها 10 مليون دولار، واستثمارات أمريكية بمبلغ 95 مليون دولار،

وحصيلة بيع السندات الإسرائيلية مبلغ 347 مليون دولار، هذا عدا الإعفاءات من الضرائب والرسوم على ما يحصل من اليهود وما يتم جمعه عن طريق الجمعيات والمنظمات الأمريكية المؤيدة لإسرائيل" (إمام،1971، ص 137).

وقد كشف (بنحاس سابير) حينما كان وزيراً للمالية، عن "أن إسرائيل قد تلقت بين عامي 1949-1956سبعة مليارات دولار. ولكي نقدر دلالة هذا الرقم حق التقدير يكفي ان نذكر القارئ بأن تمويل مشروع مارشال لأوروبا الغربية بين عامي 1948-1954 قد رصد له 13 مليار دولار. أى أن دولة إسرائيل ذات المليوني نسمة قد تلقت أكثر من نصف ما تلقته كل شعوب أوروبا التي كانت تعد آنذاك مئتي مليون نسمة" (جارودي، 1991، ص278).

أما على صعيد جلب المهاجرين الجدد، فقد تدفق الكثير منهم إلى إسرائيل من كافة البقاع بدون أي مشاكل، ولم تكن هناك مشكلة في وصول المهاجرين اليهود إلا بالنسبة ليهود الدول العربية. وقد ساعدت أمريكا على حل هذه المشكلة. فعلى سبيل المثال، "قامت طائرات سلاح الجو الأمريكي بشكل سرى في مطلع الخمسينيات بنقل 65 الف يهودي يمني إلى إسرائيل" (الحسن-ا، 1986، ص 63). وبالنسبة إلى تحقيق التفوق العسكري، فقد حققته إسرائيل بمساعدة أمريكا وحلفائها من خلال حرب 1948م، وما تبعها من تدفق للأسلحة على إسرائيل، في ظل فرض حظر على تزويد الدول العربية بالأسلحة. وحتى في اللحظة التي استطاعت مصر، الحصول على أسلحة من الخارج في عام 1955م، قامت إسرائيل في عام 1956م بالتعاون مع فرنسا وبريطانيا، بشن العدوان الثلاثي على مصر؛ لتدمير القوة العربية الجديدة، من أجل الإبقاء على التفوق العسكري الإسرائيلي والحصول على مكاسب جديدة.

وعلى صعيد قضية اللاجئين الفلسطينيين، فقد طالب الرئيس الأميركي ترومان في يوم 1949/5/9 بضرورة عودة (200-300) ألف لاجئ فلسطيني إلى ديارهم، وذلك عبر رسالة وجهها إلى بن غوريون، ولكن في مقابل ذلك ركزت أمريكا على ضرورة توطين اللاجئين الفلسطينيين عبر نفوذها الكبير في لجنة التوفيق الدولية "وبدأنا نشهد مشاريعاً وخططاً أميركية؛ لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية المضيفة، ومن بين تلك الخطط، خطة جورج ماك في 1949/4/25 الداعية لتوطين نصف مليون لاجئ في الدول العربية، وبتكلفة إجمالية تصل إلى 250 مليون دولار تساهم أمريكا بنصفها" (السهلي، 2009، 22 تشرين الأول). وبهذا فقد كان لترومان فضل السبق في طرح خيار التوطين في الدول العربية، فاتحاً الباب لمن بعده؛ ليطور هذه الفكرة.

ومن المعروف "أن مأساة اللاجئين الفلسطينيين نشأت، وتعمقت معاناتهم منذ نشوء الدولة اليهودية على أنقاض فلسطين، وتشتت أهلها في مخيمات اللجوء والشتات، حيث أرغم ما يقارب 900 ألف فلسطيني على الهجرة القسرية خارج مدنهم وقراهم، بعد أن قام اليهود وعصاباتهم العسكرية بتدمير أكثر من 540 قرية فلسطينية" (أبو ستة،2001، ص 16). ومما زاد من معاناة الفلسطينيين، وعمَّق جراحهم، الهزيمة العربية الساحقة التي تعرضت لها الجيوش العربية في مواجهتها مع إسرائيل؛ إذ استطاعت إسرائيل السيطرة على ما يقارب 78% من مساحة فلسطين الانتدابية" (ربيع، 1995، ص 12). وكان من نتائج الحرب العربية- الإسرائيلية الأولى عام 1948م أن شرد عشرات الآلاف من الفلسطينيين إلي البلدان العربية المجاورة، "ففي آخر الإحصائيات بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين في الفترة الواقعة بين 1948 إلى 2000 ما يزيد على خمسة ملايين لاجئ" (أبو ستة، 2002، ص 24).

7.5.3 دوايت ايزنهاور 1953 . 1961

حكم ايزنهاور الولايات المتحدة، في أصعب فترات الحرب الباردة في الخمسينات من القرن الماضي. ومما تقدم يبدو واضحاً أن إسرائيل في هذه الفترة لم تكن بحاجة إلى الدعم الأمريكي الصارخ كما كان الحال في عهد ترومان؛ ولذلك كان المجال مفتوحاً أمام أيزنهاور لتقليل حجم الدعم الأمريكي العلني لإسرائيل، لامتصاص ردة الفعل العربية الساخطة على التحيز والتآمر الأمريكي التام على العرب أيام ترومان؛ كما أن الظروف الدولية والإقليمية، ساعدت على تحجيم هذا الدعم. فقد كان تركيز أيزنهاور في هذه الفترة ينصب على احتواء المد السوفيتي في العالم، والحيلولة دون انتشاره في العالم العربي، كما أن ظروف المنطقة العربية ومد القومية العربية الجارف ساهم في تحجيم هذا الدعم إلى أدنى مستوياته. لهذا كان الموقف الأمريكي تجاه العرب يبدو وكأنه معتدل نسبياً.

وخلال وجوده في البيت الأبيض أنهى أيزنهاور الحرب الكورية. وارتبط اسمه بالشرق الأوسط، والعالم العربي، وبالذات بمشروعه ذائع الصيت المتعلق بما يسمى سد الفراغ، والذي طرحه بعد انتهاء ازمة السويس، حيث قال:" إن الفراغ الراهن في الشرق الأوسط يجب أن تملأه الولايات المتحدة قبل أن تملأه روسيا" (شريف، 2001، ص 333). ويتجسد هذا المبدأ في حماية الاستقلال السياسي لأي دولة في الشرق الأوسط للحيلولة دون سيطرة الشيوعية، حيث صدر في 9 آذار، مارس عام 1957 بيان مشترك من جانب الكونجرس والبيت الأبيض يتضمن ما يأتي:

1- السماح بتعاون الولايات المتحدة مع دول الشرق الأوسط؛ لدعم القوة الاقتصادية لهذه الدول، والموافقة على منحة قدرها 200 مليون دولار سنوياً (عبد الغفار،1982، 74).

2- تخويل الرئيس إنفاق المبالغ التي يتم رصدها لمساعدة أي دولة أو مجموعة من الدول تحتاج إلى مساعدات أو تعاون عسكري.

3- السماح باستعمال قوات الولايات المتحدة العسكرية لضمان حماية وحدة واستقلال الأراضي التي تطلب مثل هذه المساعدات، حتى يمكنها التصدي للعدوان الصريح المسلح الذي تشنه أي دولة تسيطر عليها الشيوعية (الشيخ، 2006، ص147).

8.5.3 مشروع دالاس في الخمسينيات بخصوص قضية اللاجئين

كان إبعاد الروس عن منطقة الشرق الأوسط من أهم أوليات السياسة الأمريكية؛ ولهذا قال وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس: "إن الشئ الوحيد الذي يثير الخوف هو أن يصبح عبد الناصر أداة في يد الروس.. وكان دالاس يريد أن يبقي الروس خارج الشرق الأوسط" (عناية،2001، ص 98). وقبل التطرق إلى مشروع دالاس، لا بد في البداية من الإشارة إلى مشروع أريك جونستون في عام 1953-1955، والموسوم بمشروع الإنماء الموحد للمصادر المائية في وادي الأردن. "وكان الهدف الحقيقي لهذه الخطة خلق أراض جديدة في منطقة وادي الأردن واستصلاحها زراعياً حتى تكون جاهزة لإعادة توطين آلاف اللاجئين الفلسطينيين، من دون أن يشكلوا عبئاً مالياً واقتصادياً وبشرياً على الدول العربية المضيفة" (موعد، 2003، ص 469). ولكن المشروع فشل؛ لأن الدول العربية اشتمت منه رائحة تأهيل اللاجئين الفلسطينيين وتوطينهم في بلدان الطوق العربي، دون أن يكون هناك فرص حقيقية تفتح أمامهم للعودة إلى أراضيهم وقراهم في فلسطين. وبينت مصادر أخرى أن فشل المشروع جاء نتيجة رفض بن غوريون له؛ لإنه يحول إسرائيل إلى دولة شرق أوسطية تقليدية على حساب هويتها اليهودية" (الهور و الموسى، 1986، ص 56).

وهنا طرح دالاس في 29 آيار، أغسطس 1955 مشروعه أمام الكونغرس الأمريكي؛ إذ حدد في خطابه المحددات العامة والخطوط العريضة للسياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، من خلال وضع حد لبؤس مليون لاجئ فلسطيني، وتأمين حياة كريمة لهم عن طريق العودة إلى فلسطين ضمن حدود ما تسمح به إسرائيل، وتوطين بعضهم الآخر في البلدان العربية. واقترح دالاس استصلاح أراض زراعية جديدة بحيث يتمكن اللاجئون من العمل والاستقرار، ودفع تعويضات لهم بوساطة قرض دولي تشارك الولايات المتحدة فيه بشكل رئيس. وحل (مشكلة حجاب الخوف وأزمة الثقة) المتبادلة بين العرب

والإسرائيليين. وعبر عن استعداد أمريكا للدخول في معاهدات واتفاقيات ثنائية وجماعية من أجل تصفية الأجواء. وأخيراً منع أي طرف من السعي؛ لتغيير الحدود بالقوة والإخلال بالوضع الراهن، مع سعى أمريكا لإشعار إسرائيل أن عليها أن تتخلى عن بعض المناطق مستقبلاً من أجل توطين أعداد من اللاجئين عليها خاصة منطقة النقب" (حكيم، 1967، ص85)

وقد رفضت إسرائيل التعامل مع خطة دالاس تحت ذرائع واعتبارات كثيرة، كان أهمها عدم موافقة إسرائيل للتخلي عن منطقة النقب؛ لأنها مهمة استراتيجياً وجغرافياً. وبعد فشل مشروع دالاس، وتأزم الوضع السياسي في المنطقة بعد العدوان الثلاثي على مصر، تقدمت أمريكا بمشروع إستراتيجي جديد، ربط بين مقاومة الشيوعية وبين التنمية الاقتصادية لدول المنطقة. "وقد عمد المشروع إلى تقديم مساعدات مالية واقتصادية للدول العربية، من أجل التنمية، ولمعالجة قضية اللاجئين الفلسطينيين من خلال إنشاء مؤسسة تنموية عربية، تستمد جزءاً من مساعداتها من الأمم المتحدة، ويكون أحد أهدافها مساعدة الدول المضيفة للاجئين؛ لتوطينهم حيث هم" (الزرو،2000، ص 118-119).

9.5.3 حرب 1956 وأزمة قناة السويس

مثل العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، والدور الذي لعبته الولايات المتحدة فيه نجاحاً مضافاً لسياسة التغلغل الأمريكية في المنطقة على كل الأصعدة، بظهورها كقوة عظمى معادية للاحتلال وإخفائها لتبنيها ورعايتها الكاملة والمستدامة للمشروع الصهيوني منذ بدايته. فقد انتهى العدوان وتم الانسحاب الثلاثي من مصر، بعد إنذار سوفيتي عنيف، وبعد مطالبة أمريكية بالانسحاب، وبعد تسوية سياسية تم فيها حصول إسرائيل على مكسبين هما: حرية الملاحة في خليج العقبة، حيث أعلن أن مياه الخليج دولية، ووضع قوات طوارئ دولية في شرم الشيخ وغزة (المسحال، 1994، ص 161). وقد لعبت أمريكا في تلك التسوية دوراً أساسياً، واستخدمت أوراق ضغط للوصول إليها من خلال دعمها لاستمرار احتلال إسرائيل لشرم الشيخ وغزة حتى آذار، مارس 1957، ولم يتم الانسحاب إلا بعد الإعلان عن تدويل خليج العقبة والاتفاق مع مصر على تشكيل قوات طوارئ دولية (انظر: حكيم، 1967، ص91)، وأيضاً الاستمرار في تجميد الحكومة الأمريكية للأموال المصرية التي جمدتها إثر تأميم قناة السويس، ورفضها في يناير 1957 طلب تزويد مصر بالغذاء والأدوية لمواجهة الأوضاع السيئة بسبب العدوان، ورفضت الإفراج عن 27 مليون دولار من أموال مصر لشراء قمح.

وقبل أن تنسحب إسرائيل من غزة وشرم الشيخ صرح إيزنهاور: أنه بات مقتنعاً بأن مياه الخليج مياه دولية وأنه ليس من حق أية دولة أن تمنع المرور الحر فيه، وأنه سبق أن أعلن أن الولايات المتحدة على استعداد لممارسة هذا الحق بنفسها". وعلى ذلك وضعت تلك التسوية أول خطوة لتحقيق مفهوم التوسع الإسرائيلي دون احتلال الأرض نفسها بالإضافة إلى تحقيق هدف إسرائيل المعلن في القضاء على مراكز الفدائيين في غزة ومراكز الجيش المصري في خليج العقبة؛ وذلك بجعل مشكلة حماية إسرائيل من الفدائيين مشكلة دولية. وقد أعلن بن جوريون بعد الانسحاب أنه "ليس المهم الاستيلاء على المضايق وإنما المهم تأمين الملاحة حتى وإن لم تكن إسرائيل موجودة هناك" (اللجنة المصرية، 2003، 7/8). وخلاصة الأمر وعلى عكس ما يشاع من أن الموقف الأمريكي قد ساعد مصر في إنهاء احتلال قوات العدوان الثلاثي للأراضي المصرية، نجد أن الرؤية الأمريكية نجحت في تأمين مصالحها في المنطقة وفي تأمين أمن إسرائيل.

وبالرغم من هذا الاعتدال الظاهري للسياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية، إلا أنه لا يجب إغفال حقيقة الالتزام الأمريكي الديني تجاه إسرائيل، "فقد تربى إيزنهاور على الاعتقاد بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم قدموا لنا أفضل وأسمى المبادئ الأخلاقية والأدبية في حضارتنا" (الشيخ، 2006، ص329)، وكان يؤمن بأن "الاعتراف بكائن أسمى هو التعبير الأول والأساسي للمذهب الأمريكي. وبدون وجود الله لا يمكن أن يوجد شكل أمريكي للحكم، ولا طريقة حياة أمريكية" (هنتنجتون، 2009، ص150). وعندما انتخب رئيساً لأمريكا في سنة 1952م ودخل البيت الأبيض، كان عضواً مؤازراً لجمعية (بناي برث) اليهودية وصديقاً لجماعة (شهود يهوه) الإرهابية وشارك في جميع خطط جمع التبرعات لليهود، وقال إيزنهاور: "إن إسرائيل ولدت بعد الحرب الثانية، وإنها قامت؛ لتعيش مع غيرها من الدول التي اقترنت مصالح الولايات المتحدة بقيامها" (التل، 1979 ص 206). وفي عهده تأسست منظمة أيباك الصهيونية عام 1953. ويبقى أن نذكر أنه قد أعيد انتخابه رغماً عن أصوات الناخبين اليهود ودور اللوبي الصهيوني المزعوم!" (اللجنة المصرية، 2003، 8 تموز، يوليو).

كما أن إيزنهاور اختار معه رجلين لأعلى المناصب في إدارته، وتصادف أنهما شقيقان لأب قضى عمره وعمله قسيساً داعياً إلى ملكوت السماء. الأول (جون فوستر دالاس) في موقع وزير الخارجية، "وكان المبشر الأعلى صوتاً، بأن الدين هو السلاح الأكثر فاعلية ونفاذاً في العالم الثالث" (هيكل، 2002، ص 209). ولهذا لم يكن مستغرباً أن يعبر دالاس عن التزامه الديني تجاه إسرائيل في تصريح له، أمام جمعية بنى بريت عام 1958م قال فيه: "إن مدنية الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية في

الطبيعة الروحية للإنسانية، لذلك يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدنية التي معقلها إسرائيل" (عبد الله، 1986، ص 53). أما الشقيق الثاني فهو (آلان دالاس) مدير وكالة المخابرات المركزية، "الذي أوكلت إليه مهمة إدارة الحرب الجديدة (الباردة) وسلاحها، إطلاق الأفكار وليس إطلاق النار. وبما أن الإستراتيجية الأمريكية في العالم الثالث اعتمدت على سلاح الاعتقاد ضد تهديد الإلحاد، فإن وكالة المخابرات الأمريكية تجاسرت على اتخاذ شعارات الإسلام؛ لتكون وسيلتها وذخيرة سلاحها. وبهذه العملية تم وضع حجر الأساس لاستغلال الإسلام والجماعات الإسلامية لخدمة المخططات الأمريكية" (هيكل، 2002، ص 209).

6.3 المبحث الرابع: جون كنيدى 1961 ـ 1963 الرئيس الكاثوليكي الوحيد

تولى جون كيندى الحكم في بداية الستينات، حيث كانت فترة ولايته من الفترات القليلة والنادرة التي تم فيها ضبط السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي؛ حيث جاء ذلك نتيجة لبعض العوامل، مثل ظروف الحرب الباردة، والمد القومي العربي، التي أدركها كيندي بوضوح، حيث كان يرى: "أن الانحياز الأمريكي في النزاع العربي الإسرائيلي لا يهدد الولايات المتحدة فحسب، بل يهدد العالم بأسره" (ديلورم، 1985، ص 81). ولكن العامل المهم، الذي طبع سياسة الرئيس كيندي وميزه عن غيره من الرؤساء، هو غياب النظرة الدينية؛ لتبرير تعاطفه مع إسرائيل. حيث أن قناعات الرئيس كيندي الشخصية – بوصفه من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، والرئيس الأمريكي الكاثوليكي الوحيد في تاريخ أمريكا– لم تترك مكاناً للأفكار والنبوءات التوراتية في وجدان الرئيس أو عقله. ولعله كان الوحيد من بين الرؤساء الأمريكيين في العصر الحديث الذي عرف كيف يمزج بين قيمه ككاثولكي أمريكي من جذور إيرلندية وبين البراغماتية الصارمة للبروتستانتية الأمريكية (عنيبة ، 2008، 11 آيار، مايو). كما حاول جون كيندي فصل معتقداته الدينية عن دوره السياسي، فقال :"إنه يحبذ أن تكون آراء رئيس الجمهورية عن الدين من شؤونه الخاصة" (هنتنجتون، 2009، ص459)

لقد كان وصول كاثوليكي إلى رئاسة أمريكا أمراً غير مسبوق، ومن الصعب تكراره، في ظل السيطرة البروتستانتية على مقاليد الأمور في أمريكا، حيث "إن التأثير الثقافي السائد في الولايات المتحدة هو تأثير العنصر الأبيض الأنجلو سكسونى البروتستانتي الذي يشكل هيكل القيم والمناقب في حياة الطبقة السائدة في المجتمع الأمريكي" (مارسدن، 2001، ص46)؛ ولهذا فإنه عندما حصل جوزيف (والد جون كنيدى) على منصب رفيع في السلك الدبلوماسي، وأصبح سفيراً لأمريكا في لندن، كان قرار تعيينه مفاجئاً للسياسيين المؤيدين للرئيس روزفلت، وقال هؤلاء للرئيس آنذاك "إن إرسالكم لهذا الايرلندي الكاثوليكي إلى

بلاط (سان جيمس) الملكي البريطاني، يعنى بالضرورة تدهور العلاقات الأمريكية البريطانية. وقال وزير المالية الأمريكي (هنرى ماغينتو) للرئيس روزفلت: "إن وجود كنيدي بالقرب منكم هو خطر عليكم" (أ.غروميكو، 1986، ص21).

1.6.3 العداء للكاثوليك في الولايات المتحدة الأمريكية

تتكون الطبقة العليا، في أمريكا من أناس ورثوا الثروة والمنزلة عن أجدادهم من المهاجرين الإنجليز. ومعظم أفراد هذه الطبقة من البروتستانت الأنجلوسكسون، الذين لا يسمحون لأحد بمشاركتهم في هذا الإرث، انطلاقاً من نظرة عنصرية للآخرين؛ حيث لم يكن الكاثوليك مستثنين من هذا الأمر. "فقد حدد الأمريكيون هويتهم، لأكثر من مائتي عام، على أساس أنها معارضة للكاثوليكية، وكان الكاثوليكي الآخر قد حورب واستبعد ثم عورض وتعرض للتمييز ضده" (هنتنجتون، 2009، ص 134). ولمعرفة درجة عداء البروتستانت للكاثوليك في أمريكا يكفي أن نعلم "أن العلاقة بين اليهود والبروتستانت كانت أكثر حميميه، من العلاقة بين البروتستانت والكاثوليك، لقد وجدت أرضيه مشتركة بين البروتستانتية واليهودية لم تتحقق بين البروتستانتية والكاثوليكية" (آل قطيط، 2003، ص76).

وقد بلغت مشاعر التحامل ضد الكاثوليك الايرلنديين أحياناً مبلغاً يقارب المشاعر ضد السود من حيث الشدة. بل كثيراً ما دأب الناطقون بلسان البروتستانت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة على جعل الكاثوليك صنواً للتسلطية وبالتالي مرادفاً للدكتاتورية. "وعانت الكاثوليكية نوعاً من الإضطهاد الأمريكي، لم تتحرر منه إلا منذ عهد قريب ولم يكن لأي كاثوليكي حق الترشيح لمنصب الرئاسة، وكان الرئيس جون كنيدي أول كاثوليكي يصل إليه، واغتيل في ظروف غامضة، وقيل إن للصهيونية يداً في اغتياله لما بين الكاثوليكية واليهودية من عداء تاريخي. وما زالت العوائق العديدة تثار ضد أل كنيدي؛ لتبعدهم عن الحياة السياسية في أمريكا" (النجار، 1986، ص26)

> "وفي عام 1951م حاول الرئيس ترومان تعيين سفير لدى الفاتيكان، غير أن الضجة الشعبية العالية بقيادة رجال الكنيسة البروتستانتية المنتمية إلى التيار الرئيس أرغمته على التخلي عن المحاولة. وفي تلك الفترة اضطرمت مشاعر العداء وتعمقت بين الكاثوليك والبروتستانت. فعلى سبيل المثال حذرت مجلة مشيخية بعد الحرب من الزواج بكاثوليك، مذكرة من بين أمور أخرى بأن المذهب البروتستانتي وليس الكاثوليكي هو الذي دفع الناس إلى المطالبة بحكومة حرة وإلى الإطاحة بالطغاة. وأقرت الكنيسة الأسقفية قراراً شديد اللهجة ضد الزواجات المختلطة في عام 1949م" (مارسدن،2001، ص239).

2.6.3 سميث الكاثوليكي يخسر انتخابات 1928 امام هوفر البروتستانتي

في انتخابات عام 1928 كان مرشح الحزب الديمقراطي لمنصب الرئاسة هو حاكم ولاية نيويورك (سميث)، الذي كانت فرصته لدخول البيت الأبيض عظيمة. فقد أعيد انتخابه أربع مرات على التوالي، وكان أول كاثولويكي حقق مثل هذا الفوز عام 1915. وأهم ما تميزت به هذه الانتخابات هو استخدام منظمة (الكوكلاكس كلان) البروتستانتية المتطرفه كقوة ضاربة ضد الديمقراطيين، وكان شعارها: (حزب روما الكاثوليكي بدأ حملة كبيرة بهدف السيطرة على أمريكا باسم البابا). ولجأت إلى التحريض ضد سميث ووصمته بالكاثوليكية، وحليفاً للشيطان، وابن بابا روما. بينما كانت كلان تقدم نفسها دائماً بوصفها المدافع الأمين عن البروتستانتية. وكان الرهبان الموالون لكلان يخاطبون رعيتهم بالقول: "حين تصوتون لصالح سميث فإنكم تصوتون ضد عيسى المسيح، وبهذا تحل عليكم اللعنة". وكان منافسه البروتستانتي (هوفر) يدعو إلى (الأمريكانية الكاملة)، والولاء المطلق لقيم الاخلاق البروتستانتية، والإبقاء على قانون تحريم الكحول. وفي تحليله لأسباب فوز هوفر الحاسم هذا كتب د. بريت أن "ايل سميث كان ضحية حملة العداء للكاثوليكية واليهود والزنوج" (ايفانوف، 1983 ص43) .

3.6.3 كيندي يبحث عن مخرج

إزاء هذا الوضع المتأزم بين الكاثوليك والبروتستانت، كان من الطبيعي أن يجد جون كيندي نفسه في وضع حرج وصعب، وكان "يدرك أنه يواجه عقبتين كبيرتين، وكانت العقبة الأولى تتمثل في كونه كاثوليكياً. فقد كان رجال الدين البروتستانت قد عبروا عن معارضة قوية لوجود رئيس كاثوليكي في البيت الأبيض. كما أن مجلس الحاخامين اليهود في نيويورك قد أعلن أيضاً عن معارضته لترشيح كينيدي للرئاسة، لأن جوزيف كيندي والد جون كيندي كانت مواقفه معادية لليهود" (عناية،2001، ص 120). ومن هنا كانت مشكلة مذهبه الكاثوليكي من أهم المشاكل التي واجهها. فقد لعب الدين إلى جانب عوامل أخرى دورا مؤثرا في سلوكيات الناخبين عبر التاريخ الأمريكي. فعلى سبيل المثال يتجه اليهود والكاثوليك لانتخاب المرشحين الديمقراطيين أكثر من البروتستانت، وقد أثر الدين أيضاً على طريقة عرض المرشحين والمسئولين المنتخبين لقضاياهم على عامة الناخبين" (كوربت، 2002، ص11). "فالانتماء الديني، كان بصفة عامه أحد العوامل الحاسمة التي تقرر المكان الذي يصطف الأمريكيون فيه من الناحية السياسية، ولا سيما عندما يقترن ذلك بالأصل العرقي، كما أنه أفضل وسائل التنبؤ بالسلوك الاقتراعي" (مارسدن،2001، ص98).

لهذا اجتمع جوزيف وجون وروبرت كينيدى ومساعدوهم الرئيسيون، لمناقشة الصعوبات التي قد تواجه جون في حال إعلانه عن رغبته في ترشيح نفسه إلى منصب الرئيس. وخلص الجميع إلى نتيجتين، أولهما أنه لم يسبق وأن أصبح كاثوليكي رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، اما ثانيهما فهي أنه لم يسبق وأن أصبح شاب بعمر (جون43 سنة) رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية " (أ.غروميكو، 1986، ص38). وللتغلب على مشكلة الدين قرر (جون كيندى) العمل على جبهتين، إحداهما الاعتماد على دعم الكاثوليك والأقليات الأخرى في أمريكا حيث كان الكاثوليك تقليدياً، عظيمي التأييد للحزب الديمقراطي، "وقد بلغ هذا التأييد ذروته عام 1960م، عندما انتخب (جون كيندي) كأول رئيس كاثوليكي للولايات المتحدة" (كوربت،2002، ص74)، حيث جاء انتخابه؛ ليمثل ذروة الانخراط الليبرالي في السياسة من جانب الكاثوليك الأمريكيين، وقد عني انتخابه لكثير من الكاثوليك حصولهم أخيراً على التوازن الثقافي مع الأغلبية البروتستانتية. (كوربت، 2002، ص143). أما الجبهة الثانية فقد عمل كيندي منذ بداية حملته الانتخابية في إشعال نار الفتنة بين أتباع الكنيسة الكاثوليكية، وأتباع الكنيسة البروتستانتية في ولاية فرجينيا الغربية معقل المتطرفين البروتستانت، ذلك أن القائمين على حملته الانتخابية رأوا في طرح المسألة الدينية نصراً لمرشحهم في هذه المنطقة. ولهذا أكد كيندى في جميع محاضراته التي ألقاها عبر شاشات التلفزيون الأمريكي بأنه ليس من المعقول أن يرفضه الناخبون كرئيس لأمريكا؛ لأنه كاثوليكي المذهب، وأعلن في أول خطاب له في ولاية فرجينيا بأن:

> "أحداً لم يسأله إذا كان كاثوليكياً أم لا؟ عندما انخرط في صفوف القوات البحرية الأمريكية". وطرح كيندي هذه المسألة أكثر من مرة، بهدف استعطاف الناخبين المعاديين للكاثوليكية. ولم يتوقف عند هذه الحدود، بل أكد فيما بعد بأنه سيشكل حكومته دون اخذ العوامل الدينية بعين الاعتبار، وأنه سيفصل بين عقيدته الدينية وعمله السياسي، حيث أسهمت توكيداته تلك وقيامه بذلك فعلاً أثناء رئاسته، إسهاماً كبيراً في تخفيف أية مخاوف من بسط نفوذ الفاتيكان، القوة الأجنبية على أمريكا، فكان هذا التصريح بمثابة هجوم نفسي ضد أهالي فرجينا الغربية الذين يدينون بالبروتستانتية" (مارسدن،2001، ص241).

وبالرغم من كل الجهود التي بذلها كيندى للفوز بالانتخابات إلا أن فوزه كان بمثابة معجزة وأمراً غير عادى وخروجاً عن المألوف. فعندما تمت انتخابات الرئاسة الأمريكية في عام 1960م، حصل (كيندى) على 49.7% من مجموع الأصوات، وحصل ريتشارد نيكسون على 49.6% من مجموع أصوات الناخبين الأمريكيين. وكان الفارق بين النتيجتين ضئيلاً جداً. وصوت في هذه الانتخابات 64.5% من أصل 107 ملايين أمريكي. ويعتبر هذا العدد قليلاً جداً حسب المقاييس الأوربية، وكبيراً جداً حسب المقاييس الأمريكية. وهذه النتيجة التي فاز بها (كيندي) تؤكد حقيقة سيطرة الأنجلوسكسون البروتستانت على الحياة

الأمريكية، وأنهم لن يسمحوا لأحد غيرهم بحكم أمريكا مهما بلغ الأمر، وبالذات إذا كان كاثوليكياً حيث تنتشر بين البروتستانت الأوهام الدينية على أوسع نطاق. وتشتد مشاعر العداء التاريخية التقليدية للديانة الكاثوليكية، حيث لعب هذا دوراً ملحوظاً في انتخابات 1960، حيث فاز كنيدي على منافسه نيكسون بفارق ضئيل جداً؛ ومن المفارقات أن 4.5 مليون من البروتستانت الديمقراطيين قد صوتوا ضد مرشح حزبهم . أي ضد الكاثوليكي كنيدي" (إيفانوف، 1983، ص68).

4.6.3 كينيدي ومحاولة الإصلاح

أدرك (كيندى) منذ توليه الرئاسة العوائق الكبيرة التي تواجه سياسته على المستوى الخارجي والداخلي التي تتعارض مع مصالح وأفكار الطبقة البروتستانتية المتنفذة، التي لا تستطيع العيش إلا في ظل أجواء الصراع والحرب. لهذا اعتمد (جون كنيدي) على تأييد الكاثوليك، بالإضافة إلى المهاجرين الإيطاليين والبولنديين الكاثوليك؛ لدعم سياسته الخارجية، التي تميزت بانفتاح كبير على العالم، حيث أدرك كيندي ضرورة التعايش السلمي مع الدول ذات النظم السياسية المختلفة.

> "فبعد أن قابل كينيدي الرئيس ديغول في مايو 1961م، أعجب كل منهما بالآخر، ووصف كينيدي في تقرير للشعب الأمريكي في 1961/6/6م، ديغول بأنه مستشار حكيم للمستقبل، ومرشد واسع الثقافة. ولكن ذلك الوصف لم يرق لمؤسسة الظل الانكلوسكسونية، التي عبرت عن استيائها لمثل هذه الثقة. وكانت التجربة الفرنسية في فيتنام من ضمن النصائح التي أسداها الحكيم (ديغول لكينيدي). واتفق مستشارو كينيدي علي أنه قد بدأ يفكر بجدية في الخروج من أزمة فيتنام" (زلوم، 2003، ص 350)

كما قرر كيندي أن يكون أكثر إيجابية في سياسته الخارجية بسبب تغيير موازين القوى على المسرح الدولي، وقد عبر عن ذلك في خطابه الذي ألقاه في الجامعة الأمريكية في 10 حزيران، يونيو 1963م، حيث أشار إلى عقم الحرب النووية، وقال في هذا الخصوص: "لا فائدة إطلاقاً من الحرب الشاملة في العصر الذي تملك فيه القوى العظمى ترسانات نووية حصينة، لا فائدة من الحرب الشاملة، لأن القنابل النووية الحالية تملك قوة تفجير أكبر بعشر مرات من قوة تفجير القنبلة النووية التي استخدمها الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. لا فائدة من الحرب الشاملة؛ لأن الغازات السامة يمكن أن تنتقل عبر الهواء والماء والتراب إلى مناطق العالم المختلفة" (امبروز، 1994، ص 252).

وهكذا وقف كيندى في خطابه ضد كثير من العقائد السياسية في أمريكا، حيث أكد أتباع الحرب الباردة أن التوصل إلى سلام مع الشيوعيين أمر شبه مستحيل، وانه لا مفر للعالم من حرب عالمية ثالثة.

وقد وصف كيندى هذه الأفكار بأنها مدمره وخطيرة وقال: "دعونا ننظر من جديد في علاقاتنا مع العالم" (أ.غروميكو، 1986، ص219)؛ ولهذا خصص معظم خطابه للحديث عن مبدأ التعايش السلمي. وأعطى أوامره للوفد الأمريكي للتوجه إلى موسكو؛ لتوقيع اتفاقية منع التجارب النووية في الفضاء وتحت الماء. وفعلاً تم في موسكو في 5 آب 1963م توقيع المعاهدة، حيث عارضتها القوى الأنجلوسكسونية المتطرفة، ولكن التأييد الشعبي كان لها كبيراً، ودخلت معاهدة منع التجارب النووية مع السوفيت قلب الشعب الأمريكي، وبعثت الطبقات الأمريكية البسيطة بآلاف الرسائل إلى الكونغرس الأمريكي، وطالبته بتأييد المعاهدة وإقرارها، فصادق عليها أعضاء مجلس الشيوخ لكي يضمنوا النجاح في الانتخابات الرئاسية التي ستجرى عام 1964" (أ.غروميكو، 1986، ص222).

5.6.3 كينيدي وموقفه من القضية الفلسطينية

إن الانتماء الكاثوليكي، للرئيس كيندي، لا يعنى تخليه عن دعم إسرائيل، والإخلال بالتزامات أمريكا تجاهها، فقد صرح أكثر من مره بالتزامه بحماية إسرائيل قائلاً: "إن أمريكا التزمت التزامات صريحة بحماية إسرائيل، ومن مصلحتنا نحن الأمريكيين تنفيذ ما التزمنا به. وقال أمام المنظمة الصهيونية الأمريكية بعد أن تكلم عن قيام دولة إسرائيل وأنها لم تولد لتختفي: "كان ترومان أول من اعترف بإسرائيل وسأواصل أنا السير في هذا الطريق" (حكيم، 1967، ص108–109). ولكن بالرغم من ذلك، فقد فرضت ظروف الحرب الباردة، ومد القومية العربية نفسها على سياسة كيندي. ولهذا عندما وصل كنيدي إلى الرئاسة لم يكن متحمساً كثيرا لفكرة توثيق علاقة أمريكا بإسرائيل. بل كان يبحث عن أرضاء الرئيس جمال عبد الناصر. ففى 14 شباط، فبراير 1962 جاء إلى مصر باولز مستشار كيندي الذي أكد لناصر أن أمريكا لا ترغب فى فرض نظامها على أى بلد آخر، وأنها على استعداد لقبول سياسة مصر فى عدم الانحياز بشرط أن تكون غير منحازة فعلاً. وفى تقريره للرئيس كيندي قال باولز إن حكومة ناصر تريد تحسين علاقاتها مع أمريكا، وأن علاقاتها بالاتحاد السوفييتى والصين الشعبية بعيدة عن النواحي العقائدية وأن مصر تستخدم الدولتين كمصدر للسلاح والاستثمارات بما يلائم المصالح. وفى نيسان، أبريل 1962 تم توقيع اتفاقية مع أمريكا تحصل مصر بمقتضاها على ما يساوى خمسمائة مليون دولار من القمح على مدى أربع سنوات (هيكل،1990، ص 175). وبعد هذه الصفقة بدا أن الجو أصبح مناسباً لطرح مشروع بشأن حل القضية الفلسطينية.

"فقد اعتقد كيندي بأن في استطاعته أن يسهم في إحلال السلام في الشرق الأوسط. وبدا له أن الأمر سهل وما عليه إلا أن يقنع إسرائيل بأن تعوض، أو تعيد بعض العرب للبلاد، وبذلك يشجع البلدان العربية على

توطين من تبقى منهم... فتم الإعلان عن مشروع جونسون في نهاية 1962.. ولكن بن غوريون رفض المشروع وقال:" إن إسرائيل تجد في هذا المشروع خطراً على وجودها يفوق تهديدات الدكتاتوريين والملوك العرب .. وسوف تحاربه إسرائيل حتى آخر رجل فيها" (تيفن، 1998 ص 65-66).

وكان المشروع يخير اللاجئين الفلسطينيين بين العودة إلى مساكنهم فى فلسطين، أو الاستقرار فى مناطق أخرى منها، أو فى البلدان العربية أو سواها من بلدان العالم، أو أن تتولى إسرائيل تعويضهم. وفور إعلان المشروع فى سبتمبر عام 1962 رفضه عبدالناصر فوراً، وتزامن ذلك مع بداية التدخل المصري في اليمن، مما جعل كيندي يغير رأيه في جمال عبد الناصر، فتلك الحرب كانت خطوة تهدد المصالح الأمريكية فى المملكة العربية السعودية (عنيبة ، 2008، 11 آيار، مايو). وعلى الجانب الإسرائيلي فقد اشتكى الإسرائيليون طوال فترة حكم الرئيس كنيدي أنهم كانوا على خلاف عميق معه وقد شهد بذلك أبا إيبان بقوله :"علاقة إسرائيل بالرئيس كنيدي في فترة حكمه كانت إحدى الفترات الأكثر فتوراً وبرودا في علاقات بلدي بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان الخلاف واضحاً في ثلاث قضايا رئيسية، إحداها قضية اللاجئين الفلسطينيين، التي طرح حلاً لها في 2 تشرين أول، أكتوبر 1961 عندما قدم جوزيف جونستون مشروعه بعد تكليفه من الرئيس كيندي، حيث رفضت إسرائيل هذا المشروع (عبد الغفار ،1982، 212). والقضية الثانية كانت المساعدات الاقتصادية التي طالب بها اليهود الصهاينة الدولة الأمريكية، وعند تسلمه هذا الطلب سارع كيندي في رفضه.

أما الملف الثالث فهو السلاح النووي، حيث كان كيندي أحد أكثر الدعاة لتجريد العالم من الأسلحة النووية. وخلال تراسله مع كيندي عام 1963 كتب بن جوريون يقول له:" سيدي الرئيس، إن لشعبي الحق في الوجود سواء كان في إسرائيل أو في أي مكان آخر يعيش فيه، وهذا الوجود معرض للخطر". فقد كانت المخاوف حول الأمن الإسرائيلي مستحوذة على تفكير بن غوريون، وأثرت نظرته التشاؤمية على السياسة الإسرائيلية، وكان لها دور حاسم في البدء ببرنامج إسرائيل النووي. فبعد إعلانه استقالته عام 1963 ألقى خطاباً توديعياً لموظفي هيئة التنمية العسكرية، وفر المبرر للبدء في المشروع النووي حيث قال: "ليس لدي علم عن أي دولة أخرى أعرب جيرانها عن أمنيتهم في إزالتها، ولم تكتفِ فقط بالإعلان عن تلك الرغبة بل تُعد لها بكل الوسائل المتوفرة لديها.. وأنا واثق أن العلم قادر على أن يوفر لنا السلاح الذي سوف يؤمن السلام ويردع أعداءنا" (عنيبة، 2008، 11 آيار، مايو)

6.6.3 نهاية كنيدي

نقل روبرت كنيدي عن أخيه ما يأتي:" كان الرئيس يحب أن يذكر دانتي: "الأماكن الأكثر جحيماً في جهنم مخصصة لمن التزموا الحياد في أزمات أخلاقية كبيرة" فالذي يعيش في هذا العالم عليه أن لا يسمح لنفسه أن يكون متفرجاً أو ناقداً على الهامش" (عنيبة، 2008، 11-5). من هنا فقد اتسمت سنوات حكم كينيدي بسلسلة من الأحداث والأزمات- سواء كان غزو كوبا، أم ازدياد زخم حركة الحقوق المدنية الأميركية، أم الاجتماع برئيس وزراء الاتحاد السوفيتي خروتشوف في قمة فيينا، أو التورط العسكري الأميركي في فيتنام، أو أزمة الصواريخ الكوبية، أو توقيع معاهدة حظر التجارب النووية- حيث كان كينيدي يخرج منها، كذلك السياسي والزعيم الذكي الهادئ الأعصاب دائم البحث والاستفسار، الذي يعتبر مثالاً لعصره، والساعي دوماً وراء سبل إزالة التوترات، وحل الأزمات" (ريفز، 2003). ولكن مواقف الرئيس كينيدي تلك، لم ترق للقوى الانجلو- البروتستانتية المتطرفة، التي بدأت تشعر أن هذا الكاثوليكي يهدد مصالحها ويهدد القيم التي بنت عليها أساس سلطتها، ولهذا قرروا التخلص منه، وقاموا في الولايات الجنوبية بتهديد الرئيس أكثر من مرة، وألقى قسم المخابرات المكلف بحماية الرئيس القبض على 43 مجموعة، خططت لاغتيال كيندي في ولاية تكساس لوحدها.

"وفى 19 تشرين أول عام 1963م تلقى الرئيس (كيندى)، إشارة خطره جداً، فقد تلقى السكرتير الحكومي المسؤول عن المطبوعات الأمريكية (بير سيلندرجر) رسالة من أحد سكان دالاس موجهة إلى الرئيس كيندى، حيث كتب المجهول في رسالته: "لا تدعوا الرئيس كيندي يأتي إلى ولاية تكساس، أنا خائف عليه، وأظن أنه سيلاقى حتفه في حالة قدومه إلى هنا. ولكن سيلندجر لم يسلم الرسالة إلى كيندي لأنه لم يهتم بها، وظن إنها دعابة لا أكثر، هذا بالرغم من أنه كان لدى الجميع مجال للظن بأن كيندي قد شعر في أعماقه بهواجس القلق عند زيارته لقلعة العنصريين الأمريكيين، حيث لم يشغل هذا الظن الرئيس كيندي لوحدة بل شغل جاكلين زوجة الرئيس وأصدقاءه" (أ.غروميكو، 1986، ص225).

وفى يوم 22 تشرين الثاني، نوفمبر 1963م تحولت الدعابة إلى حقيقة، والقلق إلى يقين، عندما أطلق مجهول النار على كيندي في أحد شوارع دالاس، واضعاً حداً لحياة أول رئيس أمريكي كاثوليكي، أراد أن يرى عالماً أكثر سلماً وعدلاً واستقراراً، وهذا لا يرضي تجار الحروب والعنصريين الأنجلوسكسون الذين نفذوا الجريمة، وأخفوا أدواتها بسرعة وأسدلوا عليها ستاراً من الصمت والغموض، وأخفوا أطرافها، وتم إعدام المدعو (لي هاربي) بالرصاص فوراً. أما المتهم الثاني جيوم روبى فقد مات في السجن. ومازال اغتيال كيندي مغلفاً بالإبهام والغموض، ولعل نزعته الكاثوليكية المتحررة من أباطيل الإسرائيليين كانت وراء حادث الاغتيال الذي ضاعت أسراره" (النجار، 1986، ص208)

وبالرغم من أن مكتب التحقيقات الفيدرالي (أف بي أي) خلص في التحقيق الذي أجراه عام 1964م إلى أن (هارفي) اغتال كينيدي وحده من دون تورط أي جهة أخرى معه، إلا أن ذلك لم يمنع ظهور نظريات لا حصر لها؛ لتفسير مؤامرة اغتيال كيندي. وفي آخرها، "يتهم (بار مكليلان) في كتابه (الدم، المال، السلطة)، الرئيس الأمريكي ليندون جونسون بالوقوف وراء اغتيال الرئيس كيندي" (جريدة الخليج، 2003، 22 آب، أغسطس). أما كتاب (الحكم الأخير) لمؤلفه ميشيل بيير الذي نشر عام 1993، فقد اتهم فيه بيير المخابرات الإسرائيلية بتدبير اغتيال كنيدي بقوله: إن كنيدي كان في صراع مع بن جوريون، بسبب اعتزام إسرائيل حينذاك صناعة أسلحة نوّية، ولما عارض ذلك كنيدي دبروا قتله، وبعدها تحولت السياسة الأميركية تجاه إسرائيل بمقدار 180 درجة. وهاهو مردخاي فانونو الفني النووي الإسرائيلي وبعد مغادرته للسجن وفي حوار مع مجلة (فولتير. أورغ) يصرح: "حاول الرئيس كنيدي أن يوقف محاولات إسرائيل في امتلاك أسرار صنع القنبلة النووية، لكن مقتله لم يمهله الوقت الكافي... بالنسبة لي السبب الكامن وراء اغتياله هو معارضته لانتشار أسلحة دمار شامل في إسرائيل وفي دول أخرى" (عنيبة، 2008، 11 آيار، مايو)

وسواء كانت هذه الرواية صحيحة أم لا، فإن القارئ يبقى في حيرة من أمره، ويظل السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: كيف ارتكبت المخابرات الأمريكية كل هذه الأخطاء التي أدت إلى مقتل الرئيس كينيدى؟ فالأمريكي الوحيد الذي اتهم بقتل الرئيس تم إعدامه فوراً وعلى مرأى الجميع دون أن يأخذوا منه أية معلومات؟ (أ.غروميكو،1986، ص228). ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تكررت مأساة (كيندى) مع أخيه روبرت، الذي اعتقد أن بإمكان كاثوليكي آخر الطموح للوصول إلى منصب الرئاسة، فوقع ضحية هذا الاعتقاد وتم اغتياله في ظروف غامضة، وألصقت التهمة بالفلسطيني (سرحان بشارة)، وأسدل ستار من الصمت على المخطط الحقيقي لهذه الجرائم، التي نؤكد أنها ليست بعيده عن دوائر المخابرات الأمريكية والجماعات المتطرفة البروتستانتية، التي عندها استعداد للقتال حتى الموت لإبقاء السيطرة الأنجلوسكسونية على مقاليد الأمور في أمريكا. "أن الرئيس كنيدي قتل لسبب غاية في البساطة: إنه كان رجلاً له مبادىء أو كما قال عنه دافيد برنر "لقد أصبح جون كنيدي نموذجا للأسلوب الرئاسي في الجزء الأخير من القرن العشرين" (عنيبة، 2008، 11-5)

7.6.3 حرب 1967: ليندون جونسون (1963 . 1969)

بعد أن اغتال المتطرفون البروتستانت الرئيس كنيدي ببضع ساعات، أدى ليندون جونسون القسم خلفاً له، وتولى مقاليد الأمور، وعاكس السياسات التي كان قد تبناها كينيدي، حيث عمل علي تصعيد وتيرة

حرب فيتنام، كما لم يستمر الموقف المعتدل للسياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، طويلاً، حيث أعادها جونسون إلى سابق عهدها، ولم يتوان عن تقديم كافة أنواع الدعم لإسرائيل (فريج، 1999، ص197). وكان يقول: أنا مستعد للدفاع عن إسرائيل تماماً كما يدافع جنودنا عن فيتنام. وفي عهده حصلت إسرائيل على صفقات كبيرة من الأسلحة الهجومية، والمعدات اللازمة للحرب الإلكترونية، التي تمكنت إسرائيل، بفضلها من هزيمة الجيوش العربية في عام 1967م والاستيلاء على أراضٍ شاسعة تفوق مساحتها، مساحة إسرائيل عدة مرات (شريف، 2001، ص 621). وكان السبب الرئيس لحرب 1967 هو سعي أمريكا؛ لإخضاع الدول العربية التي تنهج نهجاً تحررياً لمشيئتها، وإلحاق هزيمة ساحقة بها، لإخضاعها للمطالب الصهيونية، ولتعزيز وجود وتفوق إسرائيل.

وبعد الهزيمة لعبت أمريكا الدور الرئيس والحاسم لمنع مجلس الأمن الدولي من اعتبار الحرب عدواناً إسرائيلياً على الدول العربية، وإنما نزاع عربي إسرائيلي. وأجبرت مجلس الأمن علي إصدار قراره الشهير 242 الذي كافأ المعتدي علي عدوانه. فعلى الرغم من أن مقدم مشروع القرار هو المندوب البريطاني، فقد عبر عن مطالب الرئيس الأمريكي جونسون الخمس وهي: الحق المعترف به في حياة وطنية لكل دولة في المنطقة، حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، حرية المرور في قناة السويس وخليج العقبة، وضع حد لسباق التسلح في الشرق الأوسط، احترام الاستقلال السياسي وسلامة الأراضي للجميع (شريف، 2001، ص 673). وقد أضاف القرار إلي مطالب جونسون، كلمة الانسحاب من أراض احتلت في النزاع الأخير، وليس من كل الأراضي التي احتلت في الحرب. وبهذا جاءت الأسس المقترحة للحل طبقاً لقرار 242 لتحول عدداً من آثار العدوان، إلي مكتسبات دائمة لإسرائيل: الاعتراف وحق المرور في قناة السويس ومضايق تيران، والتعامل مع قضية فلسطين كمسألة لاجئين فقط (عبد الغفار،1982، 214). والأثر الوحيد الذي تمسك من قبلوا القرار بإزالته، هو احتلال إسرائيل سيناء والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة، ولكن بالاعتماد علي الحل السلمي ومجلس الأمن، وهو ما فتح الباب للضغوط الأمريكية لإملاء المزيد من التنازلات.

8.6.3 مستقبل إسرائيل والعالم

يوضح (وليم. بالكوانت) أسباب الدعم الكبير الذي قدمه جونسون لإسرائيل بقوله: "إن عواطفه الشخصية تجاه إسرائيل كانت تبدو راسخة بالمحبة والإعجاب، وتشير الظواهر كلها إلى أنه كان فعلاً يحب إسرائيل والإسرائيليين الذين تعامل معهم. كما عرف أقرب مستشاريه بصداقتهم لإسرائيل، إضافة إلى أن اتصالاته المباشرة مع الجالية اليهودية الأمريكية كانت حميمة خلال مسيرة حياته" (كوانت، 1984،

ص68). وهناك تصريح لجونسون، أدلى به عام 1968م أمام جمعية بنات برث (أبناء العهد) يلقى الضوء على أثر الأفكار والنبوءات التوراتية على سياسته تجاه إسرائيل، قال فيه: "إن بعضكم، إن لم يكن كلكم، لديكم روابط عميقة بأرض إسرائيل، مثلي تماماً؛ لأن إيماني المسيحي ينبع منكم، وقصص التوراة منقوشة في ذاكرتي، تماماً مثل قصص الكفاح البطولي ليهود العصر الحديث، من أجل الخلاص من القهر والاضطهاد" (ريتش، 1986، ص179). وكان جونسون معجباً بالإسرائيليين، وكان يسره أن يقول للمستمعين إليه: "لقد انبثق ديني من دينكم" (زلوم، 2003، ص168). وكان يشير إلى الشبه بين الرواد اليهود الذين يبنون بيوتاً في الصحراء وبين أسرته التى عاشت حياة زراعية شاقة على طول نهر بدرنال في هضاب تكساس" (تيفن، 1998 ص67)

وعندما عبر الرئيس (جونسون) عن قناعاته الدينية التي تدفعه لدعم إسرائيل، فإنه لم يكن الوحيد الذي ينظر إلى الصراع العربي الإسرائيلي هذه النظرة الدينية، بل إنه كان يعبر عن وجهة نظر عامة سادت الأوساط الشعبية البروتستانتية المتدينة في أمريكا، وبالذات بعد الانتصار الإسرائيلي في حرب 1967م. فقد ساهم هذا الانتصار إلى حد كبير في تزايد التيار المسيحي البروتستانتي المؤيد لإسرائيل، باعتبار أن ما حدث على أرض فلسطين ما هو إلا تحقيق لنبوءات توراتية ولمشيئة إلهية. فقد أثار انتصار إسرائيل السريع خلال حرب الستة أيام، واحتلال القدس حماسة عارمة لدى الإعفائيين الموقوفين على نظريات داربي، وكتب (نلسون بل) يقول: "أن تقع القدس بين يدي اليهود للمرة الأولى منذ أكثر من ألفي عام، يثير القشعريرة عند كل من يقرأ الكتاب المقدس، ويشعره بإيمان يتجدد في صحة وشرعية الكتاب" (لوران، 2003، ص95). فهم يعتقدون أن الحدث الرئيس الأكثر أهمية في القرن العشرين، كان تأسيس دولة إسرائيل في عام 1948م، والذي كان البرهان الإيجابي على أن داربي كان على صواب. "واكتسب هذا الحدث مصداقية إضافية بسبب الانتصار السريع والحاسم للدولة الصهيونية في حرب الأيام السته عام 1967م، حيث هتف التدبيريون أن يد الله حققت هذا بكل وضوح، وأن النبوءات القديمة التي أعطاها الله لإسرائيل بدأت تتحقق أمام أعينهم . أي أن ما حدث كان تحقيقاً حرفياً لنبوءات العهد القديم" (السقا، 2003، ص 71).

ولهذا لم يكن مستغرباً، أن نجد عناوين الكتب والمقالات التي نشرت في أمريكا وبعض الدول الأوربية، في أعقاب حرب 1967م من هذا الطراز الديني المستمد من التوراة، مثل (وانتصروا في اليوم السابع، حرب إسرائيل المقدسة، عملية السيف البتار، داوود وجوليات، أضربي يا صهيون) وغيرها من العناوين. وفي الإطار نفسه، قامت بعض الجماعات المسيحية، بتوزيع منشورات وكراسات بعناوين مثل، (مستقبل

إسرائيل والعالم) و (الخطط المقدسة للتاريخ)، حاولت فيها إظهار انتصار إسرائيل عام 1967، وكأنه ينبثق عن الإرادة الإلهية؛ إذ تبر بوعدها لشعب الله المختار، وتقوم باستباق الأحداث؛ لتجعلها مطابقة لما جاء في النصوص الدينية. وقد نشرت صحيفة الأنوار اللبنانية، صورة لمنشور (مستقبل إسرائيل والعالم) في صفحتها الأولى في 10 نيسان،ابريل 1968، هذه مقتطفات منه:

"إن العهد القديم من الكتاب المقدس لم يتنبأ بالأزمة التي نشهدها في الشرق الأوسط فحسب، بل تنبأ بالانتصارات الإسرائيلية واحتلال القدس، حتى توقيت هذه الأحداث في حد ذاته. لقد تنبأت نصوص الكتاب المقدس بمساحة أكبر من المساحة الواقعة بأيدي إسرائيل في فبراير 1968م ، فالنص الوارد في سفر التكوين (15:18) يوضح المسألة باختصار على أساس وعد إله إسرائيل بالأرض الممتدة من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات. وتابع المنشور قوله: "غير أن الكثيرين يتساءلون عن صحة هذه النبوءات، ويزعم بعضهم الآخر، أن الأساس التوراتي لمزاعم إسرائيل الأرضية لا علاقة له بالموضوع، وأن الواقع المعاصر هو الذي يقوم بتعيين حدود الشرق الأوسط. ومع ذلك فإن النصوص المقدسة برهنت على صحتها فيما يتعلق بالأحداث حتى الآن؛ مما يقوى الحجة لصحتها فيما يتعلق بالأحداث المستقبلية أيضاً" (رزوق،1973، ص 605).

وواضح من مضمون المنشور السابق أنه يفسر الأحداث الحاضرة والمستقبلية، التي جرت وستجرى في منطقة الشرق الأوسط، على أسس دينية صرفه، وكأنها ليس إلا تحقيقاً لوعود ونبوءات توراتية. وهذا أمر خطير جداً كما سيتضح لنا فيما بعد.

الفصل الرابع

الأصولية المسيحية والنظام الدولي الجديد (1967-1990)

1.4 تقديم

إذا كانت السياسة الأمريكية خلال الفترة من 1948 وحتى 1967 تميزت بالحذر والاعتدال الظاهري في تعاملها مع إسرائيل والقضية الفلسطينية بسبب ظروف الحرب الباردة، والمد القومي العربي، إلا أننا سنجد هذه السياسة تتغير وتحاول جني ثمار الانتصار الإسرائيلي عام 1967، لفرض رؤيتها للحل المطلوب. ولذلك سنشهد تعزيزاً للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية في هذه المرحلة، بفعل انتصار إسرائيل على الجيوش العربية، الذي نظر إليه – سواءً على المستوى الشعبي أو الرسمي- وكأنه دلالة على صدق الرؤى الدينية للصهيونية المسيحية. كما أن ضعف الموقف العربي جعل الساسه الأمريكيين يبوحون بالأسباب الدينية الحقيقة التي جعلتهم ينحازون لإسرائيل، وبدأت التعابير والمشاعر الدينية تظهر مع نيسكون، وكارتر، و ريغان. "فمنذ 1967 أصبحت السياسة الأمريكية ثابتة وتقوم على الآتي: ألا يطلب من إسرائيل التخلي عن الأراضي التى استولت عليها في 1967 دون مقابل وهو الموقف الذي أجمل في شعار"الأرض مقابل السلام" (عبد الوهاب، 2011، ص 29).

> "وخلال هذه المرحلة سنلاحظ أن أهم مشروعات التسوية منذ عام 1969 كانت المشروعات الأمريكية، والسبب هو اعتقاد العالم العربي أن لواشنطن سطوة لدى إسرائيل تجعلها قادرة على الضغط عليها؛ ولذلك لوحظ أن المشروعات الأمريكية، كانت لها أهداف متغيره وتراوح من مزاحمة موسكو في البداية إلى الانفراد بالتسوية في النهاية، ووضعت في اعتبارها تداعي القدرة السوفيتية على الصمود والسيطرة والمساندة للموقف العربي وتدني القدرة العربية الشاملة سياسياً وعسكرياً. وإذا أخذنا في اعتبارنا المقارنة بين المشروعات السياسية ورصد المواقف إزاء جوانب الصراع في الأمم المتحدة؛ لاتضح بعض الارتباك في الموقف الأمريكي، بسبب حرص الولايات المتحدة على الوفاء بمتطلبات العلاقة الخاصة مع إسرائيل، وإرضاء بقية الأطراف في الصراع بما يحقق سلاماً مستقراً في المنطقة" (رمضان، 1993، ص 231).

2.4 المبحث الأول: جنى ثمار الانتصار الإسرائيلي عام (1967)

تطورت العلاقة الخاصة بين أميركا وإسرائيل بشكل مثير، وفي كل مرة تغذت من مبدأ هذا الرئيس الأميركي أو ذاك في تعامله مع المنطقة. فمع (مبدأ ترومان) في احتواء النفوذ السوفياتي، وكذا مع (مبدأ أيزنهاور) في مساعدة دول المنطقة مادياً وعسكرياً لوقف المدّ الشيوعي، تبوأت إسرائيل موقعاً أساسياً في

المواجهة واندفعت إلى حمل الراية الأميركية. ولكن كان على الاحتفاء الإستراتيجي الكاسح بإسرائيل أن ينتظر (مبدأ نيكسون) ووزير خارجيته ومستشاره للأمن القومي (هنري كيسنجر)، كي يبدأ مشوار التحالف الوثيق المقدم على أي حساب آخر" (عاروري،2003)؛ ليفسح المجال لبروز الأصولية المسيحية، بكل قوه، ممثلة بكلٍّ من كارتر، الذي اعتبر إقامة إسرائيل أمراً لاهياً، ثم ريغان المؤمن بهرمجيدون.

1.2.4 ريتشارد نيكسون (1969–1974)

جاء الاحتفاء الإستراتيجي الأمريكي بإسرائيل في عهد نيكسون، واحتلالها حجر الزاوية في السياسة الأمريكية في المنطقة، نتيجة للانتصار الإسرائيلي على الجيوش العربية في عام 1967م، حيث ساهم ذلك في تحرير الإدارة الأمريكية . جزئياً. من الضغوط التي كانت تفرضها عليها ظروف الحرب الباردة، بالإضافة إلى ذلك فقد ساهم هذا الانتصار، في تنامي المشاعر الدينية المؤيدة لإسرائيل باعتباره تحقيقاً لنبوءة توراتية؛ ولهذا جاء (مبدأ نيكسون)، الذي "اعتبر أن إسرائيل هي حجر الزاوية في السياسة الأميركية في المنطقة، والوكيل المخلص الذي يمكن الاعتماد عليه وحده في اللحظات الحرجة" (انظر :عاروري،2003)؛ ولذلك لم يتوان نيكسون، عن تقديم كافة أنواع الدعم لإسرائيل، وكان أول رئيس أمريكي يمنح إسرائيل مساعدة مالية ضخمة قدرها 3 مليارات دولار؛ وذلك استجابة لرغبة الرأي العام المتدين من ناحية، وإرضاءً لقناعاته الدينية من الناحية الأخرى. كما إنه بضغوط من مخاطر الحرب الباردة كان راغباً بوجود دور أمريكي فاعل ونشط في منطقة الشرق الأوسط، ويقول بهذا الخصوص: "منطقة الشرق الأوسط برميل بارود، متفجر للغاية، وهو بحاجة إلى نزع فتيله، إني منفتح لأي اقتراح من شأنه التهدئة والتقليل من إمكانية وقوع الانفجار؛ لأن الانفجار الجديد في الشرق الأوسط يمكن أن يتحول بسهولة إلى مواجهة بين دول نووية" (الهور والموسى، 1986، ص121).

2.2.4 مبادرة وليم روجرز 1969

نشطت الدبلوماسية الأمريكية "وبدأت مشاريع السلام تطرح – بشكل جدي، في منطقة الشرق الأوسط بعد حرب حزيران 1967. ومع أنها اشتملت على مراحل مختلفة كان لكل مرحلة منها صفاتها وسماتها المختلفة، إلا أن أساسها القانوني بقي ثابتاً لا يتغير متمثلاً بقرار مجلس الأمن 242، والقرار 338. وقد اختار نيكسون لمنصب وزير الخارجية وليام روجرز الذي كان مطلعاً على طبيعة الصراع والتوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط، وكان يدرك تماماً أن القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع، وأنها تستغل من الاتحاد السوفيتي من أجل زيادة وتعميق نفوذه في المنطقة التي تزود العالم بأكثر من نصف احتياجاته من

البترول (حمد، 2003، ص 471). كما إن الانكسار الأمريكي في فيتنام، وحاجة أمريكا للمحافظة على مصالحها في المنطقة، قد هيئا الأجواء أمام روجرز لطرح رؤيته للصراع العربي–الإسرائيلي من جوانبه المختلفة، وتضمنت الخطة ترتيبات أمنية بين المصريين والإسرائيليين، ونصت في بنودها على ضرورة انسحاب إسرائيل من الجزء الأكبر من أراضى عام 1967 مقابل ضمانات عربية ومصرية للوصول إلى التزام لصنع السلام. كما ركزت الخطة بشكل أساسي على وقف كل الأعمال القتالية وحرب الاستنزاف، ونصت على مبدأ الأرض مقابل السلام، بما يتضمن الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة، الأمر الذي رفضته إسرائيل. أما بالنسبة للاجئين الفلسطينيين، فقد تطرقت الخطة إلى الاتفاق المبدئي بين الأردن وإسرائيل الذي من الممكن أن يكون هو مفتاح الحل العادل لقضية اللاجئين. (نواف،2000، ص.121).

ويلاحظ أن خطة روجرز في تناولها لقضية اللاجئين لم تخرج عن الرؤية المعروفة أمريكيا في تلك الفترة، التي اندفعت باتجاه إعادة توطينهم حيث هم مع إمكانية العودة المحدودة إلى الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل. وبهذا شهد الخطاب السياسي الأميركي في عهد نيكسون بداية التراجع إزاء قضية اللاجئين الفلسطينيين (السهلي، 2009، 22 تشرين الأول). وبالرغم من مآخذ الجانب العربي على خطة روجرز، فقد تم أفشالها من قبل بعض مصادر التأثير والنفوذ داخل إدارة نيكسون، فقد عارضها كيسنجر علناً؛ مما شجع إسرائيل بالمقابل لرفضها، فحكومة غولدا مائير هلعت من إمكانية عودة بعض اللاجئين ضمن ترتيبات أردنية– إسرائيلية مشتركة. وقد ساهم ظهور كيسنجر على المسرح السياسي الأمريكي وتأثيره الشخصي على الرئيس نيكسون، ورفض إسرائيل لخطة روجرز إلى استقالة هذا الأخير، ورحيله عن مسرح السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط. (الهياجنة، 2003، ص 844)

3.2.4 رؤية كيسنجر في السبعينيات (حرب اكتوبر 1973):

لا يوجد في التاريخ الأمريكي المعاصر شخصية سياسية وفكرية أكثر تأثيراً على مجمل السياسية الخارجية الأمريكية من هنري كيسنجر، فالرجل صاحب الأرضية اليهودية شغل مناصب عديدة، منها: مستشار الأمن القومي، ثم وزير خارجية." واتصف تفكيره الإستراتيجي بميزة ربط كل النزاعات والصراعات الإقليمية في العالم، بعجلة الحرب الباردة التي كانت مستعرة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي" (سليمان، 1996، ص 194). وفي هذه الأثناء برزت على السطح مساع منفردة من قبل الإدارة الأمريكية قادها كيسنجر، للسير بعملية السلام بشكل أحادي الطرف بحيث تعامل مع الأطراف المعنية كلاً على حدة، تأكيداً على فصل المسار العربي الواحد إلى مسارات مختلفة وفي أحيان كثيرة

متناقضة. وتجدر الإشارة إلى أن كيسنجر "عارض كل المشاريع السلمية التي تنص على عودة، ولو جزء بسيط من اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، ومعارضة أي انسحاب إسرائيلي إلى حدود ما قبل عام 1967. بالمقابل كان تفكير كيسنجر الإستراتيجي لا يخرج عن فكرة توطين أكثر من ثلثي اللاجئين في الأردن، والثلث الآخر في سوريا، ودفع تعويضات إلى أصحاب الأملاك والأراضي التي استولت عليها إسرائيل" (مصالحة، 1994، ص 203).

من هذا المنطلق لعب كيسنجر دوراً رئيسياً في الازمة التى نشأت بسبب حرب تشرين، اكتوبر 1973، حيث عمل على فتح قنوات اتصال مع السادات وبالذات بعد طرده الخبراء السوفييت قبل الحرب، مما مهد الطريق أمام كيسنجر ليلعب دوراً مهماً في فض الاشتباك بين القوات العربية والإسرائيلية، من خلال الجولات المكوكية التي أعقبت الحرب، لتوسيع الشقاق بين مصر والاتحاد السوفييتي، تطبيقاً لرؤية نيكسون الذي كان يقول : "ينبغي لنا أن نشجع إعادة مصر ونساعدها؛ ليس فقط إلى العالم العربي، ولكن ايضا كحليف عسكري ممكن لدول الخليج العربية" (نيكسون،1988، ص132). فبعد أن مهد السادات لـ فك الاشتباك السياسي مع أمريكا من خلال، طرد الخبراء السوفييت بطريقة مفتعلة وبدء الحديث عن تنويع مصادر السلاح قبل الحرب، وإطلاق السادات لشعار أن 99% من أوراق اللعبة في يد أمريكا، جاء كيسنجر؛ ليقتطف ثمار كل ذلك؛ ليضع أسس الحل السلمي للصراع العربي الإسرائيلي، وخصوصاً، وأن السادات أدار حرب 73 لكي تكون مجرد حرب تحريك للمفاوضات وليس تحريراً للأرض، بعد أن "استبعدت مصر اختيار الحرب لحسم الصراع، وخاصة بعد ما أصاب الاتحاد السوفيتي من وهن نتيجة لأزمته الاقتصادية والسياسية, وبعد أن انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم الحر وغير الحر" (رمضان، 1993، ص 189)

ورغم أن حرب أكتوبر كانت أنجح الحروب التي خاضتها مصر وسوريا ضد إسرائيل، فإن المفاوضات التي حركتها كانت طويلة وعسيرة ولم تتقدم إلا بتقديم التنازلات السياسية والعسكرية، لإسرائيل متجاوزة بصورة بعيدة ما أظهرته نصوص مرجعيات المفاوضات وهي قرارا 242 و 338، على نحو ما جُسِّدَ في إطاري كامب ديفيد. وبعد أن نجح كيسنجر في التقريب بين وجهتي النظر، المصرية والإسرائيلية، في أعقاب حرب أكتوبر عام 1973 والتوقيع على اتفاق الفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية عام 1974، خرجت الولايات المتحدة بوثيقة أخرى أطلق عليها وثيقة ساوندروز لحلحلة إشكاليات الصراع العربي– الإسرائيلي، حيث شددت على الدور الأمريكي المهم لإحراز التسوية الشاملة بين العرب والإسرائيليين، وتعهدت بوضع المصالح الفلسطينية بعين الاعتبار عند الحديث عن أي مفاوضات سلمية

مستقبلاً، واعتبرت أن البعد الفلسطيني في الصراع هو جوهر المشكلة العربية–الإسرائيلية، ونصت على أن يكون قرارا مجلس الأمن 242 و 338 هما المرجعية الأساسية في المفاوضات(عبد الغفار،1982، 216) .

4.2.4 خلفية نيكسون الدينية

نيكسون هو الرئيس الأمريكي السابع والثلاثون، وقد اضطر للتنحي في بداية فترة رئاسته الثانية بسبب فضيحة ووترغيت. وقد ولد نيكسون في 9 كانون ثاني، يناير 1913 في كاليفورنيا، وهو ينحدر من عائلة متدينة (الكويكرز) ذات أصول ألمانية. وهو أكثر الرؤساء الأمريكان فكراً وتنظيراً، وله العديد من الكتب والأبحاث، وهو يرى: "أن السلام والحرية لا يمكن أن يستمرا في العالم إذا لم تقم الولايات المتحدة بدور دولي رئيسي... لكن إذا فشلنا في قيادة العالم الحر، فلن يكون هنالك عالم حر لنقوده" (نيكسون،1988، ص28). كماأن نيكسون، أصولي إنجيلي يؤمن بالاختيار الإلهي لأمريكا: "إن الله مع أمريكا، إن الله يريد أن تقود أمريكا العالم" (بيغنون،2001، ص196). وهو يرى أن الأمة الأمريكية "أمة جعلت النصر في المعركة مرادفا لانتصار ما هو صواب... والكبرياء القومي الذي لا يتصلب من خلال كبرياء، إن الكبرياء الحقيقي لا يأتي من تفادي النزاع، بل من أن نكون في معمعته نحارب من اجل مبادئنا ومصالحنا وأصدقائنا" (نيكسون، 1988، ص29). وكان نيكسون من المتأثرين بالأفكار والنبوءات التوراتية، وكانت تربطه علاقات حميمة مع بعض الأصوليين المعروفين بتأييدهم لإسرائيل. فالعلاقة بين (بيلي جراهام) و(أيزنهاور) شيء معروف، مثله كمثل صلوات الإفطار في البيت البيض الأبيض أثناء فترة رئاسة نيكسون (كوربت، 2002، ص155). حيث انعكس ذلك على نظرته لإسرائيل والمنطقة العربية، التي قال عنها: "إنه يوجد في العالم الإسلامي عاملان اثنان مشتركان فقط، هما الدين الإسلامي، والاضطراب السياسي" (نيكسون، 1983، ص118). أما إسرائيل، فهناك المشهد المعروف لنيكسون مع غولدا مئير عندما هبّ من مقعده في المكتب البيضاوي، وقال لها؛ إن أفضل طريقة للتعامل مع العرب هي طريقة رعاة البقر.

> "فعندما زارت جولدا مئير الولايات المتحدة عام 1969م وصفها نيسكون بأنها (دبورة التوراتية) ثم راح يغمرها بعبارات المديح لما حققته من ازدهار في إسرائيل. ودبورة هي إحدى الشخصيات الجليلة لدى اليهود يصفها سفر القضاة بأنها: (نبية ... قاضية إسرائيل) ثم يمضى في تعداد مآثرها وشجاعتها في قيادة الإسرائيليين والانتصار على ملك كنعان، ويروى على لسانها هذه الكلمات: "خذل الحكام في إسرائيل، خذلوا حتى قمت أنا دبورة. قمت أماً في إسرائيل"(جارودى، 1998، ص 262).

وقد وصل تعاطف نيكسون مع إسرائيل إلى الحد الذي جعله يقول: "إن استعداده للقيام بالانتحار السياسي، أكثر من استعداده لإلحاق الضرر بإسرائيل" (اوسيبوف، 1985، ص 19). ولم يكن موقف نيكسون هذا نابعاً من حرصه على الصوت الانتخابي اليهودي، أو غيرها من الأمور التي نسمع عنها. فاليهود لم يعطوه أكثر من 17% من أصواتهم الانتخابية في عام 1968م، وبالرغم من ذلك كان دعمه المستمر لإسرائيل. فنيكسون يؤمن بأنها ."أكبر غلطة يرتكبها الرئيس الأمريكي أن يتبع استطلاعات الرأي لا أن يقودها". وهو ليس ضد الديمقراطية فقط، بل هو أيضا ضد المؤسسات" (نيكسون،1988، ص72) وقد عبر نيكسون عن ذلك كاشفاً حقيقة العلاقة بين أمريكا وإسرائيل معتبراً أن مساندة أمريكا لإسرائيل ليست من قبيل الدعاية أو لجذب أصوات اليهود بل نتيجة للاعتقاد بأنها مهددة من الاتحاد السوفيتي من ناحية؛ ولأن وجودها يحقق الآمال البعيدة داخل منطقة الشرق الأوسط.

> "لقد أمرت في حرب 1973م ببدء جسر جوي ضخم للمعدات والمواد التي مكنت إسرائيل من وقف تقدم سوريا ومصر على جبهتين.. إن التزامنا ببقاء إسرائيل التزام عميق فنحن لسنا حلفاء رسميين، وإنما يربطنا معاً شيء أقوى من أي قصاصة ورق، إنه التزام معنوي، إنه التزام لم يخل به أي رئيس في الماضي أبداً وسيفي به كل رئيس في المستقبل بإخلاص، إن أمريكا لن تسمح أبداً لأعداء إسرائيل الذين أقسموا على النيل منها بتحقيق هدفهم في تدميرها" (نيكسون، 1983، ص 291)

5.2.4 جيمي كارتر (1977 . 1981) ينفذ أمراً إلهياً

عندما وصل كارتر إلى الرئاسة الأمريكية، قام بجهد غير عادى لدعم إسرائيل، تم تتويجه بتوقيع أول معاهدة سلام مع دولة عربية وهى مصر، حيث وصف (سايروس فانس) وزير الخارجية الأمريكي آنذاك، سياسة كارتر تجاه الشرق الأوسط، فقال: "لم يكن محلاً للسؤال أن حجر الأساس في سياسة كارتر حيال الشرق الأوسط، سيبقى هو التزامنا بأمن إسرائيل" (فانس، 1984، ص9). ويؤكد بريجنسكي . مستشار الرئيس (جيمي كارتر) ذلك بقوله: "إن العلاقة الأمريكية . الإسرائيلية هي علاقة حميمة مبنية على التراث التاريخي والروحي"(سلطان، 1998، ص51). كما عبر كارتر نفسه عن العلاقة الأمريكية الإسرائيلية خلال مؤتمر صحفي عام 1977م، فقال: "إن لنا علاقة خاصة مع إسرائيل، وإنه من المهم للغاية أنه لا يوجد أحد في بلادنا، أو في العالم أصبح، يشك في أن التزامنا الأول في الشرق الأوسط إنما هو حماية إسرائيل في الوجود .. الوجود إلى الأبد، والوجود بسلام، إنها بالفعل علاقة خاصة" (ريتش، 1986، ص 179)، (عبد الغفار،1982، 245).

ولكن ما هي طبيعة هذه العلاقة الخاصة التي يتحدث عنها الرئيس كارتر؟ إنها بالتأكيد ليست علاقة ناتجه عن تأثير اللوبي الصهيوني وجماعات الضغط او علاقة مبنية على المصالح المشتركة؛ لأن نفوذ جماعات الضغط وتأثير المصالح تتغير من فترة إلى فترة، وليس لها طابع الدوام إلى الأبد. إن هناك أمراً آخر هو الذي جعل هذه العلاقة خاصة والالتزام نحوها أبدياً. وقد وضح كارتر هذا الأمر بنفسه في تصريح له أمام الكنيست الإسرائيلي في مارس 1979م حيث قال: "إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من علاقة خاصة، لقد كانت ولا زالت علاقة فريدة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه، وكما أن الولايات المتحدة وإسرائيل أقامهما رواد مهاجرون فإننا نتقاسم معكم تراث التوراة أيضاً" (حمدان، 2000، ص152). وفى احتفال أقامته على شرفه جامعة تل أبيب، وضح كارتر الأمر أكثر فقال: "إنه كمسيحي مؤمن بالله، يؤمن أيضاً بأن هناك أمراً إلهياً بإنشاء دولة إسرائيل" (مجلة المستقبل، 1983، 16آذار، مارس).

فكارتر هنا ينفذ أمر المشيئة الإلهية بحذافيرها عندما يدعم إسرائيل، وكيف لا؟ وهو المسيحي المؤمن الملتزم بالصلاة في الكنيسة كل أحد، الذي كان عضواً في أكبر كنائس بلدته وأكثرها جاهاً، وكان معلماً وشماساً في مدرسة الأحد، ويساهم كل عام في أسبوع؛ لإيقاظ الروح الدينية في المجتمع" (كارتر،1975، ص 218). فخلفية كارتر الدينية الصارمة، بوصفه أحد أتباع الكنيسة المعمدانية المعروفة بدعمها لإسرائيل، انطلاقاً من إيمانها الشديد بكل ما جاء في العهد القديم من نبوءات وأخبار تاريخية، هي التي رسمت سياسته تجاه إسرائيل؛ لهذا كان كارتر أكثر وضوحاً من غيره، في التعبير عن البعد الديني في السياسة الأمريكية إزاء الصراع العربي الإسرائيلي، حيث قال في خطاب ألقاه عام 1978م: "إن دولة إسرائيل هي أولاً وقبل كل شيء عودة إلى الأرض التوراتية، التي أخرج منها اليهود منذ مئات السنين .. إن إنشاء دولة إسرائيل هو إنجاز النبوءة التوراتية وجوهرها". واعترف في خطابه نفسه أن عليه "التزاماً كاملاً ومطلقاً نحوها كإنسان وكأمريكي وكشخص متدين". وربما هذا ما دفع أحد وزرائه لوصفه بأنه "واعظ أكثر منه إستراتيجي" (لانداو، 1995، ص305)

وعندما استقبل (جيمي كارتر) في البيت الأبيض رئيس الوزراء الإسرائيلي (مناحيم بيغن) وعده أن الولايات المتحدة ستدعم إسرائيل إلى الأبد، وقال في خطبة له: "إنه منذ تدمير القدس في العام 7م استمر اليهود في الصلاة؛ ليكون عامهم القادم في القدس، وأنهم عادوا أخيرا إلى أرض التوراة بعد ألفى عام من المنفى والشقاء والتمييز العنصري ضدهم" (الزين، 2002، ص278)، وعندما ظهر كارتر في معبد اليزابت اليهودي في نيوجرسى، وهو يرتدى رداء القضاة المخملي قال: "إنني أقدس الإله الذي تقدسونه.

نحن (كمسيحيين) ندرس التوراة التي تدرسونها". واختتم كلمته بالقول: "إن الحفاظ على بقاء إسرائيل لا يدخل في نطاق السياسة، إنه واجب أخلاقي" (جارودى،1998، ص264).

فمنذ انتخابات جيمي كارتر في 1976، فإنه يبدو أن الحظر عن التعبير عن المشاعر الدينية بمعرفة الزعماء السياسيين الأمريكيين قد بدأ يتآكل" (هنتنجتون، 2009، ص459). فقد ظل كارتر خلال حملته الانتخابية في عام 75 و76 يؤكد تعهدة بالمحافظة على سلامة إسرائيل. وألقى خطاباً انتخابياً في كنيس وعلى رأسه طاقية مخملية زرقاء" (تيفن، 1998 ص 115). وخلال معركة انتخابية بين كارتر وريغان وأندرسون تبارى الثلاثة في إعلان التأييد المطلق لليهود. فلما اتهم ريغان منافسه كارتر بأنه يرفض وصف منظمة التحرير الفلسطينية بأنها منظمة إرهابية، هرول كارتر ليعلن أمام المؤتمر اليهودي "إن شيئاً لن يؤثر على التزام بلاده نحو إسرائيل، وإن القدس يجب أن تبقى موحدة إلى الأبد، وأخذ يتفاخر بما قدمه من مساعدات لإسرائيل خلال فترة رئاسته" (قلعجي، 1992، ص55)

6.2.4 كامب ديفيد تحقق الآمال البعيدة

أشغل كارتر نفسه بالشرق الأوسط، وكان جزء من انشغاله هذا نابعاً من عقيدته المعمدانية (زلوم، 2003، ص172). واعتقد أن الكل يدرك حجم الخدمة التي قدمها كارتر لإسرائيل من خلال التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد، بما حملته من شروط على مصر مقابل انسحاب إسرائيل من سيناء، تمثلت بخروج مصر من جبهة المواجهة العربية . الإسرائيلية؛ لتتفرغ إسرائيل مدعومة بأمريكا لإخضاع وإجبار باقي الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية للدخول في التسويات السياسية علي غرار كامب ديفيد. يضاف إلى ذلك "ربط مصر سياسيا وعسكرياً واقتصادياً برباط التبعية لأمريكا، والقبول بأن مفهوم الأمن الخارجي لإسرائيل مع مصر، هي ممرات سيناء الإستراتيجية شرق قناة السويس، وأن الدفاع عن مصر يبدأ من غرب القناة" (اللجنة المصرية، 2003، 8 تموز، يوليو). وبقبول مصر هذه الشروط حققت أمريكا وإسرائيل أهدافا إستراتيجية عميقة ستفتح المجال لفرض الحل الملائم لإسرائيل على المنطقة العربية، بعد حالة الانقسام والضعف التي أوجدتها هذه الاتفاقية؛ مما فتح المجال واسعاً للعربدة الإسرائيلية والأمريكية في المنطقة، من غزو لبنان وضرب ليبيا والسودان، وضرب العراق وتدميره، والاستفراد بالشعب الفلسطينى وحصاره ومصادرة أراضيه، وغيرها من التداعيات الخطيره. وبخصوص قضية اللاجئيين الفلسطينيين فقد قلصت إدارة كارتر المشكلة وطريقة حلها إلى حد كبير جداً، وجاء في الرسالة التي وجهها كارتر إلى إسرائيل بواسطة الحاخام شلومو غورن "بأنه يجب إيجاد حل لقضية اللاجئين العرب واليهود وفق الشروط المتفق عليها. ومنذ مشروع الرئيس ريغان عام 1982 حتى تبوؤ بوش الأب سدة الحكم انصب الخطاب

الأميركي إزاء القضية الفلسطينية حول ضرورة المزاوجة بين اتفاقيتي كامب ديفيد ومشروع ريغان" (السهلي، 2009، 22 تشرين الأول).

7.2.4 مبادرة ريغان في بداية الثمانينيات

استغلت أمريكا مجموعة من الأحداث الدولية والإقليمية من أجل إطلاق مبادرة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان في 1أيلول، سبتمبر1982، بعد غزو إسرائيل للبنان عام 1982، حيث استفردت القوات الإسرائيلية بالمقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين في أرض المعركة، وكان من نتائج الحرب خروج قوات منظمة التحرير من لبنان وتشتتها في دول عربية مختلفة، ممهداً الطريق أمام تحولات سياسية جذرية على الفكر السياسي لمنظمة التحرير، حيث بدأت القناعات الفلسطينية تتجذر شيئاً فشيئاً في أوساط القيادة الفلسطينية، ومفادها أن العمل الفدائي المقاوم لا يكفي وحده لتحرير الأرض الفلسطينية، وأن هذا الجهد العسكري بحاجة إلى رافعة سياسية تستثمر فيه لتحقيق الأهداف المنشودة. وفي هذه الأجواء أعلن الرئيس ريغان مبادرته للسلام في الشرق الوسط استناداً إلى قرارات مجلس الأمن الدولي 242 و 338 واتفاقيات كامب ديفيد الموقعة بين مصر وإسرائيل عام 1979 (الشريف، 1995، ص 257). واعتمدت المبادرة في خطوطها العريضة على عدم الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني أو الإشارة إلى تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في المفاوضات المقترحة، لكنها، ولأول مرة ذكرت الحقوق المشروعة للفلسطينيين، معرفة هذه الحقوق على أنها حقوق مدنية للسكان الفلسطينيين في الضفة والقطاع (ساوندروز، 1985، ص.257).

وذكر ريغان في مبادرته أن السلام لا يمكن أن يتحقق من خلال إقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع، ولا يمكن تحقيقه أيضاً في إطار السيادة والسيطرة الإسرائيلية الدائمة عليهما" (حمد، 2003، 472). ومن الواضح أن المبادرة تركت الباب مفتوحاً على خيارات عديدة في المفاوضات المقترحة التي ستجري بين الأطراف المعنية حول مستقبل الأراضي الفلسطينية بعد الفترة الانتقالية، وربما كانت تشير إلى الدور الأردني المستقبلي كشريك للفلسطينيين في عملية التسوية" (الهياجنة، 2002، ص844). وبالنسبة لقضية اللاجئين نصت المبادرة على وجود موازنة وتوافق بين حقوق الفلسطينيين المشروعة والاحتياجات الأمنية الإسرائيلية" (الدجاني،1998، ص 29)، وكانت فكرة ريغان حول قضية اللاجئين تتمثل في أن الحل الأمثل لها يكمن في توطين اللاجئين في البلدان العربية المضيفة، خاصة سوريا والأردن مع إنشاء صندوق للتعويضات تشرف عليه لجنة خاصة تابعة للأمم المتحدة؛ لتقدير خسائر اللاجئين ولمعرفة احتياجاتهم في البلدان التي يتواجدون فيها" (الحمد، 1994، ص7). ومن هنا، لم يكن

هدف أمريكا من طرح هذه المبادرة إحداث حلحلة حقيقية للقضية الفلسطينية، بقدر ما كانت محاولة أمريكية؛ لتحويل الأنظار عن الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وإظهار نفسها أمام الأنظمة العربية، وحلفائها في المنطقة أنها جادة في حل القضية الفلسطينية. كما "كانت تريد المحافظة على المعاهدة المصرية- الإسرائيلية، وعدم المساس بالعلاقات الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل التي تعرضت للاهتزاز على أثر الحصار الإسرائيلي لبيروت" (خضر، 2005، ص12)

8.2.4 رولاند ريغان (1981 . 1989) ومعركة هرمجيدون

لو تتبعنا سياسته رونالد ريغان تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، فإننا سنجد أن النظرة الدينية البحتة هي التي حكمت سياسته تجاه إسرائيل، هذا بالرغم من أنه لم يكن مديناً لليهود في إعادة انتخابه. فقد أعطوا 68 % من أصواتهم الانتخابية للمرشح الديمقراطي (والتر مونديل)، الذي كان شعاره الانتخابي يقول: "إنني أفضل أن أخسر المعركة الانتخابية واليهود يدعمونني على أن أربحها بدون أصوات اليهود ودعمهم" (الحسن،1986-ا، ص 67). وهنا يفسر جورج شولتز أسباب إجماع الحزبيين الديمقراطي والجمهوري على دعم إسرائيل والتعاون معها بالقول: "إن تعاوننا مع إسرائيل حقيقة ثابتة بصرف النظر عن الحزب الذي يحكم في أي من البلدين؛ لأن هذه العلاقة مغروسة بعمق في وجدان شعبينا وفي قيم حضارتنا" (ابو الروس، 1998، ص99).

والرئيس ريغان لم يشذُ عن هذه القاعدة، حيث يعتبر من أكثر الرؤساء الأمريكيين تديناً وإيماناً بالنبوءات التوراتية، وبالذات تلك المتعلقة بمعركة هرمجيدون، حيث "أكد أكثر من إحدى عشرة مرة أنه يؤمن بنبوءات التوراة ومنها معركة هرمجدون، وقال خلال حملته الانتخابية: "إن إسرائيل هي الديمقراطية المستقرة الوحيدة التي يمكننا الاعتماد عليها في بقعة قد يتقرر فيها النزاع بين الخير والشر" (تيفن، 1998 ص 208). وصرح "بأنه كان يشعر عند خوضه الانتخابات الأمريكية بأن المسيح يأخذ بيده، وأنه سوف ينجح؛ ليقود معركة (الهرمجدون) التي يعتقد أنها ستقع خلال الجيل الحالي في منطقة الشرق الأوسط"(أيوب، 1989، ص 167). وقد عبر ريغان عن الأبعاد التوراتية لالتزام أمريكا الأخلاقي والتراثي والأدبي بإسرائيل بقوله، مخاطباً المدير التنفيذي للمنظمة الصهيونية (ايباك):

"حينما أتطلع إلى نبوءاتكم القديمة في العهد القديم وإلى العلامات المنبئة بمعركة هرمجيدون أجد نفسي متسائلاً، عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك لاحقاً. ولا أدرى إذا كنت قد لاحظت مؤخراً أي من هذه النبوءات، ولكن صدقني إنها تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه".ويقول أيضاً: "إن نهاية العالم قادمة، ويراها الرئيس حينما تغزو جيوش السوفيت والعرب وآخرين دولة إسرائيل، وستباد جيوش الغزاة بواسطة قنبلة

ذرية محدودة وسيموت ملايين اليهود، والمتبقي منهم سيتم إنقاذهم بواسطة جيش المسيح، الذي سيعود إلى الأرض لمعاقبة القوى المضادة للإسرائيليين وسيقضى على قوى الشر في معركة تسمى هرمجيدون، وتقع في سهل مجدو في فلسطين، وستنتهي هذه المحنة بقبول اليهود للمسيح كمنقذ لهم، وبزوغ فجر عصر الألف عام السعيدة تحت حكم المسيح" (سميث، 1982، ص 78).

9.2.4 ريغان والتزامه الديني

إن آراء ريغان السابقة ليست الأولى من نوعها، فلها سوابق كثيرة في المكتب البيضاوي، ولكنها تعكس التصديق الواسع النطاق للنبوءات التوراتية واستخدامها؛ لتبرير وجود إسرائيل. كما أنها تعكس إلى أيه درجة بلغ تأثير النبوءات التوراتية على صناع القرار الأمريكي، ويشير ريغان نفسه إلى عواطفه الدينية المبكرة، إذ قال في مقابلة تلفزيونية مع المبشر (جيم بيكر) عام 1980م:

"كنت محظوظاً لأن أمي غرست فيّ إيماناً عظيماً أكثر بكثير مما أدرك في ذلك الحين". وقال أيضاً: "إن الكتاب المقدس يضم كل الإجابات على قضايا العصر، وعلى كل الأسئلة الحائرة إذا ما قرأنا وآمنا، إن الأموال التي ننفقها في محاربة المخدرات والمسكرات والأمراض الاجتماعية يمكن توفيرها لو حاولنا جميعاً أن نعيش وفق الوصايا العشر .. لقد أخبروني أنه منذ بداية الحضارة سنت ملايين القوانين، ولكنها جميعاً لم تصل إلى مستوى قانون الله في الوصايا العشر الواردة في التوراة" (الكيلاني، 1994، ص11).

ويعارض ريغان بباعث من معتقده الديني مسألة الفصل بين الدين والسياسة حيث يقول: لا يوجد شيء اسمه الفصل بين الدين والسياسة، وأن القائلين بهذا الفصل لا يفهمون القيم التي قام عليها المجتمع الأمريكي؛ ولهذا اعتبر الرئيس ريغان أن:"ثراء ورخاء الولايات المتحدة؛ يرجع إلى كونها أمة مباركة من الله" (جارودي، 2002، ص 109). وريغان لم يكن يخفي توجهاته الدينية الدفينة قبل توليه الرئاسة وبعدها. فبعد نجاحه في الانتخابات لبس القبعة اليهودية المعروفة، وألقى خطاباً في مؤتمر يهودي، كدليل التزامه بالصهيونية وولائه المطلق لليهود. وقد أكد جيمس ملز في مقال نشرته مجلة (سان ييجو) في أغسطس 1985م هذه الحقائق بقوله: "إن ريغان كرئيس، أظهر التزاماً بالاضطلاع بواجباته وفقاً لإرادة الله، كما يجب أن يفعل كل مؤمن في منصب رفيع، وأن ريغان شعر بذلك الالتزام خصوصاً في سعيه إلى بناء الجبروت العسكري للولايات المتحدة وحلفائها" (سميث، 1982، ص 110).

3.4 المبحث الثاني: تنامي التيار الديني المسيحي الأصولي في أمريكا

الحركة الأصولية الأمريكية بدأت في بواكير القرن العشرين.. عندما تم توزيع سلسلة من الكتيبات بعنوان الأصول طلبت أن يقبل المسيحيون الكتاب المقدس باعتباره، موحى من الله، لا يأتيه الباطل، ومعصوماً من الخطأ" (بلاكر، 2005، ص69). وفي ثمانينات القرن الماضي، صعد وتنامى التيار الصهيوني غير اليهودي، وصار يشكل أكبر وأقوى قوة متنامية مؤيدة لإسرائيل على المسرح السياسي الأمريكي. "وتمثلت الشرارة التي أشعلت السياسة الإنجيلية المنظمة في أمريكا بانتخاب كارتر لرئاسة الجمهورية عام 1976، إذ أعلن خلال الحملة انه كان مسيحياً إنجيلياً ولد من جديد، حيث ساهمت هذه العبارة في تلقي كارتر دعماً قوياً من الناخبين الذين اعتبروا أنفسهم أيضاً مولودين من جديد، ودفع انتخابه مجلة نيوزويك إلى تسمية عام 1976م، عام الإنجيليين" (مارسدن،2001، ص278). وتأكد هذا بإعلان فورد وريغان وأندرسون، بإعادة مولدهم كمسيحيين، وكان هذا بمثابة إعلان عن نضج الحركة"(كوربت، 2002، ص155). وقد اتسعت عضوية الكنائس البروتستانتية المحافظة خلال تلك الفترة، ووجد هذا الاتجاه، المسيحي الصهيوني نحو الشرق الأوسط، من ينتصر له في منابر مختلفة متزايدة، كالكنائس والإذاعات وحتى قاعات الكونغرس، خاصة بعد أن امتد نفوذه إلى عقول وجيوب الملايين، وامتلك شبكة تلفزيونية وإذاعية هائلة وبتقنية متقدمة للغاية، وباستخدام الأساليب الاستعراضية الدينية في التلفزيون أو ما تسمى الآن الكنيسة التلفزيونية" (الحسن، 1986-ب، ص 121).

1.3.4 أسباب البركة في أمريكا

عندما عقدت منظمة، أيباك الصهيونية مؤتمرها السياسي السنوي للعام 1981م، ألقى سناتور أيدواروجر، (و. جبسن) كلمه أمام المؤتمر قال فيها: "إن من أسباب تأييده الحيوي الذي لا يتغير لإسرائيل، هو دينه المسيحي". وقال: "إن المسيحيين وبخاصة الإنجيليين . هم من أفضل أصدقاء إسرائيل منذ ولادتها الجديدة عام 1948م". وأضاف: "أعتقد أن أسباب البركة في أمريكا عبر السنين، أننا أكرمنا اليهود الذين لجئوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا؛ لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام، وبورك فينا لأننا اعترفنا بحق إسرائيل في الأرض" (فندلى، 1985، ص 393). وهذا أيضا (جيري فالويل) زعيم منظمة الأغلبية الأخلاقية، والصديق الشخصي لبيغن وشامير، يجسد الصلة المتنامية بين المسيحية الأصولية والصهيونية، حين قال في كتاب صدر عنه بعنوان (جيرى فالويل واليهود):

"إن إسرائيل تحتل الآن مكان الصدارة في نبوءات الكتاب المقدس، وإني أومن أن عهد الوثنيين (يقصد العرب والمسلمين) قد ولى بسيطرة اليهود على الأرض المقدسة في عام 1967م، أو إنه سينتهي في القريب العاجل. وأني على قناعة بأن معجزة إنشاء دولة إسرائيل في عام 1948م كان بفضل العناية الإلهية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وإن الإله وعد مراراً في العهد القديم بأنه سيجمع الشعب اليهودي في الأرض التي وعدها إبراهيم، وأعني بها أرض إسرائيل الآن، ولقد أوفى الإله بوعده، وإن إنشاء دولة إسرائيل لدليل ثابت على أن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب حي كريم، وستبقى دولة إسرائيل محور التاريخ". وقال أيضاً: "لا أعتقد أن في وسع أمريكا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل وتبقى في عالم الوجود، والرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهودي". وجيرى فالويل هذا يقوم بإنتاج برنامج ديني اسمه (ساعة من أزمان الإنجيل) يتم إذاعته من 392 محطة تلفزيونية، ومن حوالي 500 محطة إذاعية كل أسبوع، كما أنه يقوم بتنظيم رحلات إلى إسرائيل للمسيحيين الذين ولدوا من جديد، كما يسميهم" (فندلي، 1985، ص 394 وما بعدها).

وإذا كان فالويل من أشهر المتحدثين بلسان المسيحيين المحافظين، الذين يصل تعدادهم إلى أكثر من 30 مليون أمريكي، "فإن هناك الكثير من المسيحيين البروتستانت في أمريكا ينظرون إلى الشرق الأوسط، على الأقل من منظار الصلة الدينية بإسرائيل، ويرون في تأييدهم لها عملاً لاهوتياً؛ إذ ينسبون لإسرائيل دوراً بارزاً في تفسير التعاليم المسيحية. فهم يعتقدون من جهة، أن إسرائيل تستحق التأييد المسيحي؛ لأن وجودها هو تحقيق لنبوءات التوراة، ودليل على صدق الكتاب المقدس، ويكثرون من الاستشهاد بفقرات من العهد القديم دفاعاً عن هذا الرأي. ويدعم عدة مسيحيين إسرائيل من جهة ثانية؛ لاعتقادهم بأن اليهود مازالوا كما كانوا زمن التوراة، شعباً مختاراً. بل ويذهب بعضهم إلى القول: "إن إسرائيل هي الأمة الوحيدة التي تكونت بأمر خالص من الله، لا دور للأسباب فيه، وقد أقسم الله بعظمته أن يدافع عن القدس، مدينته المقدسة. إذا كان الله هو الذي أنشأ إسرائيل، وهو الذي يدافع عنها، فإن تلك الأمم التي تقاتلها إنما تقاتل الله" (أولدفيد، 2003، 31.28 آب،أغسطس)

2.3.4 إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء

فى سنة 1984م جمع (مايك إيفانس)، قسيس بدفورد في تكساس توقيعات مليون مسيحي لالتماس دولي بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وفى مجلدين مماثلين حمل ايفانس التوقيعات إلى إسرائيل وقدمها إلى شامير رئيس الوزراء. وكتب ايفانس وقتها يقول: "إن عيني شامير اغرورقتا بالدموع، وقال: إن أولئك المسيحيين يحبوننا حباً عظيماً!"(فندلى، 1985، ص 395).

"وفي صيف 1983م، أذاع (إيفانس)، برنامجاً تلفزيونياً خاصاً لمدة ساعة كاملة، بعنوان (إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء) حيث استغله؛ ليصف الدور الحاسم الذي تلعبه إسرائيل في مصير الولايات المتحدة، السياسي والروحي، وادعى بأن تخلي إسرائيل عن الضفة الغربية وغيرها من الأراضي المحتلة بعد حرب 1967م، سوف يجر إلى دمار إسرائيل ومن بعدها الولايات المتحدة، وختم (إيفانس) برنامجه بنداء وجهه للمسيحيين، يناشدهم فيه بتوقيع، بيان البركة لإسرائيل، وقال: إن هذا البيان مهم بنوع خاص؛ لأن الحرب مقبلة (يقصد معركة هرمجيدون) وعلينا أن نطلع رئيسنا، ريغان، ورئيس الوزراء، بيغن، على شعورنا نحن الأمريكيين نحو إسرائيل. وعن سبب إنتاجه لهذا البرنامج الذي أذيع فيما لا يقل عن 25 ولاية أمريكية، قال إيفانس: "إن الرب أمرني بوضوح بإنتاج هذا البرنامج الخاص بدولة إسرائيل" (الحسن، 2000، ص124.122).

3.3.4 أمريكا قوية لأنها تقف مع إسرائيل

يعلن كثير من رجال الدين البروتستانت في أمريكا، أمثال (جيم بيكر وكينت كوبلان وجيمى سواجارت) وغيرهم، من خلال الإذاعات ومحطات التلفزيون، عن تأييدهم لإسرائيل، استناداً لما ورد في الكتاب المقدس. فبناء على الفقرة الواردة في سفر التكوين "أبارك مباركيك ولاعنك ألعنه" (تكوين، 12: 3) يرى الأصوليون ضرورة تأييد إسرائيل (الحديثة) إلى الأبد، حيث يعتقدون أن أي معارضة لمطلب صهيوني أيا كان الطلب ليست معارضة لدولة إسرائيل، بل هي ضد الرب نفسه. ومعنى هذا تزويد إسرائيل بموافقة مطلقة على العدوان على أي بلد عربي.

"فهذا جيمى سواجارت، الذي يعتبر من أشهر رجال الدين المسيحي في أمريكا، يتحدث أكثر ويعمل أكثر لصالح إسرائيل، على أسس توراتية .... حيث يعتبر قيام إسرائيل ضرورة لاهوتية للعودة الثانية للمسيح. ويكشف سواجارت في برامجه ومنشوراته الكنسية عن صهيونيته التوراتية، حيث يقول: "إن أمريكا مرتبطة بحبل ميلاد سرى مع إسرائيل، وإن الله يبارك الذين يباركون إسرائيل ويلعن لاعنيها... إن أمريكا قوية؛ لأنها تقف مع إسرائيل" (جريدة الخليج، العدد 2957).

4.3.4 غزو لبنان مستمد من التوراة

فى يونيه 1982م وبعد ثلاثة أيام من بدء الغزو الصهيوني للبنان، شرح (بات روبرتسون) من خلال برنامجه التلفزيوني، والذي يصل إلى أكثر من 16 مليون عائلة- أي إلى 19% من مجموع المشاهدين الأمريكيين- أهوال معركة هرمجدون الوشيكة، حيث أكد أن حساب العالم سيحل في خريف 1982م، وأن

القضاء النهائي سيحل بالاتحاد السوفيتي؛ وليوضح نبوءته ذهب إلى السبورة تتبعه آلة التصوير؛ ليحدد موضع دول الشرق الأوسط على الخريطة، معيداً صياغة نبوءة حزقيال بقوله:

"في العصور القادمة عندما تتم إعادة تجميع إسرائيل من الأمم، سأتسبب في حدوث شيء ما، هذا الشيء إنني سأضع الكلابات في أفواه التحالف، الذي سيقوده شخص شيطاني، والدول التي ستكون معه هي بيت توغارما (أرمينيا)، وبوت (ليبيا)، وروش (الحبشة) ونحوم (اليمن الجنوبية)، وفارس (إيران). وتابع قائلاً: كل شيء جاهز، ويمكن حدوثه في أي وقت. ومن المؤكد أن شيئاً كهذا سيحدث بحلول خريف 1982م، وبهذا تتحقق نبوءة حزيقيال" (هالسيل، 1998، ص28)

ويضيف روبرتسون: "إن الولايات المتحدة الأمريكية موجودة في نص حزقيال. وإننا ننتظر المعركة النهائية المحتومة". وحذا حذو رويرتسون العديد من الإذاعيين الذين يبشرون بلاهوت هرمجدون في الإذاعة والتلفزيون ومن على المنابر، وهذا التبشير يتضمن أن الرب كان يعلم منذ البداية، أننا الأحياء اليوم، سندمر كوكب الأرض. ومن الجدير بالذكر أن روبرنسون يمتلك محطة وإذاعة تلفزيون الأمل في جنوب لبنان، التي تبث برامجها من منظور لاهوت هرمجيدون، كما أنه شارك مع الجيش الإسرائيلي بقيادة (شارون) في غزو لبنان" (برير، 2004، ص65). وفي عام 1983م نظم (جيرى فالويل) رحلة إلى فلسطين، لإطلاع المسيحيين على الأماكن المقدسة هناك، وخصوصاً الأماكن اليهودية التي تتعلق بالعقائد التوراتية. وهناك نظم لهم لقاء مع (موشى أرينز)، الذى خاطبهم فقالاً: "أن غزو لبنان 1982 كانت بإرادة إلهية، فهي حرب مقدسة، مستمدة من العهد القديم، وهذا يؤكد النبوءة، إذ إن هذا الغزو يمكن أن يعني أن معركة مجدو قد اقتربت". وحينها أصدر الأصوليون بياناً قالوا فيه: "إن معارضي الغزو لا ساميون، وإن من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها، وعن شعبها، بالوسائل التي تراها مناسبة. واتصل فولويل بمناحيم بيجن وقال له: مبروك على النصر الذي جعلنا فخورين بإنتاج الطائرة أف 16" (حسين، 1993، ص54-55). وتقديراً لجهوده، أوعز مناحيم بيغن، بمنحه ميدالية اعترافاً بتأييده الثابت لإسرائيل، حيث تم تقليده هذه الميدالية في عام 1980م خلال مأدبة عشاء أقيمت بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الزعيم الصهيوني جابوتنسكي" (هالسيل، 2000، ص 96).

5.3.4 السفارة المسيحية الدولية

تعتبر منظمة السفارة المسيحية الدولية، من أكثر المنظمات والقوى الصهيونية المعاصرة انتشاراً ونفوذاً على الساحة الدولية. وقد ولدت هذه المنظمة عام 1980م حينما اجتمع أكثر من ألف رجل دين مسيحي، جاءوا من أكثر من 23 دولة، في مؤتمر بمدينة القدس، تعبيراً عن الدور المركزي لهذه المدينة في فكر

وحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة، وقد جاء تأسيسها إثر رفض المجتمع الدولي لقرار الحكومة الإسرائيلية اعتبار القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، وكرد فعل على قيام عدد من دول العالم بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب.

"وقد، افتتحت السفارة مكاتب لها في القسم الغربي من مدينة القدس، وأعلنت عن افتتاح أكثر من 37 قنصلية لها في دول العالم، وأخذ يدير هذه المكاتب رجال دين مسيحيون متعصبون للصهيونية. وقد اتخذت السفارة ولاية كارولينا الشمالية، مقراً لها وافتتحت فروعاً لها في عدد كبير من المدن الأمريكية الرئيسة. وتقوم هذه المراكز بجمع التبرعات لإسرائيل وعقد المؤتمرات وتسيير المظاهرات وحشدها، وبيع المنتجات الإسرائيلية، وتنظيم الرحلات السياسية إليها، وممارسة الضغوط السياسية على صانعي القرار في دول العالم لصالح إسرائيل. ويؤمن أعضاء وأنصار هذه السفارة، بأنه على إسرائيل أن تمتد من النيل إلى الفرات. وقد اختصر زعيم هذه السفارة أهداف منظمته بقوله: إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم" (الحسن، 1986–ب، ص 128).

وتصل موازنة السفارة إلى أكثر من 100 مليون دولار، وملايين الأتباع، وعشرات الألوف من الأعضاء في جميع أنحاء العالم. وقد نظمت منذ تأسيسها، مهرجانات ومسيرات حاشدة في شوارع القدس، احتفالاً بتأسيس إسرائيل وبالأعياد الدينية اليهودية. وتستخدم السفارة، شبكة واسعة من أجهزة الإعلام؛ لنشر أهدافها وتثقيف أتباعها في كيفية خدمة القضايا الإسرائيلية. فهي تصدر مجلة إخبارية ربع سنوية، بالإضافة إلى عشرات الأوراق والنشرات الدورية. وأنتجت فيلماً صهيونياً، ونظمت حملات مستمرة من الرسائل البريدية إلى صانعي القرار في عدد من دول العالم، وصارت تدعى لجلسات الاستماع في الكونغرس الأمريكي، وفى نفس الوقت رتبت حملات لجمع الدم، دعماً لجنود إسرائيل أثناء غزو لبنان عام 1982م، وأنشأت فرقة للغناء سمتها، فرقة أغاني صهيون، وجمعت المساعدات المالية وشجعت بيع السندات الإسرائيلية داخل الكنائس الأمريكية (العطار، 2007، ص 63). وفى أواخر أغسطس 1985م نظمت، أول مؤتمر صهيوني دولي في مدينة بازل بسويسرا، وفى نفس القاعة التي انعقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول بزعامة هرتزل. وقد شارك في المؤتمر أكثر من 600 رجل دين ومفكر مسيحي بروتستانتي، قدموا من 37 دولة، وهتفوا جميعاً بحياة إسرائيل الكبرى، وصلوا من أجل عاصمتها الموحدة والأبدية، القدس، وقرروا الانتشار في الأرض تنظيماً وحركة لخدمة وحماية وتكملة المشروع الصهيوني .. ومن أجل إرضاء الرب أيضاً" (الحسن، 2000، ص134).

6.3.4 أهم قرارات مؤتمر السفارة المسيحية الدولية

1. الضغط باتجاه مزيد من الاعتراف الدولي بإسرائيل كدولة لليهود ودعم عمليات تجميعهم من شتى أنحاء العالم، وخصوصاً من الاتحاد السوفيتي، لاستيطان الضفة الغربية وغزة، وتكملة المشروع الصهيوني الممتد من الفرات إلى النيل تحقيقاً للنبوءات التوراتية.

2ـ مطالبة جميع الدول والمؤسسات الدولية والحكومية والخاصة، فتح أبوابها كاملة لمشاركة الإسرائيليين، وعلى الدول الصديقة الانسحاب من هذه التجمعات إذا ما طردت منها إسرائيل.

3. مطالبة جميع الأمم بنقل سفاراتها للقدس والاعتراف بها عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل.

4. تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين . يسميهم المؤتمر اللاجئون من إسرائيل . في الوطن العربي، وتوفير العدالة للاجئين اليهود العرب في إسرائيل.

5. دعم الاقتصاد الإسرائيلي ومساندته، ومطالبة العالم برفض أنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل، وإدانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود. وأيضاً إنشاء صندوق استثمار مسيحي دولي لهذه الغاية، مقره في أمستردام، وبرأسمال مبدئي قدره مائة مليون دولار، ويخصص للصناعات التقنية والسياحية في إسرائيل، ومطالبة الدول الصديقة بالامتناع عن تسليح العرب، بما فيهم مصر .

6ـ تعبئة الكنائس لنصرة إسرائيل، ومطالبة مجلس الكنائس العالمي بالاعتراف بالرابط التوراتي بين الشعب اليهودي وأرضه الموعودة ودولته إسرائيل، والصلاة انتظارا للمجيء الثاني للمسيح ومملكته القادمة في القدس"(الحسن، 2000، ص134.135 بتصرف).

وكرد على هذا البيان الذي صدر عن السفارة المسيحية الدولية، أصدر مجلس كنائس الشرق الأوسط بياناً، جاء فيه: " لما كنا نعي المسؤوليات الملقاة على عواتقنا حيال الطوائف المسيحية والرأي العام العالمي، فإننا نؤكد أن لهذا الاجتماع صفة سياسية مفضوحة، على الرغم من الإشارات الدينية الكثيرة. إننا ندين استغلال التوراة واستثمار المشاعر الدينية في محاولة؛ لإضفاء صبغة قدسية على إنشاء دولة، ولدمغ سياسة إحدى الحكومات بدمغة شرعية" (السماك، 2003، ص162).

7.3.4 القول مقرون بالعمل

لا يجب أن نعتقد أن التيار الديني المسيحي في أمريكا، يكتفي فقط بإلقاء الخطب الرنانة وتوقيع بيانات التأييد لإسرائيل، "بل إنه يمارس ضغوطاً هائلة على صناع القرار في أمريكا من أجل دعم أكبر لإسرائيل، ويكون حاضراً في أي نقاش، أو أي قضية تكون إسرائيل طرفاً فيها، سواء في الصحافة أو الإذاعة والتلفزيون، وحتى في قاعات الكونغرس، والاجتماعات الشعبية، فكانت النتيجة أن أصبح الكلام بحرية عن الشرق الأوسط وسياسة أمريكا في المنطقة، مقيداً حتى قبل أن يبدأ" (فندلى، 1985، ص

393). وقد نجح هذا التيار المسيحي الأصولي في الحصول على ما يريد في أغلب الأحيان، بسبب تنظيمه وتوحيد جهوده من خلال منظمات وجمعيات منتشرة في طول وعرض أمريكا، يزيد عددها على أكثر من 250 منظمة وجمعية، من أبرزها: منظمة الأغلبية الأخلاقية ومؤسسات روبرتسون الإعلامية، ومؤسسة السفارة المسيحية الدولية، ومؤسسة المعبد، وجماعة حق الدين وغيرها الكثير. وتقوم هذه الجمعيات والمنظمات بإحياء وتنظيم مناسبات عديدة تضامناً مع إسرائيل، مثل يوم الاعتراف بإسرائيل، وسبت التضامن مع إسرائيل، وحفلات الفطور تكريماً لإسرائيل، التي أصبحت حدثاً سنوياً تقوم بتنظيمها جماعة المائدة المستديرة. وفى إحدى الاحتفالات أصدرت لجنة صلاة الفطور، بيانها الخاص لمباركة إسرائيل، باسم ما يزيد عن خمسين مليون مسيحي يؤمنون بالتوراة في أمريكا.

وتضمن البيان خليطاً عجيباً من النقاط الدينية والسياسية والعسكرية، تشمل ما يلي: "دعوة للتعاون الإستراتيجي مع إسرائيل، يعقبها نداء إلى إله إسرائيل الذي أعطى العالم عبر الشعب اليهودي الكتب السماوية .... مختارات من الكتاب المقدس تؤكد حق اليهود الإلهي في الأرض .. ثم دعوة لنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، مشفوعة بوصية تقول: إن حدود الأرض المقدسة التي رسمها الكتاب المقدس، لا يمكن أن تغيرها رمال المقتضيات السياسية والاقتصادية المتحركة" (فندلى، 1985، ص 400).

8.3.4 قرارات السفارة المسيحية الدولية وتنفيذها على أرض الواقع :

لو تأملنا القرارات السابقة التي اتخذتها السفارة المسيحية الدولية في عام 1985، والبيانات والمطالب التي طرحتها الحركة الأصولية الأمريكية خلال تلك الفترة، فإننا سنجد أن كثيراً منها تحقق على أرض الواقع بطرق مختلفة، وبالذات في عهد الرئيس بوش (الأب)، والتي يمكن إجمالها بالآتي:

1ـ فتح أبواب الهجرة اليهودية على مصراعيها من الاتحاد السوفيتي السابق، ودول أوروبا الشرقية وأثيوبيا، إلى إسرائيل، مع استمرار المساعي الأمريكية مع سوريا واليمن وغيرها من الدول.

2. ازدياد الاعتراف الدولي بإسرائيل، حيث انضمت دول مثل الاتحاد السوفيتي السابق، والصين، ودول أوروبا الشرقية، وكثير من الدول الأفريقية، إلى قائمة الدول المعترفة بإسرائيل.

3. على صعيد تشجيع التعاون الدولي مع إسرائيل، قامت كثير من الدول وبضغط مباشر من أمريكا، بإلغاء العمل بقوانين المقاطعة العربية، كما تم إلغاء قرار الجمعية العامة الذي يساوى بين الصهيونية والعنصرية، وكل ذلك من أجل فتح آفاق جديدة أمام التعاون الدولي مع إسرائيل.

4ـ دعم الاقتصاد الإسرائيلي بطرق كثيرة، تمثلت بموافقة الرئيس بوش الأب على منح إسرائيل ضمانات قروض بقيمة 10 مليار دولار أمريكي.

5. امتناع أمريكا عن تسليح الدول العربية بأي أسلحة يمكن أن تشكل خطراً على إسرائيل، وممارسة الضغوط من أجل منعها من الحصول على أي أسلحة من مصادر أخرى، وحتى في اللحظة التي تمكنت دولة عربية، وهى العراق، من تكوين قوة عسكرية كبيرة تهدد إسرائيل، قامت أمريكا بالتعاون مع أعوانها العرب بافتعال أزمة مع العراق، وجرته إلى حرب قضت على قوته العسكرية.

6ـ وفى مجال تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين في الدول العربية، فقد انبثقت عن مؤتمر مدريد للسلام، لجنة خاصة لبحث قضية اللاجئين في إطار المباحثات المتعددة الأطراف، وليس في إطار المباحثات الثنائية، وهذا يؤكد أن هدف هذه اللجنة هو حل مشكلة اللاجئين عن طريق توطينهم في الدول العربية المضيفة لهم، وليس في الأراضي العربية المحتلة؛ ولهذا رفضت إسرائيل طرح حق العودة في هذه المفاوضات، كما أنها رفضت مشاركة فلسطيني الشتات في المفاوضات الثنائية.

7ـ وبالنسبة لقضية القدس، فإنه لم يكن مصادفة أن يعلن وليم دوكاكيس المرشح السابق للرئاسة الأمريكية، والرئيس السابق (بل كلينتون)، خلال حملاتهم الانتخابية، عن عزمهما نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، والاعتراف بها كعاصمة أبدية لإسرائيل (كلينتون و جور، 1992، ص135). وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على الرغبة الأمريكية الأكيدة بالاعتراف بالقدس كعاصمة لإسرائيل، ولكن الظروف الدولية والعربية لم تسمح لأمريكا باتخاذ هذه الخطوة في السابق، ولهذا لجأت أمريكا وإسرائيل إلى تحقيق هذا الهدف على مراحل، كما حدث في مؤتمر مدريد للسلام، عندما تم استبعاد سكان القدس من المشاركة في مفاوضات السلام، وتم أيضاً استبعاد طرح قضية القدس في إطار المفاوضات، بحجة أنه سيتم بحث هذه القضية بعد المرحلة الانتقالية، وفى إطار الحل النهائي.

هذا التطابق بين التوصيات والقرارات التي اتخذها التيار المسيحي الأصولي في أمريكا؛ لدعم إسرائيل، وبين ما تم ويتم إنجازه على أرض الواقع، إن دل على شيء فإنما يدل على قوة هذا التيار من ناحية، وعلى تبنى صانعي القرار في أمريكا لمطالب هذا التيار . باعتبارهم جزءاً منه . من ناحية أخرى. والنقطة الأهم في كل ما سبق هو أن هذا النفوذ الذي يمارسه أتباع الصهيونية المسيحية، هو الجدير بالاعتبار وليس اللوبي الصهيوني والصوت الانتخابي اليهودي وغيرها من التبريرات المختلفة، هذا إلا إذا اعتبرنا أنّ

اللوبي الصهيوني بمعناه الجديد هو نفسه التيار المسيحي الأصولي وأتباعه في كل مكان وعلى كافة المستويات، والتي تشمل الإنسان العادي وصانع القرار.

4.4 المبحث الثالث: الأصولية المسيحية والنظام الدولي الجديد وإسرائيل

ربما يستغرب بعضهم هذا الربط بين الأصولية المسيحية، والنظام الدولي الجديد وإسرائيل، على اعتبار أن مصطلح النظام الدولي الجديد، هو مصطلح سياسي جاء ليعبر عن موازين القوى في العالم، بعد انهيار المعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي، الذي أفسح المجال أمام التفرد الأمريكي على الساحة الدولية، وتحول العالم إلى نظام أحادي القطبية بزعامة أمريكا؛ مما أتاح لها المجال لفرض سياساتها وهيمنتها على العالم. وربما سيزول الاستغراب اذا وجدنا أن هذا المصطلح له جذور عميقة في الفكر الأصولي الأمريكي، حيث "تتضمن البروتستانتية عموماً إيماناً بالمواجهة الأساسية بين الخير والشر والصواب والخطأ" (هنتنجتون، 2009، ص109)؛ فعندما تأسست الأمة الجديدة، رأى الأمريكيون في أنفسهم منارة هدى للعالم حيث رفع الشعور بكونهم أمة مختارة، أو إسرائيل جديدة، إحساسهم بالرسالة أو المصير الواضح، بأنهم سيصبحون قوة يعبر نفوذها القارات، بفضل تفوقهم الأخلاقي المفترض. ونظر إلى الأمه نفسها على أنها تجربة لإقامة نظام جديد للعصور كما هو معبر عنها كشعار في ورقة الدولار الواحد. (مارسدن، 2001، ص70)، وهناك جملتان اختارهما الآباء المؤسسون للجمهورية وهي تلخص هذا الإحساس بالرسالة (أن الله يبتسم وهو يرى إنجازاتنا) وجملة (النظام الجديد للعصور) (هنتنجتون، 2009، ص151).

وفي القرن العشرين عندما أصبح الأمريكيون قوة عالمية، كان الاعتماد على مثل الأمة المختارة الأعلى، أساساً منطقياً ومبرراً هاماً في السياسة الأمريكية الخارجية، من أجل التسريع بظهورالنظام الدولي الجديد أو بالتعبير التوراتي (العصر الألفي السعيد) الذي كان التطلع إليه عميق الجذور في الفكر الأمريكي، وليس كما يعتقد بعضهم، بأنه برز بانهيار المعسكر الشرقي، أو أنه من بنات أفكار السياسيين المعاصرين. فقد أكد الأصوليون المسيحيون بإستمرار على قرب نهاية الزمان، وعلى اقتراب المجيء الثاني للمسيح"(بلاكر، 2005، ص71)، وكان لفكرة نظام جديد للعصور نتائج مثيره بالنسبة للمستقبل. فقد تحدث الكتاب المقدس عن عصر ألفي، أو حكم للمسيح يمتد ألف عام على أنه تتويج للتاريخ البشري على الأرض. (مارسدن، 2001، ص71). وخلال الحرب الأهلية، كانت المقالة الشائعة بين البروتستانت في الشمال، تعادل بصورة مفروغ منها، بين نجاح الاتحاد، وبزوغ فجر عصر جديد، أو ألفية حكم

المسيح. وكانت أنشودة معركة الجمهورية[2] تتمتع بشعبية؛ لأنها طبقت الرموز التوراتية الشائعة على قضية الاتحاد الشمالي. أما بالنسبة لأولئك الذين حملوا هذا التشبيه على محمل الجد، فكانت هذه الألفية فترة تتوج مسيرة تقدم الإنسانية، حيث سيحكم المسيح العالم، من مقره في القدس،بعد قيام إسرائيل وعودة اليهود إليها، ويغير مسار الحضارة، ويحدث تقدما روحياً يحقق جميع أحلام الإنسانية، حيث سيشهد العصر المقبل نهاية للحروب، والرق، والعنف، والرذائل كالزنا، ومعاقرة الخمر، وسيحمل معه قفزات عظيمة إلى الأمام في العلم والتكنولوجيا والمعرفة الإنسانية، وتحقيق الديمقراطية، بما تحمله من وعود بالحرية والعدالة للجميع (مارسدن، 2001، ص15). وخلال الحرب استخدم كلٌ من الشمال والجنوب، ومؤيدو الاتحاد والكنفدرالية، وملاك العبيد ومؤيدو تحريرهم، الفكر الديني دعماً لمواقفهم من الحرب. فقد اعتبر "هوريس بوشنل" الحرب تطهيراً للأمه وتوقية لتجانسها، مقارناً إياها بتضحية المسيح وآلامه تكفيراً عن أخطاء البشر. ويعتقد ابراهام لنكولن، أن الحرب كانت بمثابة محنه لاختبار الهدف الأخلاقي للأمة، وأنها تؤدي لميلاد جديد للحرية (كوربيت، 2002، ص126).

"فإذا أريد للولايات المتحدة تحقيق مصيرها كقائدة في هذه المهمة، فإن عليها استئصال كبائر مثل: الرق للبرهنة على قدرة الأمة المكرسة نفسها للحرية والعدالة على الاحتمال والصمود؛ ولذلك عندما تشكلت الأمة الجديدة تقبل الأمريكيون بسرعة حديث الميثاق المتعلق بالحصول على مباركة الله أو التعرض لخطر أحكامه. وقد أحب الأمريكيون النظر إلى أنفسهم على أنهم حملة رسالة خاصة وتحدثوا فوراً، بصورة تكاد تماثل ما كان البيوريتان قد تحدثوا به، عن الولايات المتحدة بوصفها إسرائيل الجديدة، اختارها الله؛ لتقوم بدور قيادي في حقبة جديدة من افتداء العالم" (مارسدن، 2001، ص 26).

1.4.4 النظام الدولي الجديد .. والنظرية الكونية للتاريخ

نشر بعض الوعاظ أثناء (اليقظة الكبرى) فكرة تقول: إن الكرة الأرضية كانت تقترب من فجر عصر جديد، حيث تحدث الكتاب المقدس عن عصر ألفي من حكم المسيح. ومع أواسط القرن الثامن عشر كان أكثر التفسيرات شيوعاً يقدمه الإحيائيون الأمريكيون لهذه النبوءة، وهو أنها تنبأت بصورة رمزية بالعصر النهائي في التاريخ، الذي سيأتي فيه روح المسيح أو الروح القدس؛ لتحكم في العالم. وفي فترة اليقظة الكبرى ربط إدواردز آمال العصر الألفي السعيد بالقومية الأمريكية، التي بدأت تنمو. وعلى الرغم من أنه آمن بأن المجتمع الإنساني مجتمع فاسد، إلا أنه آمن أيضاً بأنه من الممكن من خلال المجتمع المدني أن

(2) تقول أنشودة الجمهورية : وسط روعة الزنبق ولد المسيح على البحر، يحمل في صدره بهاء يغير من شكلك وشكلي نحو الأكثر روعة : وكما مات هو لإضفاء القداسة على البشر، فلنمت نحن؛ لتحريرهم، بينما يسير الله قدماً. "جوليا وارد هاو (أنشودة الجمهورية – 1861) (مارسدن،2001 ، ص 15)

تتحقق مملكة الرب على الأرض" (كوربت، 2002، ص58). وقد نظر إلى اليقظة نفسها على أنها بداية هذا العصر، الذي سيشهد اتباع الناس بأعداد كبيرة للإنجيل. وكان من المحتم أن تتخذ هذه النبوءات دلالات سياسية. وحسب ما ورد في النص المقدس، فإنه لابد من يهزم المسيح الدجال كشرط لمجيء الألفية" (مارسدن، 2001، ص50).

وحسب ما درجت عليه العقيدة البروتستانتية، فإن الدجال يعني البابا؛ ولذلك فإن أية هزيمة سياسية للبلدان الكاثوليكية، كانت خطوة نحو بزوغ فجر الألفية وفق نطاق المنشقين الأمريكيين. وتتوافق الحروب الفرنسية والهندية للأعوام 1763.1756م مع هذا التصور بدقة. فعلى سبيل المثال، وصف (صموئيل ديفيس) الإنجيلي المشيخي، الجهود البريطانية ضد فرنسا على أنها بداية هذا الصراع الحاسم العظيم بين الحمل والوحش، وجاهر قائلاً: "إن من شأن نصر بريطاني أن يساعد في إحضار سماء جديدة، وأرض جديدة. وعندما لم يجلب انتصار سنة 1763م في ذيوله عصراً جديداً مهيباً، بل إعادة تنظيم الإمبراطورية البريطانية، استلزم ذلك بعض التمرينات البلاغية من جانب الوعاظ المنشقين لوضع إنجلترا البروتستانتية في الصف الذي يقف فيه البابا" (مارسدن، 2001، ص 50) . كما كتب (توماس بين) في عام 1775 يقول: "إن لدينا من القوة ما يمكّننا من أن نعيد بناء العالم مرة أخرى . فلم يحدث منذ عهد نوح حتى الآن، موقف مشابه لما هو عليه الحال في الحاضر، إن ميلاد عالم جديد أصبح الآن بأيدينا" (كليفلاند، 2000، ص19). وحسب العقيدة التدبيرية ومؤسسها (جون داربي) فإن سلسلة من الأحداث ستعلن الأيام الأخيرة في عالمنا. أما تلك الإشارات النذيرة فهي الحرب وظهور نظام سياسي واقتصادي عالمي جديد. وأخيراً عودة اليهود إلى الأرض المقدسة الموعودة لإبراهيم" (لانداو، 2005، ص92). وخلال الحرب العالمية الأولى نظر الأمريكيون إليها على أنها شر لابد منه وأنها الطريق الوحيد للسلام. وانشغلت المنظمات الدينية وزعماؤها بتأييد محموم لجهود الحرب؛ مما جعلها تبدو كحمله صليبية. فقد دعا الرب الأمة لدخول المعركة لإحراز النصر النهائي للحضارة المسيحية ومجد المحاربين كأبطال الحق ضد الشيطان" (كوربت، 2002، ص 127).

ومن المفارقات الغريبة أن أول إعلان عن نظام عالمي جديد، خلال القرن الماضي، صدر قبل 50 عاماً من إعلان (بوش الأول) في الكونغرس عن نظامه العالمي الجديد. فقد استخدم (أدولف هتلر) اللغة ذاتها حيث قال: أنا علي يقين تام من أن عام 1941م سيكون عاماً حاسماً في فتح الطريق أمام نظام جديد عظيم في أوروبا. سوف تكون أبواب العالم مشرعة للجميع .. ستساعد هذه السنة في توفير الأساس اللازم لتفاهم حقيقي بين شعوب الأرض، بما يضمن المصالحة بين كافة الشعوب والأمم" (زلوم، 2003،

45). وباسم نفس المسيحانية المنقذة، أعلن هتلر ألف عام من النازية المسيطرة، وكإعادة تجديد للعالم بواسطة نقاء الشعب المختار الجديد، الآريون (جارودي، 2003، ص 68). وبالطبع لم تجلب تطلعات هتلر لنظام عالمي جديد سوى الدمار والدماء لأوروبا والعالم، وانهارت أحلامه في بناء إمبراطورية عالمية يحكمها الجنس الآري، ولكن ذلك لم يمنع وجود نفس الأفكار والتطلعات على الطرف الآخر من المحيط، ممثلاً براعي البقر الأمريكي، حتى لو كان هذا النظام العالمي الجديد سيتحقق على أشلاء ملايين البشر، وأنقاض حضارات عريقة.

2.4.4 الحرب الباردة وحلم تأسيس إمبراطورية أمريكية

عندما صارت الولايات المتحدة لاعباً كونياً للمرة الأولى بعد الحرب العالمية الثانية، بدأت بإزاحة أصدقائها الأوروبيين؛ لتحل محلهم، واستخدمت قدراتها وثرواتها الطائلة من أجل ترتيب النظام الدولي بعناية ومهارة" (تشومسكي، 2004). فبعد الحرب العالمية الثانية، أتاح السلام الأمريكي الأول بناء نظام عالمي جديد، قائم على المجابهة مع الشرق، كان يراد منه أن يؤمن للولايات المتحدة موقعاً مهيمناً، إلى جانب إفساح المجال أمام أوروبا واليابان لكي تعيدا بناء نفسيهما بفضل مشروع مارشال" (مامير، 2004، ص 44). وفي تلك الفترة وبمساعدة إشعيا بومان . الذي قاد مجموعة دراسات الحرب والسلام، التي أسست لولادة نظام ما بعد الحرب العالمية الثانية . أسس (روبرت ستروز) في عام 1955م معهد بحوث السياسة الخارجية، الذي قام عام 1957م بإصدار نشرة فصلية باسم (أوربز)، تخصصت في الشؤون الدولية، حيث كانت المهمة المعلنة؛ لهذا المعهد ونشرته هي الدعوة إلي إقامة إمبراطورية أمريكية، والتخلي عن سيادة الدول والدولة القومية، خاصة في عالم ما بعد الاتحاد السوفييتي! حيث نشر في العدد الأول للمجلة عام 1957م مقاله، عنوانها: "موازين الغد" جاء فيها:

> "إن مهمة الولايات المتحدة هي توحيد العالم بأكمله تحت قيادتها خلال هذا الجيل. أما سرعة وكفاءة تحقيق الولايات المتحدة لهذا الهدف فسوف يقرر مصير الحضارة الغربية، وبالتالي المصير البشري... فهل سيكون النظام العالمي الجديد القادم هو إمبراطورية عالمية أمريكية..؟ يجب أن يكون الأمر كذلك لدرجة أن تحمل الإمبراطورية العالمية تلك دمغة الروح الأمريكية. أما التهديد لهذه الإمبراطورية الأمريكية فسيأتي من آسيا. أما الإمبراطورية الأمريكية والجنس البشري فلن يكونا متضادين، بل هما اسمان لشيء واحد هو النظام العالمي الجديد" (زلوم، 2003، ص43).

ولكن هذا النظام الدولي الجديد، الذي عملت أمريكا على تأسيسه، لم يتحقق بسبب ظهور الاتحاد السوفيتي كقوة عالمية بعد الحرب العالمية الثانية، والذي شكل معضلة كبيرة في وجه دعاة تأسيس النظام

العالمي الجديد، حيث توجهت جهودهم لمواجهة هذا الخطر من خلال تضخيم حجمه. "فطوال 70 عاماً، أقنعت الولايات المتحدة جزءاً كبيراً من العالم بأنّ هناك مؤامرة دولية تتربص به، مؤامرة شيوعية دولية، تسعى على أقل تقدير للسيطرة على الكوكب برمته، وجعلت العالم يعتقد أنه يحتاج إلى الولايات المتحدة بطريقة ما لإنقاذه من غياهب الظلمة الشيوعية" (بلوم، 2002، ص 24). ولهذا نشطت هذه القوى في بداية الحرب الباردة، حيث "كانت السياسة الخارجية الأمريكية يجري تنفيذها تحت العلم الخفاق لخوض حرب صليبية أخلاقية ضد ما أقنع به محاربو الحرب الباردة الشعب الأمريكي، ومعظم العالم وأنفسهم عادة، وهو وجود مؤامرة شيوعية دولية حقود، ولكن ذلك كان خداعاً دائماً، فلم يكن هناك مطلقاً ذلك الوحش المسمى بالمؤامرة الشيوعية الدولية" (بلوم، 2002، ص 44).

"ولكن تركيبة قوي اليمين المتطرف، شنت حرباً علي جبهتين ضد الشيوعية، حيث كانت أولي هاتين الجبهتين ما عرف باسم المكارثية، نسبة إلي السيناتور (جوزيف مكارثي)، والذي أذكى شرارة العنف السياسي ؛ ليصل ذروته من خلال مزاعم لا أساس لها من الصحة ، حول وجود الحمر، في إشارة إلي الشيوعيين، في كل الوزارات والدوائر الحكومية. وقد كشف (ويليام سوليفان) عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI، إن الـFBI هو الذي كان يغذّي مكارثي ويزوده بالمعلومات" (زلوم، 2003).

أما الذراع الثاني للحملة ضد الشيوعية ، فكان بروز التعصب المسيحي الذي داعب تلك المشاعر المناهضة للشيوعية. وقد ساهم هذا المد الديني في إذكاء الحرب ضد الشيوعية، وإطلاق قوة أمريكا لتدير حملة صليبية قوية ضد الشيوعيين الكفار" (أولدفيد، 2003، 31 آب) حيث وصلت هذه الحملة ذروتها في عهد ريغان و بوش الأب. ولم يكن غريباً أن يتم إعادة نشر مقالة (اوريز)، والتي كتبت قبل 35 ، مره أخرى في شتاء 1992م، في إشارة واضحة للاقتراب من تحقيق هدف تأسيس نظام عالمي جديد، حيث تم تفكيك الاتحاد السوفيتي من ناحية، وتدمير العراق اكبر قوه عربية تهدد إسرائيل، من ناحية أخرى، ولتبدأ بعدها مباشرة خطة القضاء على الإسلام ومحاربته في كل مكان كما نعيشها الآن، وبتحريض مسعور من دعاة صراع الحضارات، ورموز اليمين المسيحي المتطرف، الذين زاد هوسهم الديني. فعندما انهار الاتحاد السوفيتي.. انطلق المخططون الإمبرياليون في واشنطن فوراً إلى العمل: العمل على وضع إستراتيجية إمبريالية للقرن الحادي والعشرين" (لانداو، 2005، ص199)

3.4.4 النظام الدولي الجديد .. نهاية التاريخ .. وصراع الحضارات

في الفتره مابين ظهور حركة الإصلاح الديني وحتى الآن، شهد العالم حروباً كثيره، لعبت فيها الدول البروتستانتية الانجلوسكسونية الدور الرئيس، حيث سيطر الغرب خلالها علي مقدرات العالم، وشكلت

الدول القومية نظاماً عالمياً متعدد الأقطاب ضمن الحضارة الغربية، وقامت تلك الدول بالتنافس والصراع، وشن الحروب، والتوسع واستعمار حضارات أخرى ونهبها. وأهم ما تحقق خلال هذه الفترة هو القضاء على نفوذ الدول الكاثوليكية والأرثوذكسية، وسيادة البروتستانت الأنجلوسكسون في بريطانيا وأمريكا العالم. فمصير العالم كما يعتقد (جوزياسترونغ) يجب أن "يقع في أيدي الجنس الأنجلوسكسوني" (مارسدن، 2001، ص 126). وبعد أن تمكنت أمريكا من القضاء على نفوذ الدول الكاثوليكية ابتداء من حروبها في أمريكا اللاتينية وانتهاءً بالحربين العالميتين، ثم قضائها على المعسكر الشرقي، التي تمثل دوله الكنيسة الأرثوذكسية، اقترب الحلم الأمريكي من التحقق وأصبح النظام العالمي الجديد هو تحقيق لإمبراطورية أمريكية عالمية، تعمّها المثل والقيم الأمريكية. ولم يعد أمامه إلا الإسلام.

فمع الغياب المفاجئ لكل تهديد لأمن الولايات المتحدة، ومع اندفاع الجزء الأكبر من العالم نحو تبني السياسة الديمقراطية ورأسمالية السوق جنباً إلى جنب مع التجارة الحرة، كما لو لم يبق شئ جدير يمكن أن يكون موضوع جدل. في نهاية التاريخ بشر فرانسيس فوكوياما بحقبة جديدة سيمهد فيها احتضان وتبني حملة القيم والأنظمة الأمريكية الكونية، أو الغربية بشكل أوسع، طريق ترسيخ الازدهار والسلم العالميين" (برستوفتز، 2003، ص47). فقد شهدت الأعوام الأخيرة من الألفية الثانية عرضاً ضخماً وحماسياً مصحوباً بتهليل مخيف لقيادة عالم جديد مثالي عاكف على وضع حد نهائي للبربرية، ومنذور لخدمة المبادئ والقيم لأول مرة في التاريخ. عصر من التنوير والبر تتصرف فيه الأمم المتمدنة تحت قيادة الولايات المتحدة بروح الغيرية والحمية الخلقية في التماسها المثل العليا.

ولكن نهاية التاريخ كما بشر بها فوكوياما، لم ترق لليمين المتطرف لأنها أغفلت البعد المهم في نهاية التاريخ والأزمنة، والتي يجب أن تشهد حروب آخر الزمان، تمهيداً لعودة المسيح، وخوضه المعركة النهائية بين الخير والشر، ليدشن مملكته في القدس، التي تدوم ألف عام. والتى تعنى أن نهاية التاريخ لن تتم إلا بعد تحقيق النبوءات الصهيونية بكاملها، والتي لازال العرب والمسلمون يقفون حائلاً دون تحقيقها. من هنا تقدم هنجتون بنظريته حول صراع الحضارات، وكان لابد من اختراع العدو الإسلامي، وشن الحروب عليه لإخراج الجزء الأخير من المشهد.

4.4.4 الإسلام عدو بديل

وجد الغرب نفسه بعد سقوط الاتحاد السوفيتي أمام فراغ كبير، أصبحت معه خلافاته وصراعاته الداخلية من دون سقف رادع. و "وجدت الولايات المتحدة الأميركية نفسها فجأة دولة، بل معسكراً وترسانة

من الأسلحة، بل تحالفاً دولياً بنى سياسته واقتصاده وإستراتيجيته، وثقافته، ورؤاه المستقبلية على أساس أنه يواجه عدواً يتربص به، فإذا بالعدو ينسحب بل يختفي" (عماد، 2003، ص 92)، ومن هنا جاءت نظرية وجوب اختراع عدو بديل، حيث وجد المنظرون الإستراتيجيون في الإسلام ضالتهم، وتم صياغة صورة العدو البديل على المستوى الفكري، كما كان مع نظريتي (نهاية التاريخ) لفوكوياما، و(صدام الحضارات) لهنتينجتون، لان الولايات المتحدة تحتاج لعدو توجه ضده المدافع الإعلامية والسياسية والعسكرية. فهذه الآلة الضخمة يجب أن تشتغل وتنتج وإلا أصابها التآكل، لا بد لها من عدو يجسد (الشر)، فإذا لم يكن موجوداً يفقد (الخير المفترض) مبرر وجوده. لذلك ولو لم يكن هذا العدو موجوداً لوجب اختراعه. سقوط الاتحاد السوفيتي كاد يحرمها من هذه المعادلة، لكنها سرعان ما أعادت إنتاج مقولة (إمبراطورية الشر) بتعديلها لتصبح (محور الشر). فقد تغيرت التركيبة العالمية، وإن لم تستقر بعد إلا أنها استهدفت إيجاد عدو بديل. وكانت حرب الخليج التي خاضها بوش الأب بمثابة الإعلان عن ولادة قيام نظام عالمي جديد، وموت النظام العالمي القديم، وبالتالي موت كل التوازنات والاتفاقات، التي كانت ترسم حدود العالم في ذلك الحين. سقط النظام القديم، وسقطت كل الضوابط والكوابح التي كان يقوم عليها.

"فإذا صدقنا ما تحدث عنه (هنتنجتون) وأسماه صدام الحضارات، نجد أنه لو اندلعت حرب عالمية ثالثه فستصبح حرباً من نوع جديد هكذا قال (هنتنجتون)، فلن يكون سببها نزاعاً (أوروبياً – أوروبياً)؛ ولكنها ستكون مواجهه بين الحضارات، بين المركز (وهو الغرب)، وبين الأطراف (أو المستعمرات القديمة). بل إن (هنتنجتون) يعطى أيضاً كلاً من المجموعتين صبغة دينية: إذاً سيكون الصدام بين حضارة (يهودية مسيحية) وأخرى (إسلامية كونفوشيوسيه). فالولايات المتحدة في خطتها للسيطرة على العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، عينت (العدو البديل أو الشيطان) الذي يجب القضاء عليه، وهو الإسلام وحلفاؤه المحتملون، فيما يسمى بالعالم الثالث" (جارودي، 2002، ص26).

ولهذا بدأ البحث في أوائل التسعينيات والتركيز على (الأصولية)، وبعدها بفترة بدأ التركيز على ربط الإسلام والمسلمين والعرب بـ (الإرهاب)، حيث ترسخ هذا المفهوم في أذهان معظم الأميركيين بعد التفجير في مركز التجارة العالمي عام 1993م، "وحينها صب الحاقدون وقود كراهيتهم على النار المستعرة، وبدأ الحديث عن شبكة عالمية فائقة التنظيم، ومكونة من مجموعات الإرهاب الإسلامي، ومتربصة للانقضاض داخل الولايات المتحدة" (عماد، 2003، ص48). فالعقل الأوروبي كما يقول الجابري: "لا يعرف الإثبات إلا من خلال النفي، وبالتالي لا يتعرف إلى (الأنا) إلا من خلال (الآخر). ومن هنا فهو لا يستطيع التفكير في المستقبل إلا من خلال (سيناريوهات) يرسم فيها لنفسه (الآخر).. العدو المنتظر" (الجابري، 1997).

من هنا تلقف الفكر الأمريكي أسطورة "نهاية العالم "وعودة مسيح آخر الزمان، ونهض؛ "ليبررها "وينتهي إلى تبني منطقها بعد أن جعل منها مطية لوضع إستراتيجية أمريكية عالمية؛ ذلك أننا حينما نتصفح البعد الإيديولوجي لكاتب فرانسيس فوكوياما الصادر سنة 1992 (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) نسترجع في الحقيقة نفس المفهوم الديني الذي كرسته المسيحية اليهودية حول نهاية العالم وعودة المسيح، وكأن هذا المسيح العائد هو بعينه ذلك (الإنسان الأخير) الذي بشر به فوكوياما. ثم إذا كانت العقيدة الألفية في المسيحية اليهودية المكرسة لنهاية التاريخ مشروطة بحرب (هرمجدون) الكبرى وسحق قوى الشر، فإن موضوع كتاب صوميل هانتجتون صدام الحضارات :إعادة تشكيل النظام العالمي، ليس هو الآخر إلا تعبيراً ليبرالياً عصرياً عن تلك الحرب التي تنذر بها العقيدة الألفية بل إن برنار لويس اختزل ذلك الصدام فجعله بالذات صداماً أو حرباً دينية بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي (هلال، 2001، ص248)

ومن خلال مقارنة ما طرحه هنتجتون في كتابه (صراع الحضارات)، وكتابه الجديد (من نحن؟ تحديات الهوية الأمريكية)، يتضح لنا أن أهم ما يعنى هنتجتون هو ابقاء الاسلام كعدو اساسي لأمريكا، وتفعيل دور الدين المسيحي (بشقه البروتستانتى) في الحياة العامه، اى زيادة نفوذ التيار المسيحي الاصولي الذي يتطلع إلى تحقيق الخرافات والنبوءات التوراتية. ولهذا فإن (د. زكاء الله) كان محقاً في كتابه (الصليب والهلال) عندما فند مقولة صدام الحضارات، وبين الترابط بينها وبين الرؤية التي يتوقعها سفر الرؤيا لنهاية العالم، التي تقول بقيام معركة هرمجدون التي ستدوم ثلاث سنوات ونصف السنة، وتبدأ بسبب العرب حسب أحد التفسيرات المتداولة؛ ليقيم بعدها المسيح دولة الرب. وقد تطورت أشكال التفسيرات والتصورات لرؤية المعركة الأخيرة، لتتبلور في النهاية في مقولة صدام الحضارات التي خرج بها صموئيل هنتنغتون، دون أن يستطيع الخروج من الرؤيا الكارثية، التي صورتها العقيدة المسيحية عندما بشرت بحرب ضروس تبدأ بسبب العالم العربي (انظر: زكاء الله.، 2004)

"وإذا كان المنظران الأمريكان فوكوياما وهانتجتون ينتهيان إلى التأكيد بأن الذي سيظفر بالبقاء في "نهاية التاريخ "وبعد صراع حضاري دموي إنما بالتحديد أمريكا ومعها الغرب المسيحي المتحضر، أو ليست تلك هي الدعوى القديمة للمسيحية اليهودية، بأنه عند عودة الميسح ونهاية العالم لن يبق خيار لا لليهود ولا بالأولى للمسلمين ولا لغيرهم سوى التحول إلى دين المسيح الذي يعود ليدبر مملكته الكونية وليقيم "نظاماً إلهياً، عالمياً" (هلال، 2001، ص258)

وهكذا فإن نظرية صراع الحضارات التى قال بها هنتجتون، تؤكد بإيجاز على أن الغرب وأمريكا بالذات، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بحاجة ماسة إلى عدو جديد يوحد دوله وشعوبه (سعدي، 2006، ص 184)، وأن الحرب لن تتوقف حتى لو سكت السلاح وأبرمت المعاهدات، ذلك أن حرباً حضارية قادمة ستستمر بين المعسكر الغربي الذي تتزعمه أمريكا، وبين طرف آخر قد يكون عالم الإسلام أو

الصين. "أما نظرية نهاية التاريخ (لفوكوياما) فتسعى إلى إلغاء البعد التاريخي، ووضع الأمم والجماعات كافه عراة قبالة الصنميه الاقتصادية التي تنزع إلى تسوية الجميع إزاء مطالبها. إنها بشكل من الأشكال مناورة فكريه تمنح خلفيات تنظيريه لممارسات تتجاوز ابتداءً منظومة القيم الخلقية وثوابت العقائد والأديان والمطالب الاساسيه للإنسان، ومن وراء هذه المناورة تكمن الخبرة الصليبية واليهودية والاستعمارية والرأسمالية" (خليل، 2003، ص114)

ولا شك أن إيديولوجية كهذه لا بد أن تعتبر الإسلام عقبة كأداء لا بد من إزالتها من الطريق ولا سبيل للحوار معها، بل حتى المذاهب المسيحية الأرثوذكسية ملزمة بالتحول إلى ما تعتقده تلك الإيديولوجية، إن هي أرادت النجاة من (الحرب الأخيرة) قبيل عودة المسيح..! "فأسطورة (نهاية العالم) هذه وعودة المسيح آخر الزمان كما يروج لها هذا التدين السائد اليوم في أمريكا، هي التي تلقفها وألبسها لبوساً ليبرالياً كلاً من فوكوياما وهنتنجتون. ومن العجيب أن يعكس هذا الفكر الليبرالي ذلك النوع من الفكر الديني وينتهي معه إلى التبشير بمصير مأساوي للإنسانية!. فقد أجمعت الدراسات على مبلغ تدين الشعب الأمريكي، مقارنة بالشعوب الأوروبية، "وأيد الأمريكيون بشكل ساحق أن يكون للدين دور أكبر في الحياة العامة الأمريكية" (هنتنجتون، 2009، ص449).

إلا أن الحقيقة الصادمة توضح أن هذا التدين في الأغلب لا يساعد على قيام تفاهم حضاري، لأنه تدين عدواني الطابع، منغلق التفكير، إرهابي النزعة، يبشر بعالم مخيف حقا!. "فقد اعتبر بات روبرتسون، أن النظام العالمي الجديد، ليس إلا تمهيداً طبيعياً لنهاية التاريخ، ونذيراً بقرب حلوله، ومن ثم وجب أن يكون تمهيداً يقيمه العالم الغربي، ويطبعه بحضارته الأوروبية الأمريكية وبثقافته المسيحية، حتى يضمن أن تكون النهاية الكبرى للتاريخ نهاية غربية محضة، ويكون النظام الإلهي العالمي المصاحب لتلك النهاية، نظاماً مسيحياً بامتياز، كما سطر ذلك في أساطير التوراة" (هلال، 2001، ص258)

5.4 المبحث الرابع: النظام الدولي الجديد والقضية الفلسطينية

امتدت المرحلة الثالثة (1990–2000) من حرب الخليج الثانية حتى نهاية فترة الرئيس كلينتون في عام 2000، وقد اشتملت هذه الفترة من أحداث وتطورات مهمة، أهمها انهيار الكتلة الشرقية، واستفراد أمريكا بالنظام الدولي، والحرب على العراق. وعلى الصعيد الفلسطيني، انعقاد مؤتمر مدريد، ثم التوقيع على اتفاق اوسلو وإنشاء السلطة الوطنية، وبروز عقم عملية التفاوض مع الإسرائيليين، وانطلاق انتفاضة الأقصى، وظهور حماس على الساحة الفلسطينية. وأخذت كثير من المبادرات الأمريكية في هذه المرحلة طابع المشاريع البحثية والأكاديمية، التى كانت انعكاساً للمقاربات والمواقف الإسرائيلية. وبقيت المقترحات

الأمريكية بخصوص اللاجئين تتراوح بين الخيارات الأمريكية المعهودة، وهي التعويض والتوطين وإعادة التأهيل والعودة المحدودة جداً إلى فلسطين عام 1948.

1.5.4 بوش الأب وولادة النظام الدولي الجديد

مع سقوط الاتحاد السوفييتي وانهياره في نهاية عقد الثمانينات، أصبح النظام العالمي الذي ساد إبان الحرب الباردة طي النسيان، ومجرد تاريخ فقط، حيث حلّ محله النظام العالمي الجديد، الذي كانت أولى أولياته تحقيق الحلم الصهيوني، والسيطرة على العالم من خلال السيطرة على مصادر النفط في المنطقة العربية. وإذا كانت السيطرة علي النفط العالمي، أولوية معلنه لليمين المتطرف، وإن تم تجميلها ببعض المزاعم كمحاربة الإرهاب، ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، فإن الهدف المتعلق بالحلم الصهيوني، ظل غائباً عن الصورة لأهداف تكتيكية. وهكذا احتلت المنطقة العربية والإسلامية مركز الثقل بالنسبة لليمين الأمريكي المتطرف، وكانت علي رأس أولويات أجندة النظام العالمي الجديد الذي صاغ إستراتيجيته الكونية على هذا الأساس. فكانت حرب الخليج الأولوية الأولي للنظام العالمي الجديد .. وكان العراق إلي جانب دول الخليج المنتجة للنفط أولي الضحايا التي قدّمت لهذا النظام الجديد.

ففي 23 آب، أغسطس 1990، أي بعد ثلاثة أسابيع من اجتياح العراق للكويت، استخدم سكاوكروفت مستشار الأمن القومي، في عهد الرئيس بوش الأب، مصطلح النظام العالمي الجديد للمرة الأولي حيث خاطب الصحافيين قائلاً: "إننا نؤمن بأننا سنقيم أركان النظام العالمي الجديد علي أنقاض العداء الأمريكي السوفييتي الذي كان قائماً. أما رئيسه بوش، فقد خاطب الكونغرس الأمريكي بعد ذلك بعدة أسابيع في 11 أيلول،سبتمبر 1990م قائلاً: لقد ابتدأت شراكة جديدة بين الدول.. إن الأزمة القائمة في الخليج الفارسي، علي خطورتها ودمويتها، تمنحنا فرصة نادرة .. من خضم هذه الأوقات العصيبة... قد يولد نظام عالمي جديد" (زلوم، 2003، ص44). وهنا يبدو الرئيس (بوش) يعيد تكرار أمنية سابقة تمناها الزعيم الصهيوني (إسرائيل زانغويل) في خطاب له في 2 كانون ثاني، ديسمبر 1917م، أي بعد صدور وعد بلفور بشهر واحد، وصف فيه المحاولات البريطانية والأمريكية، الرامية إلى إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، بقوله : "سبع حملات صليبية إلى الأرض المقدسة، عادت على اليهود بالمذابح، فهل ستؤدى الصليبية الثامنة إلى استرجاع اليهود لفلسطين؟ وإذا كانت صليبية حقة، فإن تلك الحقيقة بالذات تأتى بمثابة البرهان على النظام الجديد لعالم تسوده المحبة والعدالة" (رزوق، 1973، ص 407).

ولم ينسَ (زانغويل) في هذا الخطاب، أن يكمل صورة النظام الجديد الذي توقع ميلاده في ظل الحملة الصليبية الثامنة، حيث أشار إلى ضرورة طرد العرب من أرض فلسطين؛ ليتسنى إحلال اليهود مكانهم، لإقامة الوطن القومي اليهودي. كما تمنى في هذا الخطاب أن يكتمل هذا العمل عن طريق جعل مدينة القدس مقراً لعصبة الأمم، بدلاً من لاهاى المفلسة؛ ليتسنى جمع الحلمين العبرانيين، الأكبر والأصغر، ودمجهما في حلم واحد، ولتصبح العاصمة العبرانية . ملتقى الديانات العالمية الثلاث . مركزاً ورمزاً للعصر الجديد في الحال (رزوق، 1973، ص 407). ولكن هذا النظام العالمي الجديد الذي تمنى ولادته (زانغويل) و(بوش الأب) لم يبقَ أمامه إلا العدو الجديد، العالم الإسلامي، فكان لابد من صناعة صورة العدو الجديد .. وكان لابد من خوض حرب صليبية بين قوى الخير والشر، وبقيادة (بوش الابن) تمهيداً لبزوغ العصر الألفي السعيد، وعودة المسيح؛ ليحكم العالم من مقره في القدس.

2.5.4 آثار حرب الخليج 1991. مؤتمر مدريد

شهدت بدايات التسعينيات من القرن الماضي أحداثاً دولية وإقليمية مهمة ومحورية، ساهمت بشكل مباشر في تعميق السيطرة الأمريكية الأحادية على النظام العالمي. فهزيمة العراق في حرب الكويت وانهيار الاتحاد السوفيتي شكلا فرصة ثمينة لزيادة التفرد والأحادية الأمريكية، مما ترك انعكاسات وتداعيات على الأزمات الإقليمية، ونقاط التوتر في العالم بما فيها مسرح الصراع العربي الإسرائيلي. وقد استغلت أمريكا هذا الخلل في موازين القوى الدولية والإقليمية؛ لإحداث تغييرات هيكلية على مسار الأحداث في الشرق الأوسط" (تشومسكي، 2000 ص. 135–149)، حيث ساقت أمريكا، في ظلال الهزيمة العربية، الدول العربية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية إلي مؤتمر مدريد، وسعت إلى استثمار حالة التمزق والتشرذم العربي التي أعقبت حرب الخليج، فدعا الرئيس الأمريكي جورج بوش، بعد بضعة أيام من إجبار العراق على الانسحاب من الكويت، في آذار، مارس 1991 إلى عقد مؤتمر دولي لتسوية الصراع العربي – الإسرائيلي. وكانت الدعوة مبنية أساساً على تطبيق قرار مجلس الأمن الدولي رقم 242. وقد انعقد "مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط" في 30 تشرين أول، أكتوبر 1991 برعاية أمريكا والاتحاد السوفييتي، وبحضور أوربي شكلي. وشاركت أكثر البلاد العربية في المؤتمر.

وعلى الجانب الآخر فقد شهدت البيئة الإستراتيجية لإسرائيل تحولات جذرية وإيجابية، تمثلت في التحول البنيوي الذي ارتبط بالحرب الباردة، والذي وفر فرصاً إستراتيجية لها. فقد أدى انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي إلى دعم الموقف الإستراتيجي الإسرائيلي في المنطقة، وفي المقابل أدت تلك التحولات إلى تراجع الموقف الإستراتيجي العربي (براري، 2004، ص 15). وهذا ما يفسر كيف فرض

الكيان الصهيوني شروطه على التمثيل الفلسطيني في المؤتمر، فتمَّ استبعاد مشاركة م.ت.ف، وشارك ممثلون فلسطينيون عن الضفة والقطاع ضمن وفد أردني – فلسطيني مشترك.

وقد ابتدعت في هذا المؤتمر فكرة السير بمسارين في مشروع التسوية:- المسار الثنائي: ويشمل الأطراف العربية التي لها نزاع مباشر مع الكيان الإسرائيلي، وهي سوريا، والأردن، ولبنان، والفلسطينيين، والمسار متعدد الأطراف: الذي هدف إلى إيجاد رعاية دولية واسعة لمشروع التسوية، من خلال إشراك معظم دول العالم المؤثرة، وجميع الأطراف الإقليمية والعربية. كما هدف إلى إيجاد تحوّل في الأجواء العامة في الشرق الأوسط بحيث يصبح الكيان الإسرائيلي كياناً طبيعياً في المنطقة. ونقلت بعض القضايا الحساسة إلى هذا المسار لتخفيف العقبات من طريق المسار الثنائي، مثل قضايا اللاجئين، والمياه، والأمن والحد من التسلح، والبيئة، والاقتصاد والتعاون الإقليمي، حيث شُكّلت خمس لجان لهذه القضايا. ولكن عدم تعاون الطرف "الإسرائيلي جعل المسار متعدد الأطراف يتعثر بعد التكشف الصارخ للنوايا "الإسرائيلية"، ومقاطعة سوريا ولبنان لهذا المسار بسبب الخلاف حول قضايا عديدة، كان ابرزها الخلاف حول "ضبط التسلح" (براري، 2004، ص 18)

3.5.4 جورج بوش والولادة الثانية والنشوة المطلقة

ينحدر جورج بوش الأب من أسرة عرف عنها انتماؤها وعلاقتها الحميمة بالتيار الديني الأصولي المتطرف، وبرموزه الذين يؤمنون بحرفية النبوءات التوراتية، حيث يفتخر الرئيس بوش بأنه من المسيحيين الأصوليين المولودين ثانية، وذلك من خلال اعترافه العلني للمسيح. وقد أشار إلى تجربته الشخصية كمولود ثانية والتي تعني النجاة من معاناة اليوم الآخر الذي يسبق معركة هرمجيدون. وبالرغم مما تبدو عليه عبارة (مولود ثانية) من بساطة، إلا أنها تخفي ورائها نظرة أصولية عدمية متطرفة. فحسب سفر الرؤيا(7: 4)، آخر كتب العهد الجديد، فإن عدد الأفراد المفترض نجاتهم من كارثة هرمجدون الرهيبة، يبلغ 144000 فقط (البنا، 2004، ص111). وقد كان ذلك مصدر قلق جدي، بل بمثابة كابوس مخيف للكثير من المؤمنين، ناهيك عن كون الموضوع برمته مصدر حرج كبير للكنيسة. ولمجابهة هذه المشكلة وجد الوعاظ الأصوليون حلاً مناسباً لطمأنة جماهيرهم، يضمن إنقاذ المؤمنين المولودين ثانيه، بحيث يرتفعون لملاقاة المسيح العائد في الجو قبل حدوث كارثة هرمجدون على الأرض، وهو ما أطلقوا عليه تعبير (الرفع أو الخطف) (انظر: بلاكر، 2005، ص75).

وقد استندوا في ذلك على عبارة وردت في رسالة بولس الأولى إلى أهالي تيسالونيكي قال فيها: "لأن الرب نفسه سوف يهبط من السماء وقتما يهتف بذلك كبير الملائكة وينفخ في بوق الله. فالأموات في المسيح يقومون أولاً، من قبورهم ثم نحن الأحياء الباقون سنرتفع معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون مع الرب إلى الأبد" (4/16-17). ومن ثم فليس من مبرر لقلق المسيحيين المولودين ثانية فيما يتعلق بالنهاية الرهيبة التي سوف تحل بباقي البشرية "لذلك طمئنوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام"(4/18). فنحن على ثقة أن المسيح لن يتركنا نعاني ولو لحظة واحدة من هولوكوست محرقة يأجوج ومأجوج، بل سوف نجتمع مع المسيح في السماء قبل المحنة الكبرى "مع الذين ماتوا وهم مؤمنون بالمسيح" وسيأتي ليأخذ قديسيه، وبعد أن نقابله في الهواء سيعود هو ليقاتل في هرمجيدون ونحن في السماء، وسوف يكتوي بنار هرمجيدون كل مسيحي أو غير مسيحي لا يؤمن بأن المسيح هو المخلص والمنجى الوحيد في نهاية العالم. ويعلق أحدهم على ذلك: "شكراً لله، سوف أشاهد معركة هرمجيدون من مقاعد الشرف في الجنة، وكل أولئك المولدين ولادة ثانية سوف يشاهدونها، إنما من السماء، وتلك هي السعادة المطلقة والنشوة الكبرى" (هالسيل، 2000، ص 43).

يقول سكوفيلد صاحب العقيدة التدبيرية . متأثرا ببولس . بأنه لا أمل في هذا العالم، وإننا لا نستطيع العيش بسلام فيه .. وكان يردد بأن عالمنا سوف يصل إلى نهايته بكارثة وبدمار، وبمأساة عالمية نهائية. ولكنه كان يقول أيضا: "إن المسيحيين المخلصين (المولودون ثانية) يجب أن يرحبوا بهذه الحادثة، لأنه بمجرد ما تبدأ المعركة النهائية فإن المسيح سوف يرفعهم إلى السحاب، وأنهم ينقذون، وأنهم لن يواجهوا شيئاً من المعاناة التي تجرى تحتهم على الأرض" (السقا، 2003، ص 71).

بهذه الخزعبلات يتفاخر الرؤساء الأمريكيون، وكثير من البروتستانت، بما يسمى بالولادة الثانية، والتي يبدو أنها أصبحت كصكوك الغفران، وجواز المرور للحصول علي دعم اليمين المسيحي المتطرف الذي سعى بوش للتقرب له حتى عندما كان نائباً للرئيس ريغان، حيث "كان النجم السياسي في اجتماعات القس الإنجيلي مايك إيفانز"(مقار، 1992، ص368)، وكان مديناً بانتخابه لهذا اليمين المسيحي المتطرف، الذي يتمتع بقوة مؤسساتية هائلة في الحزب الجمهوري، ويسيطر أتباعه على أكثر من ثلث أعضاء الحزب الجمهوري، حيث قدموا الدعم للرئيس بوش لإيمانهم بأنه خير من يعبر عن أفكارهم المتطرفة، التي تصب في خدمة إسرائيل. فجورج بوش الأب يعتبر ابن التيار الأصولي في أميركا، والمنفذ لكل مخططاته ومشاريعه في فلسطين وخير دليل على ذلك أنه في سنة 1986م أقام جيري فولويل حفل غداء في مدينة واشنطن على شرف بوش، وقد أخبر فولويل ضيوفه الخمسين الذين حضروا مجاناً حفل الغداء السخي "بوش سيكون أفضل رئيس عام 1988م" (هالسيل،1998، ص 25).

وبالفعل كان جورج بوش سنة 1988م أفضل رئيس بالنسبة للصهيونيين المسيحيين في أميركا، وللصهيونيين اليهود في كل دول العالم، والأحداث التي عاشها المراقبون وتتبعوا من خلالها سياسة بوش أثبتت انه فعلاً مخلص ووفي لمن جاءوا به إلى سدة الرئاسة الأميركيه. ويكفى الرئيس بوش أنه قدم اكبر وأعظم خدمة لإسرائيل من خلال تدمير القوة العراقية، وعقد مؤتمر مدريد، وما تمخض عنه من اتفاقيات سلام وتطبيع مع إسرائيل، واعتبار السلام خياراً إستراتيجياً. يضاف إلى ذلك أن بوش نفسه كان على رأس الوفد الرسمي الأميركي إلى السودان في 1985م، الذي وقع الاتفاق الأميركي السوداني، القاضي بترحيل يهود أثيوبيا (الفلاشا) إلى إسرائيل. كما كان هو ذاته على رأس الدولة العظمى في العالم التي شنت الحرب الأميركيه والعالمية ضد العراق" (زهير الدين،1999، ص82). وكان المهندس الأساسي لحملة العقوبات. وحتى بعد مغادرته البيت الأبيض ظل بوش مصراً على الانتقام من بابل العراق والتشفي بحالها. ففي يوم 19 كانون ثاني، يناير 2000 أشاد بالطياريين الأمريكيين في قاعدة أحمد الجابر في الكويت، قائلاً: "إنهم (يقومون بعمل الرب) في مواصلتهم الإغارة بالقنابل على العراق، وأضاف معلناً: "نحن الولايات المتحدة بلد أخلاقي. وأنتم الطيارون الأمريكيون تعلنون بياناً أخلاقياً" (سيموند، 2003، ص257).

ولا أعرف أي رب هذا الذي يؤمن به بوش، الذي تسبب في إبادة جماعية لشعب العراق، إلا أن يكون (رب الجنود يهوه) الذي يتحرق شوقاً على قتل أطفال العراق: "طوبى لمن يحطم رؤوس أطفال بابل بالحجارة" (المزامير . المزمور137). هذا هو البيان الأخلاقي الذي يعنيه بوش الأب، الذي عمل بكل قوة في مسار الصهيونية وقام عملياً بما لم يقم به رئيس قبله. فقدم المساعدات المالية لإسرائيل وقال: "إن بلاده قدّمت مساعدات مالية وعسكرية بلغت 4.4مليارات دولار، وبذل 10 مليارات دولار لتوطين اليهود السوفيت في فلسطين.(أبو خضرا، ب. ت، ص 31)، وحرب الخليج وما تم فيها وما ترتب عليها، ما هي إلا نموذج من أعمال بوش الإجرامية، ثم عقد مؤتمر مدريد للسلام.

4.5.4 جهود كلينتون ورؤيته لحل الصراع

خلال فترتي رئاستة لأمريكا بدل الرئيس كلينتون جهود كبيره، من أجل استمرار تداعيات انهيار النظام الدولي والعربي، وعمل بكل قوة من أجل فرض الحل الأمريكي الإسرائيلي على الدول العربية والفلسطينيين، وأثمرت جهوده، عن عقد اتفاقية أوسلو ووادي عربة، بالإضافة إلى تطبيع علاقات إسرائيل مع كثير من الدول العربية، سراً وعلانية.

5.5.4 من غزة أريحا .. إلى اتفاقية أوسلو

مثل عقد مؤتمر مدريد للسلام في 1991 منعطفاً تاريخياً مهماً في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي. وقد مهدت هذه العملية الطريق لعقد معاهدة سلام مع الأردن وعقد اتفاقيتي أوسلو مع الفلسطينيين (براري، 2004، ص 16)، وتم التوقيع الرسمي على اتفاقية أوسلو في واشنطن في 13 أيلول، سبتمبر 1993، وهو أول اتفاق يوقعه الفلسطينيون و"الإسرائيليون" ويتم بموجبه تنفيذ تسوية سلمية، حيث قدمت قيادة م.ت.ف تنازلات كبيره حتى تحصل على اتفاق شبيه في جوهره باتفاق كامب ديفيد 1978. وهو يعكس بالتأكيد مدى الانتكاسات والتراجعات والضربات التي عانى منها مشروع تحرير فلسطين خلال الفترة 1978 – 1993. وقد أدت الاتفاقية إلى إقامة سلطة حكم ذاتي فلسطيني بدلاً من الحكم العسكري الإسرائيلي، ولفترة انتقالية مدتها 5 سنوات في أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، على أن تجري إقامتها في غزة وأريحا أولاً وعلى أساس توسيعها تباعاً طبقاً لإجراءات وتنظيمات أمنية ينفذها الجانب الفلسطيني، يقابلها إعادة انتشار القوات الإسرائيلية وتجميعها خارج المدن الفلسطينية، على أن تبدأ مفاوضات الحل النهائي وتنتهي قبل نهاية الفترة الإنتقالية.

"وقد رعى ما سموه بالوسيط النزيه تصميم أوسلو بشكل فارغ من أي محتوى قانوني يربط الحل بإنهاء الإحتلال وتحميله مسؤولية ما حدث، وبالتالي تعامل مع كل القضايا الكبرى كالانسحاب والاستيطان واللاجئين والقدس، من منظور أنها قضايا موضع نزاع لا قضية احتلال. وهكذا كانت كارثة أوسلو في نقل كل المسار، من مسار إنهاء احتلال شعب وأرض محتلة إلى مسار جديد، برعاية وتشجيع الولايات المتحدة، وهو مسار التفاوض بين طرفين متساويين، على قضايا متنازع عليها، وصارت الحقوق المعترف بها دولياً ساحة تمارين تفاوضية، تتم المقايضة بها بشكل تجاري سخيف" (عاروري، 2003)

وقد ألزمت الاتفاقية الجانب الفلسطيني بإنهاء الانتفاضة الأولى (87–1993) والمقاومة المسلحة مسبقاً، والاعتماد على التفاوض وحده في المطالبة بتحقيق أمانيه ومطالبه الأساسية. كما كرَّس الاتفاق الانفصال التام بين مسار المفاوضات الفلسطيني – "الإسرائيلي" ومسارات المفاوضات العربية الأخرى، مما أفقدها القدرة على تنسيق المواقف والعمل المشترك. يضاف إلى ذلك أن الاتفاقية أدت إلى حالة انقسام كبيرة في الصف الفلسطيني، وفتحت الباب واسعاً أمام الأنظمة العربية ودول العالم إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الكيان الإسرائيلي، وأخرج الأمم المتحدة كمظلة دولية تحكم النزاع بين الطرفين، وظلّت الولايات المتحدة تلعب دور الراعي الأكبر لعملية التسوية. وقد كان قبول منظمة التحرير لأوسلو تراجعاً حاسماً في موقف القيادة التاريخية للثورة الفلسطينية، ليس باعترافها بإسرائيل فحسب بل وأيضاً وأساساً قبول وقف الانتفاضة الأولي وإنهاء الكفاح المسلح قبل تحقيق هدفها في تحرير الأرض، بل ودون أدني

التزام سياسي من الطرفين الأمريكي والإسرائيلي بالانسحاب إلى حدود 1967 أو بغيره من المطالب الفلسطينية الأساسية، كإقامة دولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة

> وهكذا فإن عيب أوسلو المميت كما عبر عن ذلك إدوارد سعيد على الدوام، هو أنه ليس أداة لإزالة الاستعمار، ولا آلية لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، وإنما إطار يهدف إلى تغيير أساس السيطرة الإسرائيلية على الأراضي المحتلة من أجل إدامتها، وعلى هذا فإن العملية غير قادرة من الناحية البنيوية على إنتاج تسوية قابلة للحياة، أو تدوم طويلاً وستؤدي في نهاية المطاف إلى مزيد من الصراع. (زباني، 2001، ص12)

ويذكر ويليام كوانت أن الإدارة الأمريكية مارست دوراً قوياً وضاغطاً على الجانب الفلسطيني خلال جولات التفاوض بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي قبيل التوقيع على اتفاق أوسلو من أجل ضمان ترحيل القضايا المهمة إلى المرحلة النهائية، لإعطاء متسع من الوقت للإسرائيليين من أجل فرض أمر واقع على الأرض لدرجة يصبح فيه التفاوض حول هذه القضايا يميل لصالح إسرائيل" (تماري، 1996، ص 41). فالاتفاق لم يتعرض لأخطر القضايا (القدس– اللاجئين– الاستيطان) حيث تم تأجيلها إلى مرحلة المفاوضات النهائية، ولأن م.ت.ف تعهدت بعدم اللجوء إلى القوة إطلاقاً، فقد أصبح الأمر مرتبطاً بمدى "الكرم الصهيوني" الذي يملك عناصر القوة وأوراق اللعبة.

6.4.4 مذكرة واى ريفر 1998.. وكامب ديفيد 2000

نتيجه لأن العديد من بنود اتفاقية أوسلو اتسمت بالغموض، وتركت التفصيلات لمفاوضات مستقبلية، فقد أعطى ذلك فرصة كبرى للكيان الإسرائيلي (الطرف القوي في المعادلة) للتسويف والمماطلة، وفرض شروطه وطريقة فهمه للاتفاقية. ومن هنا فإن "بنية أوسلو هي التى املت طريقة تنفيذه. بعباره أخرى، الاتفاق الذي ينتهك باستمرار من دون حساب، هو أولاً وقبل كل شئ اتفاق سئ" (زباني، 2001، ص11). وكان نتيجه لذلك أن تعرضت عملية السلام الى مشاكل كبيره، عملت الإداره الأمريكية على حلها، بما يخدم المطالب الإسرائيلية. ولهذا واكب كلينتون المفاوضات الفلسطينية–الإسرائيلية تارة بصورة شخصية، وتارة من خلال إرسال مبعوثين لمتابعة التفاوض، ومارس دوراً قوياً في التوصل إلى مذكرة واي ريفر عام 1998، لتطبيق الاتفاقيات الانتقالية السابقة. "وقد واجهت مذكرة واي ريفر انتقادات شديدة من الفلسطينيين أنفسهم، لأنها تجاهلت الإشارة إلى القضايا المحورية الحساسة كالقدس واللاجئين. وبدلاً من ذلك بقيت الجهود الأمريكية منصبة على الأمن والإجراءات الأمنية، ومحاربة ما كانت تطلق عليه الإرهاب. كما طالبت المذكرة صراحة إلغاء كل البنود التي اعترضت عليها إسرائيل في الميثاق الوطني

الفلسطيني" (شاش، 1999، ص 68). ولهذا زار كلينتون إسرائيل ومناطق الحكم الذاتي، وحضر اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في 22-12-1998 وأشرف بنفسه على إلغاء البند الذي يطالب بتدمير إسرائيل في الميثاق الوطني الفلسطيني، كما نصت على ذلك وثيقة واي ريفر"(بيكر، 1999، ص428).

وبقي كلينتون منشغلاً مع مستشاريه، لشؤون الصراع العربي الإسرائيلي حتى آخر لحظة من ولايته الثانية، لعله يتمكن من إنجاز ما عجز غيره من إنجازه" (حمد 2003 ص 478). وفي تشرين الثاني 2000، عرض الرئيس كلينتون اقتراحه حول الحل للوضع النهائي للضفة الغربية وقطاع غزة، لكن الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني لم يتوصلا إلى اتفاق ولم يقبلا باقتراحات كلينتون، وفشلت محادثات كلينتون – باراك – عرفات في كامب دافيد 11 – 25 تموز 2000، لأن الإدارة الأمريكية ابتعدت عن الوضوح والصراحة الكلامية في تفسير معظم المسائل الجوهرية المختلف عليها. واستخدم وزير الخارجية بيكر، ما أسماه بالغموض البناء والخلاق في تحركه الدبلوماسي لقناعته الشخصية أن مثل هذا الأسلوب مفيد جداً في ممارسة الدبلوماسية" (شاش، 1999، ص 68). "ولكن دبلوماسية الغموض البناء فشلت، لأنها أجلت البحث في القضايا الجوهرية والحساسة، واتسمت بعدم الوضوح في تفسيرها لهذه القضايا ذات الطابع الإشكالي، وقادت في النهاية إلى التصادم بين الطرفين المعنيين، والعودة مرة أخرى إلى دائرة العنف الدموي المتجدد" (روس، 2004، جريدة الأيام، العدد 3133).

7.5.4 كلينتون وقضية اللاجئين

وفي عهد كلينتون ظهرت العديد من المشاريع البحثية والأكاديمية في فترة ما بعد أوسلو حاولت جاهدة سبر أغوار قضية اللاجئين، وتقديم توصيات لصانع القرار الأمريكي. وما ميز هذه القراءات والأبحاث أنها كانت مجرد مقاربات مع المواقف الرسمية الأمريكية، والمواقف الإسرائيلية والأوروبية. ففي عام 1995 وزعت كندا التي كانت تترأس مجموعة العمل الخاصة باللاجئين ورقة عمل،بدأت بتعريف نفسها من خلال التشديد على شرق أوسط جديد خال من اللاجئين، ومنح الهوية لمن ليس له هوية، وإفساح المجال أمام التنمية مكان الفقر والتشرد (تماري، 1996، ص 41). وفي عام 1995، خرج دون بيرتس بدراسه حول قضية اللاجئين الفلسطينيين، حيث انطلق من فرضية خاطئة، زعم فيها أن القانون والأعراف الدولية تؤكد على ضرورة توطين اللاجئين حيث هم، ولا تؤهلهم للعودة، بسبب صعوبة توافر إمكانيات العمل والحياة. ولهذا اقترح بيرتس تسوية لهذه القضية بتعويض اللاجئين بطريقة جماعية، ويجب أن يشتمل التعويض على قيمة الأملاك اليهودية في الدول العربية (حمد، 2003، ص 475-476). أما دونا آرزت، فانطلقت في معالجتها لقضية اللاجئين الفلسطينيين من مدخل عدم تحميل إسرائيل مسؤولية المشكلة لا

أخلاقياً ولا إنسانياً، وبما أن الطرف التي تقع عليه هذه المسؤولية غير معروف، لذلك لا بد لكل الأطراف الدولية والإقليمية أن تتحمل مسؤولية حلها. وطرحت آرزت تصوراً لتوطين خمسة ملايين لاجئ فلسطيني في الدول العربية والغربية، في حين "يؤهل 75 ألف لاجئ للعودة إلى الأراضي المحتلة عام 1948، و 250 ألف لاجئ من غزة ينقلون إلى الضفة الغربية لحل مشكلة الاكتظاظ السكاني (أبو ستة، 1997، 13 أيلول، سبتمبر).

ولو تأملنا مقترحات كلينتون فيما يتعلق بقضية اللاجئين أثناء مفاوضات كامب ديفيد عام 2000، فسنلاحظ أنها تبنت الطروحات البحثية السابقة في نقاط كثيرة، وبخاصة عدم مسؤولية إسرائيل المعنوية والأخلاقية عن النكبة الفلسطينية عام 1948، وتحميل المسئولية للجيوش والزعامات العربية. وبالرغم من اعتراف الإدارة الأمريكية بحق العودة للاجئين الفلسطينيين، الا انها في الوقت نفسه أصرت فيه على أن إسرائيل لا تمتلك القدرات الكافية لاستيعابهم. وبناء على هذا الموقف الأمريكي يجب أن تتم العودة إلى أراضى الدولة الفلسطينية، والاستقرار في البلدان التي يقيمون فيها، أما العودة إلى إسرائيل فيجب أن يكون رمزياً لا يتجاوز عشرات الآلاف من خلال آلية لم شمل العائلات (روس، 2004، 13تشرين أول، اكتوبر). وهكذا نسفت مقترحات كلينتون فيما يتعلق باللاجئين، وحقهم بالعودة القرار 194، وتماهت مع المطالب الصهيونية. فالبند الثاني من المقترحات نص على أنه لا يمكن لإسرائيل أن تتخذ قراراً يهدد أساس الدولة الإسرائيلية ويعرض منطق السلام للخطر (شديد، 1985، ص280).

8.5.4 فشل مفاوضات كامب ديفيد 2000

بعد فشل مفاوضات كامب ديفيد، حاولت إدارة كلينتون كسر الجمود الذي وصلت إليه العملية التفاوضية، حيث تقدم كلينتون شخصياً بمقترحات جديدة، بأمل أن تتمكن إدارته من تحقيق رؤيته للسلام في الشرق الأوسط. وقد هدفت المقترحات إلى إنهاء اعتماد الفلسطينيين على الشرعية الدولية لتسهيل مهمة التحالف الأمريكي، الإسرائيلي، من تمرير مخططاته التفاوضية. وفي حقيقة الأمر فأن كلينتون يتحمل جزءاً كبيراً من مسؤولية ما حدث، من تصاعد العنف المتبادل في أعقاب فشل مفاوضات كامب ديفيد، حتى أن الكاتب البريطاني باتريك سيل ذهب إلى حد القول: "إنه كان باستطاعة أمريكا أن تقوم بدور الوسيط النزيه والمحايد للتوصل إلى تسوية دائمة وعادلة. ولو فعلت أمريكا ذلك لتجنبت أحداث أيلول عام 2001، ولربما دخلت المنطقة في حقبة من السلام والازدهار، وأصبح للفلسطينيين دولة مستقلة تلبي طموحاتهم (بشارة،2001، ص 9). فقد افتقرت خطوات السلام الأمريكية إلى الالتزام بالشرعية الدولية، وحاولت وضع مرجعية خاصة لعملية السلام بدلاً من قرارات الأمم المتحدة، وتنصلت من المواقف التقليدية

المعلنة حول القدس والمستوطنات واللاجئين، وافتقدت إلى آلية تضع المفاوض الفلسطيني على قدم المساواة مع الإسرائيليين، وعملت على استدراجه إلى إعتماد نهج البدء في تسوية القضايا السهله وتأجيل القضايا الصعبة والمعقدة إلى المرحلة النهائية، دون وضع الضوابط والقيود على حرية تحرك الطرف الإسرائيلي (الحسن، 1997ص 18)

منذ عقد اتفاقية أوسلو، وحتى الآن دلت الأحداث، بما لا يدع مجالا لشك علي أن الهدف الأساسي الوحيد لها على الجانب الإسرائيلي والأمريكي، كان تصفية الانتفاضة والمقاومة وإقامة حكم إدارى ذاتي فلسطيني، يجعل الفلسطينيين موظفين يأتمرون بأوامر الاحتلال الإسرائيلي، ويعاونونه في السيطرة على الشعب الفلسطيني، بل وكان الهدف المباشر هو الاقتتال الفلسطيني بين من رفضوا أوسلو وبين من وقعوها وأنصارهم من الفلسطينيين وتفجير حرب أهلية، يصفي فيها الفلسطينيون أنفسهم بأنفسهم. إلا أن الشعب الفلسطيني استطاع بحكمته،أن يتفادى الاقتتال في تلك الفترة، بل وأن يتمسك بسلاحه واستعداده الدائم للمقاومة المسلحة، وأن يفجر في الوقت المناسب انتفاضته الثانية 2000، ويجلي الحقيقة عن وجه التسوية الظالمة المدمرة والهادفة فقط إلي تصفية ثورته بل ضرب وجوده وهويته في مقتل، ولكن يبدو ان التخطيط بعيد المدى لشق الصف الفلسطيني، اتى ثماره في النهاية بسبب تراكم التناقضات وضعف الموقف الفلسطيني، وعدم وعى التنظيمات الفلسطينية باوليات العمل الوطني ومتطلبات المرحلة، فكان ما كان من انقسام فلسطينى مدمر، خطط له الأعداء ونفذه الأشقاء.

9.5.4 العامل الديني وأثره على سياسة بل كلينتون

سيعتبر الكثيرون الحديث عن الخلفية الدينية للرئيس بل كلينتون نوعاً من التعسف والتجني في غير محله، وبالذات بعد التهم التي لاحقته بشأن علاقاته الغرامية مع (بولا جونز) و(مونيكا لوينسكى)، حيث سيقول هؤلاء كيف يمكن الحديث عن تدين كلينتون وهذه أفعاله ؟!!. وللرد على ذلك نقول:إن ما قام به كلينتون لا يختلف في شيء عما قام الرئيس الأمريكي (كليفلاند)، الذي جاء إلى البيت الأبيض مجتازاً باب النجاح في الانتخابات التي جرت 1884م اجتيازاً عسيراً، بهامش ضيق من الأصوات "بسبب الفضيحة التي طاردته، عندما اتهمته سيدة تدعي (ماريا هيلبين) بأنه أب لابنها دون زواج. حيث غفر الأمريكيون لـ (كليفلاند) . كما رأيناهم يغفرون لكلينتون . فضيحته مع (مونيكا)، وسمحوا لذلك المحامي المنتمي للحزب الديمقراطي (كليفلاند)، الذي عمل في الشرطة . قبل أن يصبح حاكما لولاية نيويورك . أن يصبح رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية" (مقار،1992، ص204).

كما أنه لا يختلف عما قام به كثير من رموز الكنيسة البروتستانتية في أمريكا، أمثال (جيمى سواجارت) و(جيم بيكر) اللذين مارسا الزنا لمرات عديدة، ولما افتضح أمرهما لم يخجلا من ذلك، وذهبا إلى الكنيسة، وأعلنا التوبة أمام أتباعهم، وعلى الهواء مباشرة، وعادا بعد ذلك لممارسة الوعظ في الكنيسة مره أخرى، وكأن شيئاً لم يحدث. بل إن الأمر وصل إلى درجة "أن بعض البروتستانت التحرريون ساموا علناً أشخاصاً يمارسون الشذوذ الجنسي جهاراً، فجعلوا منهم قساوسة، حيث اعتبروا تقبل الشواذ جنسياً، والذين كانوا منبوذين سابقاً تعبيراً عن أخلاقيات المسيح!؟" (مارسدن،2001، ص268). وهذا أمر طبيعي في العقيدة البروتستانتية، التي تؤمن بحرفية كل ما جاء في الكتاب المقدس، الذي يضم بين دفتيه مئات القصص والراوايات عن ممارسة الفاحشة واللواط وغيرها، والتي تنسب للأسف ليس لأشخاص عاديين، بل تنسب للأنبياء والصالحين!!.ومن هنا فخطيئة كلينتون من وجهة النظر الدينية ومنظومة القيم، التي يقوم عليها المجتمع الأمريكي، لا تنفي تدينه، وإيمانه بحرفية كل ما جاء في الكتاب المقدس، وليس أدل على ذلك "أنه شوهد أثناء أزمة اتهامه، وهو يخرج كل يوم أحد من الكنيسة، حاملاً في يده نسخته الشخصية من الإنجيل!!" (أبو خليل، 2003، ص34).

وبالعودة إلى نشأة كلينتون، نجد أنه ولد في ولاية أركنسو، وتولى حكمها فيما بعد. والواقع أن المدينة التي ترعرع فيها بيل، وهي هوت سبرينغ (أو الربيع الحار)، كانت تحتوي على نوعين من النشاطات: الكازينو، وسباق الخيل، من جهة، والمعمدانية أو الأصولية المسيحية الجديدة من جهة أخرى. ولقد كان تأثير الأصولية المسيحية كبيراً عليه، حيث انعكس ذلك بصوره كبيره على موقفه من إسرائيل، حيث كان كلينتون كريماً في الوعود التي أطلقها لصالح الدولة العبرية، وصريحاً في انتقاده للإدارة السابقة عليه. وجاء في رسالة بعث بها إلى الناخبين، أثناء حملته الرئاسية، يطلب دعمهم :

"نعم إسرائيل وأميركا على منعطف طرق اليوم، نطلب منك دعماً مالياً سخياً، أن بوش يستطيع أن يجمع الملايين بدعوة أصدقائه الأغنياء إلى العشاء. هل تساعدوني على إرجاع المنطق إلى العلاقة الأميركية الإسرائيلية؟. الرجاء أجيبوا اليوم وكونوا كرماء، أقسم أني إذا انتخبت رئيساً، لن أخيب أمل إسرائيل أبداً". والتزاماً بوعوده، فقد جاءت التعيينات اليهودية في الإدارة الكلينتونية بحصة مهمة لها وزنها وتأثيرها على الصعيدين الداخلي والخارجي" (زهير الدين،1999، ص87).

ففي عهده: كان مجلس الأمن القومي الأمريكي يتكون من 11 عضوا، منهم 7 من اليهود، أبرزهم (دان شفتر و ساندي برجر و ريتشارد فاينبرج و جون سيتنبرج) أما بالنسبة للوزراء فهم كثر وأبرزهم (وليام كوهين ومادلين أولوبرايت وجون ديتش نائب وزير الدفاع). لقد كان الرئيس كلينتون صهيونياً واضحاً، فقد

وصف زيارته لإسرائيل – التي تأثر بها كثيراً– قبل أن يصبح رئيساً، بأنها كانت، زيارة دينية أكثر منها سياسية حيث قال: "قبل 13 عاماً (عام 1981) – بصحبة زوجتي وراعي الكنيسة المعمدانية التي اتبعها– جئنا في بعثة دينية وكنت وقتها خارج حكم الولاية ولم يكن يخطر على بال أحد اني سآتي إلى هنا. وقمنا بزيارة الأماكن المقدسة وعايشت أثناء هذه البعثة، ثانية تاريخ الإنجيل وأسفاركم وكذلك تاريخي. ثم نشأت علاقة بيني وبين راعي الكنيسة الذي أشرف على تلك البعثة.. وبعدما اشتد المرض على راعي الكنيسة قمت بزيارته وقلت له أعتقد أنني سأصبح في يوم ما رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، فقال لي بصراحة أشد مما فعل رابين: "أنك إذا تخليت عن إسرائيل فلن يغفر الله لك ذلك أبداً، وأن مشيئة الرب أنه اختار إسرائيل أرضاً لنا وأن مشيئته أن إسرائيل ستبقى إلى الأبد..". وعلق كلينتون على ذلك بقوله: "أعتقد أنه ينظر إلى الآن – يقصد القس – وإذا ما انتخبت فلن أتخلى عن إسرائيل" (جريدة القدس، 1992، 7 تشرين ثاني، نوفمبر).

ومعروف خطابه أمام الكنيست الإسرائيلي في 27 تشرين ثاني، كتوبر 1994 عندما تحدث بعاطفة جياشة عن الرباط العقائدي، السياسي المقدس الذي يربط أمريكا بإسرائيل، وقال:

> "عندما كانت إسرائيل تكافح للبقاء كنا نبتهج لانتصاراتكم ونشاطركم مآسيكم، وفي السنوات التي تلت إقامة إسرائيل أعجب الأمريكيون من خلال كل معتقد ديني بكم وساندوكم.. إن بقاء إسرائيل هام ليس لمصالحنا فحسب، بل لكل القيم العزيزة علينا..". و ختم خطابه أمام نواب الكنيست: "ينبغي أن تدركوا أن مسيرتكم هي مسيرتنا وأن أمريكا ستبقى إلى جانبكم الآن وإلى الأبد". وتجدر الإشارة إلى أن كلينتون هو صاحب شعار "لن نخذل إسرائيل أبداً" (جريدة الشعب المصرية،1995، العدد 944)

وهكذا يؤكد (بل كلينتون) كسابقيه من الرؤساء الأمريكيين على الأبعاد الدينية والتوراتية لعلاقته بإسرائيل، حيث إنه لم يبخل منذ توليه الرئاسة في تقديم كافة أنواع الدعم للدولة اليهودية. فقد قام بزيارتين لإسرائيل، ليؤكد للجميع دعمه وتأييده لها، ومن تابع هاتين الزيارتين، لابد وأنه لاحظ مدى مشاعر الحب والود التي يكنها الرئيس بل كلينتون لإسرائيل وأرض إسرائيل. ففي خطابه أمام الكنيست الإسرائيلي خلال زيارته الأولى، كان (بل كلينتون) يتغنى باليهود وإسرائيل، وبالقيم اليهودية التي منحها الشعب اليهودي للعالم الحر .. وفى الزيارة الثانية لاحظنا مدى تأثره باغتيال رابين، حيث جاء وطاف حول قبر رابين وكأنه يطوف أمام قبر نبي أو مكان مقدس، ولإظهار هذه القدسية ارتدى القبعة اليهودية، وودع رابين بكلمات عبرية قائلاً (شالوم حافير) وداعاً يا صديقي.

كما أن حرص الرئيس كلينتون وإدارته على إسرائيل ومصالحها، بلغ أكثر من حرص الإسرائيليين على أنفسهم، فقد حدث أن أصدر مجلس الأمن الدولي قراراً بإدانة إسرائيل لقيامها بمصادرة مساحات واسعة من الأراضي في مدينة القدس، فقامت أمريكا باستخدام حق الفيتو ضد القرار، ولكن في اليوم التالي أجبرت الحكومة الإسرائيلية . بعد ضغوط من أعضاء الكنيست العرب . على إلغاء هذا القرار، بعد أن هددوا بالتصويت ضد الحكومة في جلسات الكنيست. أما موقفه العدائي والحاقد من العراق، فليس بحاجة إلى توضيح، حيث إنه وخلال فترة رئاسته، ارتكب أبشع الجرائم بحق الشعب العراقي، من تدمير وحصار جائر راح ضحيته أكثر من نصف مليون طفل عراقي، هذا بالرغم من أن العراق التزم بكافة قرارات مجلس الأمن الأمريكي الظالمة، والتي لم تقنع هذه الإدارة بالكف عن مهاجمة العراق والبحث يومياً عن مبررات لتدميره.

الفصل الخامس

جورج بوش والدولة الصليبية

1.5 تقديم

كثيراً ما لجئت الصحف الأمريكية لتوثيق أحاديث الرئيس بوش وتصريحاته، في أبواب العقيدة، في إشاره ذات مغزى، للطابع الديني الذي طبع شخصيته، ولمكانته الدينية على الخارطة الدينية الأمريكية. فبوش كان يتحدث كمبشر وواعظ، ولم تكن السياسة تستهويه، إلا بقدر ما تخدم رؤاه الدينية. من هنا، سنجد أن العامل الديني لعب دوراً رئيساً لتشكيل موقفه من إسرائيل. وخلال فتره حكمه برهن على ذلك بأفعاله التى جعلته يشن حرباً صليبية على العالم الإسلامي والمسلمين، بكل معنى الكلمه، في أفغانستان، والعراق، وفلسطين، ولبنان.. والحرب على ما يسمى الإرهاب. مما خلق حاله عربية إسلامية ضعيفه مشتته، صبت نتائجها، بكل قوة لمصلحة إسرائيل، وانعكست سلباً على القضية الفلسطينية، بمبادرة خطة الطريق، التى لم تكن سوى خطه لفرض المطالب الإسرائيلية.

2.5 المبحث الأول: الصحوة الدينية في أمريكا

إن أحد المظاهر الواضحة وغير المتوقعة في الحياة الأمريكية في أواخر القرن العشرين كان إعادة ظهور الشعور الديني باعتباره قوة كبرى في السياسة والثقافة (هنتنجتون، 2009، ص442). و"هناك دلائل على أن أغلبية الأمريكيين في أواخر القرن العشرين، يغمرهم شعور ديني لافت للنظر، إذ عاد إلى الظهور، في أواخر عقد الثمانينات من هذا القرن، نوع من المسيحية التقليدية إلى حد ما كقوة يعتد بها في الحياة الأمريكية السياسية والثقافية، حيث تبدو أهمية الدين من خلال كثرة وتكرار استخدام النصوص الدينية من جانب الساسة، مثل استخدام (كلينتون) في خطابه الافتتاحي عام 1997م لعبارة من التوراة، تقول: "استرشاداً بالرؤية القديمة لأرض الميعاد، فلنوجه أبصارنا اليوم إلى أرض ميعاد جديدة"(كوربت، 2002، ص50).

"ففي هذه الأيام يجد منظمو استطلاعات الرأي باستمرار، مستويات من الإيمان الديني المعلن يمكن أن تدفع المرء إلى التشكيك في الاعتقاد الشائع القائل: إن الأمريكيين الآن أقل تديناً مما كانوا عليه منذ قرن مضى. إذ لا يقول خمسة وتسعون في المائة من الأمريكيين، الذي يجري استطلاع آرائهم كل مرة أنهم يؤمنون بالله وحسب، بل يقول أكثر من سبعين في المائة أيضاً أنهم لن يصوتوا لصالح مرشح رئاسي لا

يؤمن بالله، "حتى وإن كانوا يحبونه حقيقة ... ويشاركونه آراءه السياسية". كما يقول سبعة من كل عشرة أن عيسى هو ابن الله المقدس. ويؤمن نفس العدد بحياة بعد الموت. كذلك يقول الثلث أنهم "ولدوا من جديد" كما يقول حوالي النصف أن "الكتاب المقدس كلمة الله، وكل ما جاء فيه صحيح". ويقول ستة من كل سبعة أن الوصايا العشر من الأمور، التي يجب العمل بها هذه الأيام، بينما يذكر سبعة، وخمسون في المائة أن الدين "أمر هام جدا في حياتهم" (مارسدن، 2001، ص 9).

وفي استطلاع أجراه معهد جالوب، عام 2003، أظهر أن نسبة المؤمنين بالله في الولايات المتحدة تصل إلى 95% من السكان، وهي من أكبر نسب التدين في العالم، بينما في أوروبا قد لاتصل النسبة إلى 65%. كما أن الولايات المتحدة تحتوي على أكبر عدد من الكنائس في العالم، حيث إن هناك كنيسة لكل 865 مواطناً، وهو ما وصفه معهد (جالوب) للاستطلاعات تعليقاً على استطلاع كان قد أجراه في مايو 2002 م، بأن ذلك حقيقي لأنه توجد رغبة عميقة إلى الاتجاه للشؤون الروحية، فهي حالة من الظمأ إلى الله. وبينما يصل عدد الأمريكيين الذين يذهبون إلى الكنيسة مرة واحدة في الأسبوع إلى 70% على الأقل تصل النسبة إلى 20% فقط في أوروبا الغربية، و 14% في أوروبا الشرقية، وبذلك فإن أمريكا على عكس أوروبا تريد أن تثبت بوضوح أن الحداثة لا تعني التحلل من الدين... فحالياً توجد العديد من الطوائف البروتستانتية اليمنية المتطرفة التي تقود الجميع. واستطلاعات الرأي الأخيرة تشير إلى تزايد هذه المجموعات بصورة مخيفة" (السقا، 2003، ص 48).

ويرصد (صموئيل هنتنغتون) مظاهر الصحوة الدينية في الولايات المتحدة خاصة خلال عقد التسعينيات، وهي صحوة سادت مختلف الطوائف الدينية الأميركية، وعلى رأسها الجماعات الإنجليكية التي زادت بنسبة 18%، ونجحت في بناء عدد كبير ومؤثر من المؤسسات السياسية. ويؤكد هنتنغتون حقيقة أن المجتمع الأميركي هو أكثر المجتمعات الأوروبية تديناً، ما يجعله أرضاً خصبة لعودة الدين، خاصة بعد أن ضاق الأميركيون بشكل متزايد منذ الثمانينيات بالمشاكل الأخلاقية، التي انتشرت في مجتمعهم. ويقول: "إن هناك عودة عامة للدين في أميركا انعكست على الروايات الأميركية، وظهرت في الشركات والمؤسسات الاقتصادية، كما أثرت على الحياة السياسية من خلال الحضور الكبير، للقضايا الدينية والمتدينين في إدارة الرئيس الأميركي (جورج دبليو بوش). ويبشر بأن العودة للمسيحية . التي تعد أحد الركائز الأساسية للهوية الأميركية – تمثل عاملاً هاماً في دعم الهوية الأميركية ونشرها خلال الفترة الراهنة. كما أن الصحوة الدينية –وفقاً لتحليل هنتنغتون تصب مباشرة في الدور المساعد، الذي يمكن أن يلعبه الدين على الساحة الدولية وخاصة في تعريف عدو أميركا الجديد وهو الإسلام" (انظر: هنتنغتون، 2009).

1.2.5 الديني والعلماني

هذه المستويات العالية من الإيمان الديني، التي كشفت عنها الاستطلاعات، تؤكد النتيجة التي سبق وأن توصل إليها (اليكس توكفيل) عندما قال: "في الولايات المتحدة السلطة المهيمنة سلطة دينية وبالتالي، لا يوجد بلد في العالم يتمتع فيه الدين المسيحي بالنفوذ الذي يتمتع به في نفوس الناس في أمريكا" (هنتنجتون، 2009، ص144). ولكن مما يسترعى الانتباه في التدين الأمريكى هو ذلك المزج الواضح بين العنصر الديني، والعنصر العلماني في الحياة الأمريكية، الذي دفع المثقف الفرنسي (اليكس توكفيل) في كتابه عن الديمقراطية في أمريكا، إلى القول: "إن الوعاظ والقساوسة الأمريكيين يتكلمون كساسة، والساسة يتكلمون كوعاظ" (مقار، 1992، ص 322).

"ولكن بالرغم من هذا المزج الذي قد يوفر دليلاً هاماً في فهم الثقافة الأمريكية، فقد ركز معظم المؤرخين الأمريكيين بصورة شبه حصرية على ما هو علماني فقط. ويعكس هذا الموقف وضع الأسرة الأكاديمية الحديثة. إذ أكدت التفسيرات السائدة للسلوك البشري خلال القرن الماضي على العوامل غير الدينية. ومن ثم فإن معايير كثير من دراسات الإنسانية تمحورت حول الافتراض القائل بعدم ضرورة حمل الدين على محمل الجد، من أجل فهم العالم الحديث" (مارسدن، 2001، ص 22).

وفي الولايات المتحدة وبلدان أخرى في أواخر القرن العشرين، أثبت هذا الافتراض بطلانه غير أن الأكاديميين كثيراً ما يتباطؤون في التخلي عن تقاليدهم، التي درجوا عليها في تفسير الأمور والأحداث. كما أن أغلب الباحثين تغافلوا أو لم يدركوا طبيعة الدين في أمريكا، والكيفية التي نشأ بها، معتقدين أنه لا يمكن إعطاء الدين دوراً في الحياة الأمريكية، طالما أن السلطة ليست في يد القساوسة ورجال الدين، كما كان الحال في أوروبا أيام سيطرة البابا على السلطتين الزمنية والدينية، حيث تناسى هؤلاء أن الدين الأمريكي ما هو إلا امتداد للمذهب البروتستانتي، الذي تمرد على سلطة البابا، ورفض رفضاً قاطعاً تمتعه بالسلطتين الزمنية والدينية، لما جلبه ذلك من مفاسد حسب اعتقادهم، ولهذا كان الفصل بين الدين والدولة مطلباً دينياً في المذهب البروتستانتي، ارتضاه المؤسسون الأوائل لأمريكا انطلاقاً من قناعتهم الدينية، "التي تدعوهم إلى العودة إلى الأصول، وعدم الاعتراف بأي سلطه غير سلطة الكتاب المقدس، باعتباره مصدر العقيدة النقي" (سلطان، ب، ت، ص 15).

"لقد استشهد بعض الناس بغياب اللغة الدينية في الدستور على أن أمريكا هي دولة علمانية أساساً. وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة. ففي أوروبا كانت سيطرة الدولة على الكنيسة هي العامل الرئيس لقوة الدولة، ومن جهتها، فإن الكنيسة القائمة أضفت الشرعية على الدولة. وقد حظر واضعو الدستور الأمريكي أية

كنيسة قومية قائمة، من أجل أن يحدوا من سلطة الحكومة في حماية الدين وتقويته. وكان فصل الكنيسة عن الدولة هو الضمان لهوية الدين والمجتمع. وكما قال وليم ماكلوجن، فإن الهدف لم يكن إقرار الحرية من الدين، ولكن إقرار الحرية من أجل الدين. (هنتنجتون، 2009، ص127).

فالأصوليون اليوم مازالوا يتمسكون بأن أمريكا أقيمت لتكون أمه مسيحية، ويصرون أن الدستور لم يخلق جداراً فاصلاً، بين الكنيسة والدولة" (بلاكر، 2005، ص63). فالكتاب المقدس . المصدر الرئيس للعقيدة المسيحية . يتمتع بمكانة خاصة حاسمة في نفوس الناس في أمريكا، لأنه كان في وسع المصلح دائماً الاحتكام إلى المبدأ البروتستانتي القائل: إن الكتاب المقدس كان السلطة الوحيدة العليا التي تسمو على جميع التقاليد، وكان بإمكان الشخص العادي الذي يقف إلى جانب المعنى الواضح المبني على سلامة الفطرة للكتاب المقدس، أن يتجاهل سلطة رجال الدين المثقفين أو الكنائس ذات الهيبة والمقام. وهكذا فقد اتفق جميع البروتستانت الأمريكيين تقريباً، من حيث المبدأ على أن الكنيسة الحقة والمدنية الصحيحة لابد أن تقوما على الكتاب المقدس. "ولا يكاد يمكن للمرء أن يغالي في تقديره للدرجة العظيمة التي نظر بها البروتستانت الأمريكيون إلى الولايات المتحدة، على أنها نتاج لحضارة ذلك الكتاب. فقد حظي الكتاب ذاته باحترام واسع، بوصفه المرجع النهائي لجميع المواضيع، بما فيها التاريخ والعلوم، إلى جانب اللاهوت والأخلاق" (مارسدن، 2001، ص 71).

فالحكومة المدنية –أي المتحضرة – كما يرى فليب ميلانشتون تلميذ لوثر هي " عبارة عن تنظيم يسوده قانون الطبيعة ويعضده الإنجيل"، و"القانون الطبيعي هو صنو الوصايا العشر التى جاء بها موسى، حيث تمثل الوصايا الاربع الأولى واجب الإنسان تجاه الله. وتمثل الوصايا الست الأخيرة واجب الإنسان تجاه أخيه الإنسان" .. (محمد، 2004، ص193، ص194). ويرى البروفسور (مايكل كوربت) انها "هي التي تؤيد الدين، بينما الحكومات الشمولية والديكتاتورية، هي التي تقف ضد الدين، حيث إن الإصلاح الكنسي البروتستانتي ربط بين الكنيسة والدولة، وجعل كلاً من الحاكم والمحكوم تحته تابعين لكنيسته، ولكنه في نفس الوقت لم يجمع السلطتين الزمنية والدينية معاً، لكن حركات إصلاحية راديكالية مسيحية رفضت ربط الكنيسة بالدولة، ورأت أن هذا الارتباط يدمر الكنيسة تماماً" (انظر: كوربت، 2002).

وهذا الاختلاف في النظر للعلاقة بين الدين والدولة في أمريكا هو الذي جعل بعضهم ينظر إلى العلاقة بين الدين والسياسة في أمريكا باعتبارها معضلة لم تتحدد بعد، متناسين أنه يوجد في أمريكا ما يسمى الدين المدني، وهو دين موازٍ للكنائس الرسمية، يتغلغل في الحياة الأمريكية.

"ومن مظاهر الدين المدني لأمريكا انتشار الإشارات الضمنية والرموز الدينية في الخطابة العامة، والطقوس والاحتفالات الأمريكية. ودائماً ما كان رؤساء الجمهورية يقسمون على الكتاب المقدس عند توليهم مناصبهم، وعندما ينتهون من القسم، ينطقون هذه الكلمات: "اللهم فاشهد". وقد ظهرت خمس كلمات فقط في كل ورقة نقدية أمريكية وفي كل سند وكل عملة معدنية وهي "الولايات المتحدة الأمريكية" و "الله ولينا". وتضفي على الاحتفالات والأنشطة هالة دينية وتؤدي فرائض دينية، وتاريخياً فإن الاحتفال بيوم الذكرى كان احتفالاً مقدساً أمريكيا وكان الاحتفال بصلاة الشكر والاحتفالات بتولي رؤساء الجمهورية مناصيبهم والجنازات أيضاً" (هنتنجتون، 2009، ص151).

فالدين المدني بهذا المعنى هو مجموعة من المعتقدات والطقوس والشعائر والرموز، التي تنتشر في الحياة الأمريكية منذ القدم، مثل اعتبار عيد الشكر عيداً قومياً للصلاة، كما أعلن (جورج بوش الأب) عام 1991م إبان حرب الخليج، وابتهال كلينتون في خطبه إلي الرب ليبارك أمريكا، واستهلال الجلسات الحكومية بالصلاة، ودعم الحكومة لقساوسة الجيش، كما ويظهر الدين المدني في الأغاني مثل (أمريكا الجميلة) و(فليبارك الرب أمريكا) وغيرها.

يقول توكفيل: "في الولايات المتحدة يمتزج الدين بجميع عادات الأمة وكل مشاعر الوطنية، ومنها تستمد قوة غريبة، والمزج بين الدين والوطنية واضح في الدين المدني". وقد مكن الدين المدني الأمريكيين من أن يجمعوا بين سياستهم العلمانية ومجتمعهم الديني، وأن يزاوجوا بين الله والبلاد، بحيث يضفون قدسية دينية على وطنيتهم كما يضفون شرعيتهم الوطنية على معتقداتهم الدينية، وبهذا يمزجون ما يمكن أن تكون ولاءات متصارعة في الولاء لبلاد متدينة" (هنتنجتون، 2009، ص150)

وبينما يذهب بعض الساسة ورجال الدين إلى الفصل بين السياسة والكنيسة، يذهب آخرون إلى عمق العلاقة بينهما، فالرئيس (جيفرسون) وهو من المؤمنين بالدين المدني، يرى ضرورة الفصل، بينما (جيري فالويل) يقول: "إذا لم يتعلم المرء كلام الرب، ولم يعرف ما جاء بالإنجيل، فإنني أشك في قدرته على أن يصبح قائداً فاعلاً، وقيادته لكل شيء، سواء أسرته أم كنيسته أو أمته لن تكون ناجحة دون هذه الأولوية" (كوربت، 2002، ص 19) ، وينحى نفس المنحى كثير من الساسة والمفكرين، ولكنه في كل الأحوال، لا يمكن لأحد أن ينكر الدور الذي يلعبه الدين في الثقافة الأمريكية المعاصرة.

"إن قصة الإنجيلية الأمريكية هي قصة أمريكا ذاتها في السنوات 1800 . 1900م لأن الدين الإنجيلي هو الذي جعل الأمريكيين أكثر الأقوام المتدنية في العالم. ورغم وجوب الاعتراف بوجود قوى أخرى أيضاً، إلا أن المسيحية الإنجيلية كانت بارزة بصورة غير عادية في إعطاء شكل للقيم والثقافة الأمريكية في القرن التاسع عشر. ولهذا يقول المؤرخ (وينثروب هدسن): في عام 1900م لم يكد يوجد من يشك في الطرح القائل: إن الولايات المتحدة كانت أمه بروتستانتية" (مارسدن، 2001، ص 112)

وهذا يعنى أنه لا أحد يستطيع أن يفهم أمريكا وحرياتها إلا إذا وعى وتفهم التأثير الذي باشره ومازال يباشره، الدين في صوغ هذا البلد. فمن الخصائص الفريدة المميزة لنظام الحكم الجمهوري في أمريكا إنه يستمد الحيوية المحركة له من قيم من يعيشون في ظله، والذين أكدوا أن تلك القيم تستمد بالقدر الأعظم من الدين. وهذا ما جعل الشاعر الإنجليزي (جيلبيرت كيث) يصف أمريكا بأنها أمة لها روح كنيسة (مقار، 1991، ص 317) . ومع هذا، "فإن روح الكنيسة لا توجد فقط أو بشكل أساسي في الآراء الثابتة الدينية، ولكن في الطقوس والأناشيد والممارسات والتوصيات الأخلاقية والمحظورات والروحانية والأنبياء والقديسيين والآلهه والشياطين" (هنتنجتون، 2009، ص441).

ويشير (مايكل كوربت) إلي تغلغل الدين في حياة الأمريكيين في قضايا عامة، وخاصة مثل شن الحرب وتبرير أسبابها، وتنظيم الحياة الشخصية، وحول ما يجب فعله أو الامتناع عنه، أو تبرير العبودية، والفصل العنصري أو رفضها. ويعتبر المؤلف الصلاة الجماعية في الكنائس بأمريكا، هي نوع من دعم الدولة للدين، وفي نفس الوقت مساعدة الأفراد علي الإحساس بكل ما هو مقدس، ويرجع المؤلف ظهور التعليم العام، ونشأة العمل التطوعي إلي الدين" (كوربت، 2002، ص 50). وخلف الدين المدني تكمن النماذج الإنجيلية الأصيلة مثل الخروج والشعب المختار، وأرض الميعاد، وجيرساليم الجديدة، والموت بالتضحية والبعث، وقد أصبح واشنطن هو موسى، ولينكولن أصبح المسيح. ويوافق كونراد شيري على أن "أعمق مصدر للرموز، والمعتقدات، والطقوس المتعلقة بالدين المدني تكمن في العهد القديم والعهد الجديد. فالدين المدنى لأمريكا هو دين غير مذهبي، دين قومي، وهو في شكله الواضح ليس ديناً مسيحياً صريحاً، ولكنه مع ذلك مسيحي تماماً في أصوله، ومضمونه، وافتراضاته، ونغمته، والإله الذي يقول عنه الأمريكيون إنه يجب أن نثق به هو ضمناً إله المسيحيين" (هنتنجتون، 2009، ص153).

2.2.5 اليمين المتطرف والحرب الصليبية

اعتمد الرؤساء الأمريكيون بدءاً من (جورج واشنطن) فصاعداً على الحس الديني، ليس للتأثير على عقول أبناء الشعب فحسب، بل على أفئدتهم أيضاً، لتأييد الأهداف الرئاسية. "فالدين والسياسة شكلا نسيجاً متداخلاً عبر تاريخ الولايات المتحدة منذ الفترة الاستعمارية، وحتى وقتنا الحاضر" (حسن، 2002، ص295) حيث وجدت الطبقة السياسية الأمريكية الحاكمة أن أفضل طريقه للتأثير في الجمهور، من خلال استحضار الدين وجعله مكوناً أصيلاً في الممارسة والثقافة السياسية الأمريكية. فكما يقول جاري ويلز: "إن الدين كان محور أزماتنا السياسية الكبرى، التي كانت أزمات أخلاقية دائماً، مثل مساندة

الحروب ومعارضتها، والعبودية، وقوة الشركات، وحقوق الإنسان، والمبادئ الجنسية، والغرب، والمذهب الانفصالي الأمريكي، ومزاعم الإمبراطورية" (هنتنجتون، 2009، ص117).

وهنا يرى البعض أن نقطة الامتزاج الروحي بين إيديولوجيا اليمين المتطرف، وبين المرجعيات الدينية المسيحية البروتستانيه المتهودة، قد وصلت إلى ذروتها في سبعينيات القرن العشرين المنصرم، إذ يأخذ في اعتباره الحقبة (الريغانية)، التي بدأت مطلع الثمانينات من ذلك القرن، حيث أفسح هذا الحلف المقدس المجال إلى تنامي الشعور بالفوقية، وتبلور فكرة ونزعة السيطرة على العالم، باعتبار أن الأمة الأمريكية هي الأمة الأنقى والأميز والأرقى قيماً وحضارة، والأجدر بقيادة العالم على الطريقة الأمريكية الرائدة، في إشاعة الخير ومحاربة الشر" (الصياد، 2003، 15، شباط،فبراير).

بهذا التبسيط الشنيع لثنائية الخير والشر، اختزلت الطبقة الأمريكية الحاكمة فكرة العالم إذ شطرته إلى شطرين وفرزته إلى قسمين: قسم أخيار، وقسم أشرار. فوضعت في الأول كل من يخضع لمشيئتها ويناصرها ويقلدها، ووضعت في الثاني كل من تتغاير رؤاه معها، وكل من يبدي حرصاً وعقلانية على صيانة مصالحه. ورغم أن بعض رؤساء أمريكا السابقين حاولوا إدخال معتقداتهم الشخصية في طريقة ممارسة الحق الإمبريالي الأمريكي، وهذا ما كان (جيمي كارتر) قد فعله، وكذلك (رونالد ريغان)، الذي أطلق المصطلح الديني القديم المعروف، حول قوى الخير مقابل قوى الشر لوصف الاتحاد السوفيتي، بأنه (إمبراطورية الشر) (الصياد، 2003، 15، فبراير)، إلا أن جورج بوش الابن، حول هذا المصطلح الى ترنيمه يوميه، وأسطورة، يطل بها يومياً على العالم. ولكن "إذا كان تقسيم الإنسانية إلى خير وشر، أسطورة، فإن انتصار الخير المحتم يعد كذلك أسطورة" (سكراتون، 2004، ص367).

3.2.5 الحرب المقدسة

حاول (جورج بوش الابن) المزج بين تمسكه بالمسيحية المتشددة، ورغبته في وضع نظام عالمي جديد يقوم على المصالح الأمريكية، منطلقاً من فكرة: أن قدر أمريكا هو أن تشن الحرب للوصول إلى السلام، وهو ما يسميه (الحرب الوقائية). ولكن هل هذه النزعة العدوانية حقاً وليدة الحظة الحاضرة، أم أن لها جذورها الممتدة عميقاً في بنية العقل والثقافة الأمريكية؟؟ يقول الدكتور حامد سلطان :

"من المفهوم أن المسيحية عندما بدأت زحفها الروحي على روما، صادفت عقبات كثيرة ومقاومة شديدة من الحاكمين. والمسيحية دين يقوم في الأصل على فكرة السلام الخالصة، ومن تعاليمها الثابتة النهي عن القتل والتحذير من القيام به. والأناجيل الأربعة مجمعه على أن من يقتل بالسيف، بالسيف يُقْتَل. لذلك كان طبيعياً أن يرفض الرومانيون الذين دخلوا في المسيحية في المراحل الأولى أن يقوموا بأداء الخدمة

العسكرية في روما، أو أن ينخرطوا في الجيش الروماني، أو أن يشتركوا في الحروب، التي كانت تشنها الإمبراطورية الرومانية. وعلى اثر ذلك قام صراع عنيف بين دعاة المسيحية المسالمة ورجال الحكم في روما، وكان هذا الصراع في الحق صراعاً بين الروحية والمادية، وقد دام هذا الصراع قرابة أربعة قرون" (سلطان، 1968، ص 102) .

ولكن ابتداء من القرن الرابع بدأ رجال الدين المسيحي يتقهقرون ويحاولون التوفيق بين روح المسالمة المسيحية من جهة، وروح السيطرة العسكرية من جهة أخرى. وأخرج القديس (ايزيدور) والقديس (امبرواز) بعض النظريات في هذا الشأن، على أن الداعية الذي كان له الأثر الحاسم في إيجاد هذا التوفيق هو القديس (أوغسطين) الذي أخرج في هذا الشأن مؤلفين أولهما هو(العقيدة المخالفة)، والثاني هو (مدينة الرب). دعا فيهما المسيحيين إلى التخلي نهائياً عن فكرة المسالمة، التي قام على دعامتها الدين المسيحي في الأصل، وقام بتسويغ فكرة الحرب وفق الحجج الآتية:

1) إن الحرب هي عمل من أعمال القضاء العادل المنتقم. فهي تقوم لإنزال العقاب بالعدل، ومن ثم فليس هناك ظلم يقع من جانب من يقوم بالحرب العادلة.
2) إن الحرب هي لمصلحة المنهزمين ؛ لأنها ترجع بهم إلى حال السعادة في السلام.
3) إن الحروب تقوم من أجل ضمان السلام . (أبو خليل، 2003، ص34).

وعندما ظهرت حركة الإصلاح الديني على يد مارتن لوثر، وأخذت بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس، وأصبحت التوراة جزءاً أساسياً منه، بما تحتويه من معتقدات ومواقف تبرر الحرب والقتل، انعكس ذلك مباشرة على أتباعها. "فكانت البروتستانتية في التاريخ الأوروبي، وما تفرع عنه في العالم الجديد، حركة انقلاب (سياسية، لاهوتية، فكرية، اجتماعية)، مازال العالم يشهد مسار ما تمخضت عنه صوب جائحة عالمية، لا يستطيع أحد أن يتنبأ بما قد تتسبب فيه من دمار ومعاناة ومذابح" (مقار، 1992، ص 71). وهكذا فإن الجذور الدينية للمواقف الأمريكية تجاه الحرب والسلام توجد في الكتب المقدسة المسيحية واليهودية، وقد أدى ذلك إلى ظهور ثلاث رؤى للحرب: الحرب المقدسة، والحرب العادلة والسلامية. وقد ظلت السلامية هي الموقف السائد للمسيحية حتى حكم (قسطنطين)، ولكن بعد ذلك ظهر موقفين آخرين معاديين للسلام، حيث ينص مذهب الحرب العادلة على جواز مشاركة المسيحيين في الحرب. وظهرت فكرة الحرب المقدسة، أو الحرب الصليبية خلال القرون الوسطى، حيث كان منهج الحرب المقدسة أو الحرب الصليبية، هو أحد المظاهر المهمة للمواقف في الولايات المتحدة تجاه الحروب، ومصطلح الحرب المقدسة كما هو مستخدم هنا، يعني حرب مقدسة يشنها الصالحون نيابة عن الرب، ضد الكفار

والمهرطقين سياسياً أو دينياً" (كوربت، 2002، ص 122). وفي ظل هذا التبرير الديني الجاهز للحرب، تحت مسميات مختلفة لم يكن مستغرباً أن نجد أمريكا تبرر حروبها المختلفة بنفس المبررات، حتى أن ريشارد لاند رئيس مفوضيه الحرية الأخلاقية والدينية لكنائس (بابست)، برر الحرب على العراق في أحد مقالاته على خلفية أسباب دينية بقوله:

"قيادة حرب عادلة هي عمل مسيحي يقوم على الإيثار، فالأشرار يجب أن يعاقبوا، والأخيار يجب أن يكافؤوا. لقد جاء وقت العنف. كما أن التيارات الأصولية المتطرفة بدأت تنادي بصورة متزايدة بوجوب شن حرب صليبيه ضد الإسلام. وأصروا على التأكيد أن الحرب ضد العراق، هي جزء من (الحرب ضد الشر) ليس ذلك فقط، بل إنهم بدؤوا يقولون: إن أوروبا هي أداة للشيطان، لأنها لم تدعم أمريكا في حروبها الجديدة" (السقا، 2003، ص 43).

3.5 المبحث الثاني: جوج دبليو بوش والحرب الصليبية (2000–2008)

دأب الزعماء الأمريكيون المدنيون والسياسيون على التحدث بصورة رسمية عن الأمة الأمريكية، كما لو أنها أمة مسيحية، أو على الأقل أمة تتبع الكتاب المقدس، حيث وصف كل من السياسيين ورجال الدين باستمرار أمريكا، بأنها إسرائيل الجديدة، والأمريكيين بأنهم شعب مختار، وشعب مرتبط بميثاق (مع الله)، بل إن خطابات تنصيب رؤساء الجمهورية طيلة القرن العشرين، قد طبقت العبارة البلاغية التي كان الحاكم (جون وينثروب) أول من استعملها عام 1630م، التي تصف أمريكا بأنها "مدينة على تل" (مارسدن، 2001، ص 53). فلا حاجة إلى القمر أو النجوم ليلاً، ولا حاجة إلى نور الشمس نهاراً. إنها القدس الجديدة التي لن تنطفئ" (برستوفتز، 2003، ص344).

وما دامت أمريكا مدينة على تل، وإسرائيل الجديدة وشعبها مرتبط بميثاق مع الله، فقد كان طبيعياً أن يلعب الدين دوراً رئيساً في الحياة الأمريكية، وكان طبيعياً وبديهياً أيضاً، أن تكون الكلمة العليا للخطاب الديني، لشن حملة صليبية في الداخل والخارج، لتبرير قتل الهنود الحمر ونهب ثرواتهم، واستعباد الزنوج، وتلقين العالم دروس في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان. فمادام هناك تكليف إلهي لأمريكا باعتبارها مدينه على تل، فإنه يحق لها ما لا يحق لغيرها، وليذهب الجميع إلى الجحيم...

"وهنا يمكن ملاحظة، أن عدم اتساق السياسية الخارجية الأمريكية وازدواجيتها ليس طارئاً، بل هو تعبير عن جانبين بارزين في الشخصية الأمريكية، وكلاهما تميز بأخلاقية ما. واحدة هي أخلاقية الميراث، التي شكل مزاجها المعرفي الشعور بالنقص الإنساني، والأخرى أخلاقية : التوكيد المطلق للذات التي أشعلتها

الروح الصليبية ... والتي يأتي ضمنها تبرير التوسع، واستخدام القوة في شكل أقرب إلى الحملة الصليبية، لتحضير العالم على الطريقة الأمريكية" (مكدوجال، 2001، ص 289) .

وهكذا فإن الروح الصليبية هي التي صاغت نظرة الأمريكيين إلى حروبهم في الداخل والخارج قديماً وحديثاً، حيث لم يكن (جورج بوش) خارج هذا السياق عندما وصف حربه على العالم الإسلامي بالحرب الصليبية. فعندما نشر "ايزنهاور" مذكراته عن سنوات الحرب العالمية الثانية . كان العنوان الذي "اختاره لها هو: "حملة صليبية في أوروبا"، حيث إن الإشارة إلى الحروب الصليبية الدينية . الإيمانية – كانت لها مقاصد ومعبأة بمدلولات دينية" (هيكل، 2002، ص204)، وهي ليست بعيده عن إحساس الأمريكيين بكونهم أمة مختارة، لهم رسالة، من أجل التسريع ببزوغ فجر النظام الدولي الجديد. ونفس الشيء ردده قبل ذلك الزعيم الصهيوني (إسرائيل زانغويل) عندما، وصف فيه المحاولات البريطانية والأمريكية الرامية إلى إعادة اليهود إلى أرض فلسطين (رزوق، 1973، ص 407).

وربما هذا ما كان يعنيه بوش عندما وصف الحرب التى خاضها ضد أفغانستان، وكثير من الدول الإسلامية بدعوى محاربة الإرهاب، بأنها حرب صليبية، حيث كرر هذه المقولة كثير من أقطاب حكومته، ووصفوا هذه الحروب بأوصاف مختلفة، مره بأنها حرب بين قوى الخير وقوى الشر، ومرة بأنها صراع حضارات، إلى غيرها من الأوصاف، التي مرت هي وغيرها من التلميحات والتصريحات للمسئولين الأمريكيين مرور الكرام، ولم يتناولها محللونا بالدراسة والتحليل، بل اكتفوا بإقناع أنفسهم والرأي العام المسلم، بأنها مجرد زلة لسان، بدون أدنى محاولة لمعرفة الأبعاد الحقيقية لهذا الكلام. "فبقدر ما حاول بوش في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر أن يضبط أعصابه وأعصاب الأمريكيين تجاه أي رد فعل متهور ضد الوجود العربي الإسلامي داخل الولايات المتحدة، لامتصاص شحنة الغضب، وربما لنفخ النار فيها، كشف لأول مرة في الخطاب الأمريكي المعاصر عن احتمال أن ينطوي الرد الأمريكي والغربي عموماً على بعد صليبي" (خليل، 2003، ص35) .

1.3.5 بوش.. طغيان الحماس الديني على البصيرة السياسية

افتتحت الألفية الجديدة بجريمتين وحشيتين: الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من سبتمبر، ورد الفعل عليه الذي لا يزال يزهق أعداداً كبيرة من الأرواح البريئة" (سكراتون، 2004، ص137). وقد ارتبطت الجريمتين بتولى جورج بوش الابن السلطة، وما تبع ذلك من جرائم كبيرة أخرى، كغزو العراق واحتلاله، وممارسة بوش الابن لسياسة عدائية واضحة تجاه المنطقة العربية، أو بحسب تعبيره، قيامه بشن

حمله صليبية على العالم الإسلامي. ففي العصر الحاضر تنامى الدور الذي يلعبه الدين في الحياة الأمريكية بصوره مخيفة، بسبب تنامي قوة وتأثير الحركات الأصولية المتطرفة، التي تمكنت من الوصول إلى سدة الحكم، ممثلة بالرئيس المؤمن (جورج دبيليو بوش)، الذي يعكس بصورة دقيقه تماماً طبيعة بلده الذي يحكمه. وبالرغم من كثرة الرؤساء الأميركين، الذين أكدوا تعلقهم بجذورهم الدينية فاستشهدوا في خطاباتهم باقتباس من الكتاب المقدس، إلا أن الدين لم يفرض يوماً وجوده في الحياة السياسية الأميركية بهذه الدرجة، قبل أن يطأ (بوش الابن) عتبة البيت الأبيض (لوران، 2003، ص6). لهذا كثرت الكتابة في الصحافة الأمريكية والعالمية عن الخلفية الدينية المؤطرة لتفكير الرئيس بوش، حيث أعدت مجلة نيوزويك الأمريكية ملفاً في عددها بتاريخ (2003/03/10) عن الاعتقادات الدينية، التي تدفع جورج بوش إلى سلوكه السياسي والعسكري. وكيف ركب بوش موجة الأصولية البروتستنتية الصاعدة، وهو أحد أبنائها، ليقود أمريكا في مغامرات يطغى فيها الحماس الديني على البصيرة السياسية.

"يتألف الملف من ثلاث مقالات، أحدها بعنوان "بوش والرب"، بقلم "هاوارد فاينمان"، أحد كتاب المجلة، والثاني بعنوان: "خطيئة التكبر" بقلم البروفسور "مارتن مارتي" وهو قسيس وأستاذ بجامعة شيكاغو، ترأس "الجمعية التاريخية الكاثولية في أمريكا" سابقا، أما المقال الثالث فهو بعنوان: "البيت الأبيض: إنجيل على نهر البوتوماك"، وهو بقلم كينيث وودوارد من كتاب نيوزويك. كما نشرت صحيفة "الواشنطن بوست" عن نفس الموضوع من قبل مقالاً بعنوان: "بالنسبة لبوش.. إنه الإحساس بالتاريخ والمصير" يوم 2003/03/09م وآخر بعنوان: "عن الرب والإنسان في المكتب البيضاوي" بقلم القسيس "فريتس ريتسش" يوم 2003/03/02م وهو مقال تحليلي عميق تناول المنطق الداخلي لفلسفة بوش الدينية، وآثارها السلبية على أمريكا بلداً، وعلى المسيحية ديناً" (الشنقيطي، 2003) .

2.3.5 من مقارعة الخمر إلى الأصولية المسيحية

ولد (جورج دابليو بوش) لأبوين متدينين، هما جورج بوش الأب، وباربارا بوش في ولاية كونكتيكت الأمريكية عام 1946م، وانتقل به أبواه وهو صبي إلى ولاية تكساس، التي أصبحت موطنه ومكان صعود نجمه السياسي، وتزوج بوش عام 1977م، والتحق بالكنيسة الميتودية، التي كانت زوجته لورا عضواً فيها، وكان شخصاً عادياً غير متميز ينظر إليه الجميع على حد قول أحد المقربين، على أنه (ابن أبيه فحسب)، وكان يقضي الليل يعاقر الخمر. وعلى مر السنين أخذت لورا بوش تعرب عن استيائها وقد غاظها انحراف زوجها، وفي عام 1985 غرق بوش في أزمة شديدة، وكان عندئذ في التاسعة والثلاثين من عمره، بعد أن تراكمت خسائره المهنية (لوران، 2003، ص11). ولكنه حظي بتدخلات كثيرة لإنقاذه من الإفلاس، وكان ذلك يتم في محاولات من رجال الأعمال للتقرب من والده. وبالرغم من ذلك عاد بوش مرة أخرى للبيرة

والنبيذ، حتى يوم 1986/7/27م حين اكتمل عمره أربعين عاماً، حيث يقول: إنه ركع على ركبتيه وأقسم لزوجته (لورا) بأن لا يعود إلى ذلك مرة أخرى طالباً مساعدة الله في تحقيق ذلك. وكانت لورا صاحبة الفضل في إقناعه بالكف عن الشراب، والأخذ بيده إلى الكنيسة، التي اعتادت الذهاب إليها، ولكن التغير في شخصية بوش:

"بدأ خلال اجتماع عقد عام 1984م في إحدى كنائس ميدلاند مع القس أرثر بليسيت، الذي كان يجوب العالم حاملاً الصليب، للدعوة إلى المسيحية. وحضر الآلاف من أهالي ميدلاند محاضرة بليسيت، وبعد المحاضرة طلب (جورج دبليو) لقاء بليسيت. وخلال اللقاء وضح لجورج دبليو أنه غير متأكد من موقفه من المسيحية، ولكنه مع نهاية اللقاء شعر بالرغبة في التوبة، وطلب من بليسيت الدعاء له. وسرعان ما بدأ (جورج دبليو) في قراءة الإنجيل، والصلاة يوميا، وفي المشاركة بحلقة لدراسة الإنجيل مع بعض أصدقائه، وتوقف عن شرب الخمور، وبدأ الجميع يرون تحولا في حياة بوش على نحو أكثر جدية" (مانسفيلد، 2004).

ولكن الرجل الذي أثر في حياة جورج بوش الدينية ونقله نقلة جذرية من حياة الإدمان إلى حياة الأصولية المسيحية، هو القسيس (بيلي غراهام) الذي استغل شعبيته الهائلة في الحصول على صداقة كبار الزعماء السياسيين، وأصبح من المترددين بانتظام على البيت الأبيض طيلة عهود عديدة من الرؤساء (مارسدن، 2001، ص 231). وقد أثنى بوش على شيخه بيلي غراهام مرة، فقال: "إنه الرجل الذي قادني إلى الرب". حيث استطاع جراهام إقناع بوش بالانضمام إلى طائفة (الميسوديث)، المعبرة عن التحالف الصهيوني المسيحي، وسار بوش مع هذه الطائفة حتى صار أحد أعمدتها الأساسية (السقا، 2003، ص 126)، و وصل إلى مرتبة عالية يطلق عليها (المعلم). ومن يحصل على هذه المرتبة، لا بد أن يكون قد درس باستفاضة متناهية مبادئ (الميسوديت)، وبدأ يطبقها ويدعو إليها عملياً. ولما كان عيسى معلماً فإنه يريد أن يتشبه به كخليفة له، حيث نجح (بوش) في اجتذاب مئات الشباب للانضمام إلى الميسوديت، وكذلك برع في قدرته على إقناع الآخرين بهذه الأفكار. لهذا فقد كان جورج بوش الابن، رافضاً للطريق السياسي في البداية، بحجة أن الرب يريده للعبادة والتدين، ونشر المذهب الديني الصحيح في العالم كله، وأن السياسة ستأخذه من هذا الطريق، ولكن بعد حوارات عدة، اقتنع بأهمية السياسة لنشر الدين" (السقا، 2003، ص 128).

فمع بداية العام 1999م، راحت تراود (جورج بوش الابن) فكرة ترشحه للرئاسة، فكلم أمه (باربرا) بالأمر أولاً، في أحد الأيام قبل أن يقصدا الكنيسة معاً لحضور القداس، وكانت العظة تتناول في ذلك

اليوم شكوك موسى حول كفاءاته كزعيم، فكشفت باربرا لابنها بالعبارة الآتية: (إن شخصك أشبه بشخص موسى (لوران، 2003، ص 17). ويوضح (ستيفن مانسفيلد) ذلك بقوله:

"إن فكرة ترشيح (جورج دبليو) نفسه للرئاسة جاءته أول مرة خلال حضوره صلاة بإحدى كنائس تكساس، وكان القس (مارك كرايج) يتحدث في تلك الصلاة عن قصة موسى (عليه السلام) ويقول إن موسى "تردد بعض الشيء في قبول دعوة الله له لقيادة الناس"، في حين أن الناس في أشد الاشتياق، لقيادة تمتلك رؤية وشجاعة أخلاقية. وخلال الصلاة شعر (جورج دبليو) بأن الدعوة كانت موجهة إليه، وذلك قبل أن تلتفت إليه أمه الجالسة بجواره، وتقول له: إن القس "كان يتحدث لك"، وبعد فترة قصيرة اتصل جورج دبليو بالقس (جيمس روبيسون) وقال له: "لقد سمعت الدعوة، أعتقد أن الله يريدني أن أرشح نفسي للرئاسة" (مانسفيلد، 2004).

ويقول (هوارد فاينمان) تحت عنوان (بوش والرب): إن الرئيس بوش جمع عدداً من القساوسة قبل أن يرشح نفسه للرئاسة كي ينال بركاتهم، وأخبرهم بأنه تمت دعوته لينال منصباً أرفع في بلاده ! (نيوزويك، 2003، 10آذار، مارس). ولم يكن بوش أول رئيس أمريكي يفعل هذا، فقد سبقه ريغان الذي كان يصدق ما تقوله له قارئة الفنجان، والذي تحول بفضل الحظ الذي يؤمن به من نجم مطفأ في سماء هليوود إلى نجم ساطع في البيت الأبيض. وقد لعب الواعظ الأمريكي بيلي جراهام دوراً في تنوير السانت بوش، بحيث اعترف بأنه ولد مرة أخرى، وحرر روحه من الداء القديم (منصور 2003، 10، آذار، مارس). وبيل غراهام . لمن لا يعرفه . هو أبرز وجوه اليمين المسيحي الصهيوني في أمريكا وهو واعظ ذو شخصية كاريزمية يذهب إلى بوش وعائلته وأصدقائه بصورة دوريه ليس فقط للصلاة ، بل للحديث عن قيادة العالم. وفي البداية كان (جورج بوش) يتابع ذلك بلا أدنى اهتمام. وتدريجيا بدأ اهتمامه في الازدياد إلى الحد الذي قال فيه يوماً: "هناك حبة نبتت في قلبي، وبدأت أشعر أنني أتغير"، وكان ترك الخمر هو أول قرار يأخذه بعد التحول، ومنذ ذلك الوقت أصبح بوش واحدا من الستين مليون أمريكي، الذين يؤمنون (بالولادة الثانية للمسيح) وهذا ما دعاه للقول بأن المسيح هو أهم الفلاسفة السياسيين في جميع الأزمنة، لأنه ساعدني على التوقف عن شرب الخمر" (هنتنجتون، 2009، ص459).

3.3.5 الإعداد لترشيح بوش للانتخابات

"كان الدين عاملاً رئيسياً في الانتخابات الرئاسية عام 2000 ومن المحتمل أنه كان أكثر أهمية عما كان في أية انتخابات أخرى في التاريخ الأمريكي"(هنتنجتون، 2009، ص455). وباعتباره مرشحاً يمثل

المحافظون الجدد أو اليمين المسيحي المتطرف، فقد ركز بوش خلال حملته الانتخابية على إبراز تدينه حيث كان يقول: "إنه يبدأ حياته كل يوم بقراءة الكتاب المقدس، الذي يشمل الإنجيل والتوراة العبرانية. ووضح الأمر أكثر (تونى ايفانز) أحد مستشاري بوش الروحيين، بقوله: "تعاليم الإنجيل كانت سبباً رئيساً لاتخاذ بوش قراره بالتقدم لانتخابات الرئاسة، إنه شعر أن الله يكلمه، وأن واجباته قد تحددت بتكليف من الله، بقوله: "إنني اقتنعت بأن ثقافتنا بكاملها يجب أن تتغير بصورة جذريه، وإلى الأبد، فنحن نحتاج إلى تجديد روحي في أمريكا". وحسب تفكير بوش "تنبثق السلطة من فرضية أن الله وضع الطبيعة في خدمة الإنسان للإستفادة منها استفادة فورية ودائمة" (لانداو، 2005، ص66). ولم يقتصر الاهتمام بالدين على بوش، بل إن منافسه آل جور "وصف كيف أنه قضى عاماً في مدرسة للاهوت، ليكتشف أهم المسائل عن الهدف من الحياة، وعن علاقتنا بالخالق، وعن التزامنا الروحي تجاه بعضنا بعض. وخلص إلى أن الغرض من الحياة هو تعظيم الله. "أننى اتجه إلى إيماني باعتباره الأساس لمدخلي إلى أيه مسأله مهمة في حياتي. وهو عندما يواجه قراراً صعباً يسأل نفسه: كيف كان المسيح سيتصرف؟" (هنتنجتون، 2009، ص460).

في هذا الجو عمل (بوش الأب) منذ مطلع عام 1998م على ضمان التنسيق والمساعدة مع مستشاريه السابقين، وذلك لترشيح نجله للرئاسة الأمريكية، حيث كانت الأجندة الجديدة تسعي إلى الضغط من أجل تنفيذ المرحلة التالية من النظام العالمي الجديد. وفي صيف 1998م، انطلقت رسمياً حملة (جورج دبليو بوش) الرئاسية حيث ظهر جنباً إلي جنب مع والده بوش الأول فريق كبير مكون في معظمه من رموز كبري سابقة في إدارة (بوش الأب). وبعد أن فاز بوش الصغير وتشيني بالانتخابات، تم تعيين هؤلاء، في مناصب حساسة في الادارة الجديدة، وذلك لاستكمال مهمتهم في تنفيذ المرحلة التالية من إعادة صياغة وتشكيل النظام العالمي (زلوم، 2003، ص48).

وهكذا تحول بوش من إنسان غائب عن الوعي بفعل الإدمان على الكحول إلى رئيس أمريكي ثم إلى قائد عسكري يسعى لشن الحروب، حيث كانت الولادة الثانية لبوش يوم 11 أيلول، سبتمبر، فقد كان حتى هذا اليوم مجرد حاكم بلا هدف، ولكن الهجوم على نيويورك وواشنطن أعطيا رئاسته الهدف والسبيل، وبعدها بدأ الحديث بمصطلحات دينيه مثل: معركة الخير ضد الشر، العدالة الأبدية، الحرب الصليبية، ثم مصطلح محور الشر، الذي بدأ يضع فيه أعداءه، خاصة إيران والعراق وكوريا الشمالية"ويشبه المؤرخون بوش الابن بويليام ماكينلي (1898 – 1901) في طريقة تصرفه، فكان غير ناضج سياسياً وثقافياً، حتى إنه جمع كبار القساوسة في أميركا يوماً، ليشرح لهم حركة التوسع فقال: "إن الله أوحى إليّ أنه يمنحني

جزراً وبلداناً، فاختاروا، إما إعادتها وتركها للجهلة من سكانها، وإما أن تحرس أميركا التي هي (جندي الرب) تلك الأراضي". وأعاد تكرار ذلك في خطابه لشعبه فقال: "إننا لم نذهب إلى الفيليبين لاحتلالها، إن المسيح زارني، وطلب مني أن نتصرف كأميركيين، ونقدم لشعب الفيليبين الحضارة التي يستحق" (هيكل، 2005، ص66)

4.3.5 جدلية الدين والسياسة في تفكير الرئيس بوش

لاحظ كثيرون أثر الدين في رؤية بوش السياسية، بشكل غير معهود في الحياة الأمريكية: فهو يميل إلى التفسير الديني للأحداث السياسية، وقد قال في حديث للمذيعين الدينيين: "إن الإرهابيين يمقتوننا، لأننا نعبد الرب بالطريقة التي نراها مناسبة". كما يكثر في أحاديثه وخطاباته إيراد المصطلحات الدينية. فهو كثير الحديث عن (الرب) وعن (الصراع بين الخير والشر). وما مصطلح (محور الشر) إلا مثالاً واحداً على ذلك. وقد لاحظ أحد الكتاب أن بوش يفضل استخدام مصطلح (الحرية) على مصطلح (الديمقراطية). وأن الحرية في عرف بوش ذات مدلول ديني، فهي ليست حرية الخيار السياسي بالضرورة، بل (حرية اكتشاف الرب) بكل المدلول المسيحي التبشيري لذلك. وذكرت مجلة نيوزويك أن أنصار بوش من الإنجيليين يأملون أن تكون الحرب على العراق فاتحة لنشر المسيحية في بغداد، بسبب "الجوع الروحي في العراق في الوقت الحاضر" (نيوزويك، 2003، 10آذار، مارس). ويميل الرئيس (بوش) إلى اعتماد البرامج الاقتصادية والاجتماعية، التي ترسخ الدين المسيحي في المجتمع الأمريكي وفي العالم. "فبعد عشرة أيام من تولي الرئيس بوش الابن السلطة وضع برنامجه للدعم الفيدرالي للجماعات الدينية التى تقدم خدمات اجتماعية، ومنها إنشاء مكتب في البيت الأبيض للمبادرات القائمة على الإيمان، ومراكز في خمس وزارات لتسهيل تنفيد هذا البرنامج" (هنتنجتون، 2009، ص 452).

> "ومن أمثلة ذلك داخلياً تخصيصه بنداً من الميزانية لتمويل المؤسسات التربوية والاجتماعية الدينية، من كنائس ومدارس دينية وغيرها، وهي سابقة في تاريخ الولايات المتحدة، اعتبرها كثيرون بداية النهاية للموقف الحيادي من الدين الذي يلزم الدستور الأمريكي الحكومة به. وبذلك يكون بوش هو أول رئيس أميركي يمول التعليم الديني من ميزانية الدولة الأميركية، التي يفترض فيها أنها دولة علمانية تقف من الدين موقف الحياد" (أبو شعيره، 2002، 14، كانون أول، ديسمبر).

ويشير الكاتب الصحفي (بوب وودوارد) في كتابه: (بوش محارباً) إلى قصة طريفة تكشف عن جانب من جدلية الدين والسياسة في تفكير بوش. فقد حكى بوش للكاتب في إحدى مقابلاته معه أثناء إعداد الكتاب قصة لقائه الأول مع الرئيس الروسي (بوتين) يوم 19حزيران، يونيو 2001. يقول بوش:

"دخل الرئيس بوتين وجلس ... وحضر المترجمان.. وأراد بوتين أن يبدأ الكلام، لكني بادرته بالقول: السيد الرئيس.. دعني أبدأ بالإشارة إلى أمر لفت انتباهي، وهو أن والدتك أعطتك صليباً، وأنكم باركتم ذلك الصليب في إسرائيل الأرض المقدسة. فقال: صحيح. فقلت: إن هذا الأمر يثير عجبي، لأنك كنت شيوعياً وضابطاً في (الكي جي بي) ومع ذلك كنتَ راغباً في حمل الصليب، إن هذا الأمر بالنسبة لي يحمل من المعنى أكثر مما تحمله مجلدات". ثم يضيف الرئيس بوش: "..وبدأ بوتين يتحدث عن ديون روسيا... لكني كنت مهتماً أكثر بمعرفة هذا الرجل (بوتين)، الذي عليّ أن أتعامل معه، ولهذا أردت التأكد من صحة قصة الصليب"(بوب، 2003).

ولكن هذا الحماس الديني الذي هو مصدر قوة الرئيس بوش وطاقته، فهو أيضاً مصدر ضعفه وسوء تقديره للأمور. وليس هذا رأي أعداء الرئيس بوش ومنتقديه فحسب، بل هو قول مساعديه ومقربيه كذلك. وقد ذكرت مجلة "نيوزويك" أن مستشاري الرئيس بوش يدركون أن "العديد من الأمريكيين، وكثيرين عبر العالم، يعتبرونه رجلاً أعمته معتقداته، عن فهم تعقيدات العالم المحيط به". "يقول مساعدو بوش: إن معتقداته المسيحية المتأججة تحت السطح تمنحه قوة وعزماً، لكنها لا تعينه على فهم السياسات اللازم اتباعها" (نيوزويك، 2003، 10آذار، مارس)

5.3.5 مكانة بوش على الخريطة الدينية الأميركية

تتسم الخريطة الدينية للولايات المتحدة بشيء من التعقيد، الا ان أنصار بوش هم في الغالب الأعم من البيض البروتستنت، وممن ينتمون للكنيسة المعمدانية، والكنيسة المنهجية، التي ينتمي إليها بوش. وقبيل الانتخابات، وفي 2001، كشفت صحيفة واشنطن بوست عن تطور غيرعادي وهو: "إستقالة روبرستون كرئيس للإئتلاف المسيحي، وأكدت صعود زعيم جديد لليمين الديني في أمريكا هو جورج بوش الأبن" (عبد السلام، 2005، ص199). ونتيجة لهذه العلاقة الحميمة بين بوش والتيار المسيحي الأصولي، وفرت الكنائس الإنجيلية المتصهينة لبوش فوزاً على منافسه الجمهوري (ماكين)، ثم فوزاً ملتبساً على منافسه الديمقراطي (آل جور). ولهذا فإن الذين يوجهون الرئيس الأميركي هم قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية. فالرئيس بوش هو من النوع الذي لا يدخل في نقاش مع نفسه، ولا يمارس التساؤل، لكونه ينطلق من مرجعية دينية. ولم يكن غريباً، أنه صنف مجتمعات العالم إلى متحضرة وغير متحضرة، وخيرة وشريرة وعليها أن تختار أن تكون ضده أو معه.

"ومن هذا المنطلق الديني الأصولي يرى أن الأحداث التاريخية تتم كما قال الكاتب (جاكسون ليرز) على (يد إله عادل ومخلص)، وأن رئاسته جزء من خطة مقدسة. حتى أنه قال لصديق له عندما كان حاكماً لولاية تكساس: "إن الله يريده أن يترشح للرئاسة .. وأوعز للولايات المتحدة بأن تقود حملة صليبيه تحريرية

في الشرق الأوسط. بل ذهب (جاكسون ليرز) في هذه المقالة إلى القول بأن اللغة الدينية الأصولية كثيراً ما تستعمل في الثقافة السياسية الأميركية، خصوصا بين أنصار بوش، الذين يؤمنون بأنهم يعملون بإرشاد إلهي وينفذون إرادة الله" (السماك، 2003، ص63).

6.3.5 علاقة بوش مع الكنيسة الكاثوليكية

الكنيسة الكاثوليكية التي يقدر أتباعها بحوالي 60 مليون شخص، لا تربطها علاقة ود بالرئيس بوش، لأسباب سياسية ودينية وتاريخية كثيرة . فكما هو معروف تأسس الحزب الجمهوري في عام 1854، بعد الهجرة الكاثوليكية المتنامية نحو أمريكا، وظهور تيارات دينية جديدة، حيث بدأت بعض المفاهيم تؤثر سلباً في اللغة الدينية السائدة في ذلك الوقت، وشعر البيوريتانيون بأن دولة الفضيلة التي عملوا على تأسيسها، تدخل مرحلة الانحدار، فجاء تأسيس الحزب الجمهوري عام 1854 معيداً الخطاب الديني والأمل البيوريتانى إلى الوجود. فالتف اليمين البروتستانتى حول هذا الحزب الجديد بقوة على اعتبار أن برنامجه السياسي، الذي تطغى عليه القيم الدينية ينسجم مع طموحاتهم ببناء أمريكا المسيحية، حيث يمثل الحزب الجديد القيم المسيحية البيوريتانية الحقيقية والذي سوف يعمل على تحقيق النبوءة التوراتية بإقامة مملكة الرب "يهوه" (حرب، 2003، 9، آذار، مارس).

وفي أواخر السبعينات والثمانينات من القرن الماضي حدث تحول يثير الاهتمام بوجه خاص، ألا وهو العلاقة الوثيقة المتزايدة بين اليمين المسيحي الجديد والحزب الجمهوري، حيث لم تبدأ هذه الصلة في أواخر السبعينات. فالعلاقة بين (بيلي جراهام) (ودوايت أيزنهاور) شيء معروف، مثله كمثل صلوات الإفطار في البيت البيض الأبيض أثناء فترة رئاسة نيكسون، ثم وصلت العلاقة إلى آفاق جديدة مع ترشيح (ريغان) ثم فترة رئاسته (كوربت، 2002، ص 155).

إن هذه الخلفية المتطرفة للحزب الجمهورى، ربما توضح سبب تطرف (بوش الابن) وتعصبه ليس فقط تجاه العرب والمسلمين، بل تجاه المسيحيين الكاثوليك، حيث عرف عنه علاقاته الحميمة بالتيار الأصولي المسيحي المتطرف في أمريكا، وبأكثر زعماء هذا التيار تطرفاً، أمثال (جون ايفانس)، وغيرهم، والذين يعتقدون أن الاتحاد الأوروبي، وبالذات دوله الكاثوليكية، هم من قوى الشر، التي ستحارب أمريكا في المستقبل، ويسمون دولها العشر بالوحش الذي ورد ذكره في نبوءات التوراة (هالسيل، 2000، ص 46). ولهذا لم يكن مستغرباً أن يرتبط بوش بعلاقات حميمة مع أكبر جامعة أصولية متطرفة، وهى جامعة (بوب جونز) التي أسسها القس المتشدد بوب جونز، والتي تناصر الآراء المضادة للكاثوليكية، حيث يصف رؤساؤها البابا بأنه عدو المسيح، ويمنعون الاختلاط العرقي بين الطلبة. يقول بوب جونز: "أفضل أن أرى

حانه في كل ناصية على أن أرى كاثوليكياً في البيت الأبيض. بل أفضل أن أرى زنجياً كرئيس عن أرى رئيساً كاثوليكياً" (بلاكر، 2005، ص211)

7.3.5 بوش واليهود وإسرائيل

يسوق الإسرائيليون بسهولة في الإعلام الأمريكي، وفي الأفلام والأدب، وفي أوساط الرأي العام الأمريكي، على أنهم خلاقون، مبدعون وقادرون على تحويل الصحراء إلى جنان خضراء، كما أنهم يعتنقون العقيدة الديمقراطية. "وتذهب أغلب المنظمات اليهودية المدافعة عن إسرائيل إلى حد اعتبارها الدولة الوحيدة الديمقراطية في الشرق الأوسط، تعيش وسط محيط من الديكتاتوريات والأنظمة السلطوية والتسلطية العربية التي لا تحترم الحد الأدنى من حقوق الإنسان" (يوسف، 2009، 295). وقد لاحظت الكاتبة جريس هاسيل "أن الأصوليين المسيحيين في أميركا مستعدون لتقبل نقد موجه لفرنسا أو إنجلترا، أو ألمانيا، أو إيطاليا، أو الولايات المتحدة، أو أي بلد آخر في العالم، لأن ذلك شأن سياسي، أما نقد إسرائيل فهو يساوي عندهم نقد الرب ذاته" (هالسيل، 2000، ص80). وفي تجمع للائتلاف المسيحي، ادعى متحدث، بأن هجمات 11 أيلول، كانت عقوبة إلهية لعدم فعالية الدعم الأمريكي لإسرائيل" (أولدفيد، 2003، 31،28 آب، أغسطس). وقد استغربت هالسل كيف أصبح اليهود في نظر العديد من المسيحيين الأميركيين أقرب وأهم من المسيحيين الآخرين، بمن فيهم المسيحيون الفلسطينيون، كما استغربت كيف أن بعض المسيحيين الأميركيين مستعدون لتجاوز الخطوط الحمراء في خدمة الأهداف اليهودية، أكثر من اليهود أنفسهم، كما دلت عليه حاثة اعتقال الشرطة الإسرائيلية مجموعة من الأميركيين كانوا يخططون لنسف المسجد الأقصى عام 1999"(هالسل، 2000، ص 89).

وباعتباره أحد أعضاء الكنيسة الميثودية البارزين، كان بوش دائم التردد على إسرائيل، لأنهم يعتبرونها البقعة المباركة في هذا العالم، وأن المسيحية الحقه جاءت لتقييم التحالف الروحي لإنقاذ العالم من خلال الاعتماد على التوراة، التي تمثل قيمة دينية عليا، وأن العالم لابد أن يبعث على أساس من التوراة والإنجيل الحق، ولهذا فإن بوش عندما يقرأ كل يوم في كتابه المقدس، فهو لا يقرأ الإنجيل المتداول بين المسيحيين، وإنما يقرأ الكتاب المقدس للميثوديت، الذي يجمع بين التوراة والإنجيل، حتى إن صلواته التي يؤديها كل يوم وبانتظام، تعبر عن فكر الميثوديت والتحالف الصهيوني المسيحي، ولا تعبر عن المسيحية المعروفة في الشرق أو الفاتيكان. والمتتبع لنشاط طائفة الميثوديت يرى أن أعدادها في تزايد مستمر بين الطوائف المسيحية، حيث أن هؤلاء هم بالأساس أصحاب هذه الفكرة في إقامة التحالف المسيحي . الصهيوني ضد الإسلام" (السقا، 2003، ص 127، 128).

يقول (مات بروكس) اليهودي الجمهوري: "إن جورج بوش، وبسبب إيمانه الديني العميق، يعتقد أن إسرائيل هي وطنه الروحي، بقدر ما هي وطن روحي لي أنا اليهودي". ولبوش أصدقاء ذو اهتمامات بالغة العمق بإسرائيل. وتشير مجلة نيوزويك إلى أن موقف بوش من إسرائيل والفلسطينيين قد يكون في النهاية موقفا ايديولوجياً، وحتى دينياً متطرفاً، وليس موقفاً سياسياً بحثاً. وتضيف أن زيارة بوش إلى إسرائيل في العام 1998م، التي رتبها له ضمن مجموعة من حكام الولايات الآخرين صديقه "مات بروكس" وقام في أثنائها بجولة في طوافة مع شارون، فوق الضفة الغربية والجولان، لم تكن فقط زيارة استطلاع على جغرافية إسرائيل، ولا حتى جولة سياسية، لقد كانت رحلة في التاريخ التوراتى.. لقد تربى بوش مع مجموعة يهودية، وهو شخصياً يقدر عالياً الدين اليهودي. وقد صرح بوش أكثر من مرة بأن "اليهود هم شعب الله المختار الوحيد على وجه الأرض" (أبو شعيره، 2002، 14، ديسمبر).

وخلال الأشهر السابقة من وجوده في البيت الأبيض، لم يثبت الرئيس الأمريكي ما يدحض هذه الآراء، بل إنه، وإضافة إلى إطلاقه يد المحافظين الجدد في السياسات الخارجية، الشرق أوسطية منها خصوصاً، بنى نظاماً يستند بكل صراحة إلى البروتستانت الأصوليين، هؤلاء المتعصبون المقتنعون بأن الولايات المتحدة تؤدى دوراً مركزياً في صراع الخير التوراتى ضد الشر، وهذا الدور الذي يستند إلى يقين بأن هذا البلد ينبغي أن يقود العالم .

وقد توصل أحد الباحثين الأميركيين مؤخراً بعد دراسته لكل أحاديث بوش وخطاباته . إلى أن بوش أصولي مسيحي، يؤمن بأن الضفة الغربية وقطاع غزة منحة ربانية لليهود لا يجوز التنازل عنها، وهو نفس الاعتقاد الذي عبر عنه (التحالف المسيحي) بقيادة (بات روبرتسون) في مسيرة له بواشنطن العاصمة، طالب فيها القادة الإسرائيليين بعدم التنازل عن الضفة الغربية وقطاع غزة، لأن ذلك "مناقض لإرادة الرب" (أبو شعيره، 2002، 14، كانون أول، ديسمبر).

وربما كان إعجاب الرئيس (بوش) الشديد باليهود، وتبنيه لبرامجهم هو الذي دفعهم إلى الانضمام إلى الحزب الجمهوري. فبالرغم من وجود يهود في الحزب الديمقراطي، إلا أن الجماعات اليهودية بدأت في الأعوام الأخيرة تميل إلى الحزب الجمهوري لأن ولاءه للمسألة اليهودية نابع من اعتقاد ديني ثابت، مجرد من الاعتبارات السياسية والإستراتيجية في الغالب. " فالصهيونية المسيحية تعتمد في الأساس على فكرة (أن كل شئ من أجل إسرائيل)، ولهذا قدر لها التأثير في السياسة الخارجية الأمريكية، بنفس طريقة تأثير اليمين المسيحي على القضايا الداخلية" (عبد السلام، 2005، ص213)

8.3.5 بوش والعرب والمسلمون

في مقابل هذه النظرة المؤيدة والمنحازة بالكامل لإسرائيل يجب ألا تدهشنا نظرة هؤلاء البروتستانت الانجلوسكسون للعرب، فطبقا لتشرشل فالعرب ليسوا أكثر من قوم متخلفين يأكلون روث الجمال، بينما طالب لورنس اوليفانت (1829 . 1888م) بطرد العرب مثل الهنود الحمر لأنهم غير جديرين بأي معاملة إنسانيه" (حسين،1993، ص53). ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الأصوليين المسيحيين أكثر جرأة في الطعن في الإسلام، وجرح مشاعر المسلمين، من حلفائهم اليهود. كما تدل عليه تصريحات (فرانك غراهام) و(بات روبرتسون) و(جيري فالويل) حول الإسلام خلال الأعوام المنصرمة (عماد، 2003، ص96). "ففي أمريكا ينظر إلى العرب والمسلمون، الذين ينتمي لهم الفلسطينيون، بصورة نمطية سلبية، فالكتب والمقالات الصحفية والدراسات والأبحاث المختلفة التي تغطي مسائل العروبة والقضايا العربية، تظهر العرب على أنهم متخلفون ومتشددون" (يوسف، 2009، ص295). وقد أشار إدوارد سعيد إلى وجهة النظر هذه حيث قال: "هناك خوف من العرب وكراهية لهم إلى درجة أن هذا الخوف والكراهية يعتبران من المكونات الدائمة للسياسة الأمريكية تجاه العرب وقضاياهم المختلفة منذ الحرب العالمية الثانية، وأن أي شيء مرتبط مع العرب والمنطقة العربية والإسلامية، ينظر له في أمريكا على أنه تهديد لإسرائيل" (شديد، 198 ، ص-70 71)

والرئيس بوش لم يشذ عن هذه القاعدة، بل كان أكثر تطرفاً من غيره في هذا المجال. ففي مقابل مواقفه السابقة من اليهود، نجد مواقفه من المسلمين على النقيض. فمن سخريات القدر أنه بالرغم من أن الرئيس (بوش) مدين للمسلمين في أمريكا بوصوله للحكم . حيث أعطوه 70% من أصواتهم، في حين أعطى اليهود أصواتهم للمرشح الديمقراطي (آل جور) ونائبه اليهودي (ليبرمان) . ولكن بالرغم من ذلك قلب بوش ظهر المجن للمسلمين، وتعرض المسلمون في أمريكا، وفى العالم لأسوأ حملة إرهاب وتعصب وملاحقة في تاريخهم، بسبب حملة التضليل والتزييف التي قادتها إدارته الجمهورية اليمينية المتطرفة ضد المسلمين.

فبعد أحداث 11أيلول، سبتمبر2001، دعا الواعظ الأصولي (بات روبرتسون) أتباعه للصلاة "كي يمنع الرب انتشار الإسلام في أمريكا" كما قال: إن الإسلام دين تخلف ورق وعبودية، وأضاف: إن العالم الإسلامي مرتع لعمل الشيطان. وهذا الكلام الذي قاله (روبرتسون) لا يختلف كثيراً عما قاله ويؤمن به الرئيس بوش، الذي تأثر كثيرا بأفكار القس جراهام (وأصبح) واحداً من مريديه المقربين وكان يبدو مقتنعا بما يردده (جراهام) من أن المسلمين، هم الذين يشكلون الخطر الأكبر على عودة المسيح إلى الأرض،

وإن هؤلاء المسلمون لا يتبعون ملة دينية، وإنما يتبعون رجلاً اسمه محمد .. الخ (الطويل، 2009، ص98). وكان يقول له دائما: إن المسيحية تعرضت للكثير من التغيير والتبديل على يد المسيحيين، الذين أرادوا تحويلها لمنافع شخصية لهم، وقد آمن بوش بهذه الأفكار، وراح يرددها أمام زوجته والمقربين منه، وكان يقول لها: المسلمون ليسوا أصحاب ديانة والمسيحيون أصحاب ديانة، تعرضت للتغيير، والرب غاضب على هذا العالم الذي غير دينه" (نيوزويك، 2003، 10آذار، مارس). وبالرغم من أن الرئيس بوش اضطر لأسباب دعائية إلى وصف الإسلام على أنه "دين سلام، خلال زيارته للمركز الإسلامي بواشنطن إلا أن هذه التصريحات أثارت عاصفة من النقد في أوساط اليمين المتدين، إلى حد قول أحد رجال الدين .

> "يمكننا أن نتحمل 11 سبتمبر ولكن لا يمكننا أن نتحمل 17 سبتمبر. كما وقف قادة اليمين المتدين موقفا أكثر تشددا تجاه الإسلام والمسلمين بعد أحداث سبتمبر، عبر عنه (فرانكلين جرام) خلال مقابلة أجرتها معه قناة NBC الأميركية في 16 نوفمبر 2001م إذ قال "لا أعتقد أن هذا (الإسلام) دين رائع ومسالم.. عندما تقرأ القرآن فإنه يدعو لقتل الكفار وغير المسلمين.. من قاموا بالطيران في أبنية ليسوا طائفة مسيحية (ما).. الهجوم كان على بلدنا من قبل أعضاء بالديانة الإسلامية" (مانسفيلد، 2004).

وقد سار بوش على خطى معلمه في موقفه من الإسلام، حيث كان يرى في الإسلام انه دجل ديني، وأن المتخلفين والمتعصبين هم الذين يحركون الناس نحو هذا الإسلام، وقد دفعته هذه القناعة إلى الاقتناع الكامل بمقولات القس (جراهام) وابنه (فرانكلين). (السقا، 2003، ص 126). وفي البداية كان (جورج بوش) يريد أن يكون داعية (للميثوديت) في البلدان الإسلامية والعربية، إلا أن (جراهام) و(فرانكلين) أقنعاه بأن المهمة الأولى هي تطهير المسيحية والرجوع إلى أصولها الأولى، بينما كان بوش يخالفهم، ويرى أهمية القضاء على المسلمين أولا قبل التفكير في إصلاح أحوال المسيحيين، ولهذا فان من كتبه المفضلة التي يقرأها يوميا في البيت الأبيض. طبقا لنيوزويك. كتاب للقسيس "أوزوالد شامبرز" الذي مات في مصر عام 1917م وهو يعظ الجنود البريطانيين والأستراليين هناك، بالزحف على القدس وانتزاعها من المسلمين. كما أن بوش كان ينفي دائما في جلساته مسألة الوجود الديني للإسلام وكان يقر بأن المسيحية الحقة ستنتصر في النهاية (نيوزويك، 2003، 10آذار، مارس)

وهذا التعصب الأعمى والحقد على الإسلام له جذور عميقة في عائلة بوش حيث إن الجد الأكبر لبوش الابن (1796–1859م) ألف كتاباً عن حياة محمد – صلى الله عليه وسلم – ونشره في سنة

1831م ووصف فيه المسلمين أبشع الصفات، ولذلك يعد الكتاب من أشنع وأقذر ما كتب في الولايات المتحدة عن العرب والمسلمين، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

"ويعتبر كتابه المسمى "وادي الرؤى" عمل إحياء لرميم إسرائيل، وهو يذاع في أبرز المحطات الصهيونية الأمريكية الداعية إلى ضرورة العمل، من أجل تجميع يهود العالم في فلسطين، وتدمير وسحق إمبراطورية (السارزان)، وهذه التسمية كانت تطلق على العرب والمسلمين إبان الحروب الصليبية في العصور الوسطى، وكان يطلقها الرومان على بعض رعاياهم وعبيدهم تحقيراً لهم. يقول (بوش الجد) في كتابه: ما لم يتم تدمير إمبراطورية السارزان فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم"، وهذا القول مقتبس من كتاب حياة محمد لجورج بوش (الجد الأكبر) لبوش الابن، وهذا الكتاب هدى الكثيرين لفكر (جورج بوش الابن) وأبيه قبل ذلك" (السقا، 2003، ص 43) .

9.3.5 بوش والحرب الصليبية

بعد أن عرضنا للخلفية الدينية المتطرفة للرئيس بوش، فإن ما يهمنا هنا بالدرجة الأولى، هو التعبير السياسي لها، والذي تجلى بعد أحداث 11 أيلول، سبتمبر، في ذلك الخطاب الديني المتطرف، الذي يشبه إلى حد كبير الخطاب الديني، الذي كان سائداً إبان الإمبراطورية الرومانية، وتكفي عودة سريعة في هذا الصدد إلى جملة خطابات وتصريحات الرئيس بوش، التي أعقبت أحداث سبتمبر، للتيقن التام من ذلك. "فبعد هجمات سبتمبر، استل الأصوليين الأمريكيين سيوفهم ورفعوا لواءات الصليبية الجديدة" (عبد السلام، 2005، ص202)، وعبارات الحرب العادلة والحرب الصليبية، وهي العبارة التي نطق بها الرئيس بوش، ثم عاد فسحبها تحت وطأة المخاوف من عواقبها، فضلاً عن تقسيم العالم إلى معسكر خير وآخر للشر، تتقاطع كلياً مع تخريجات السلطة الدينية الكنسية، في عصر الإمبراطورية الرومانية التي ابتدعتها لإسعاف القيادة السياسية، من تحقيق أهدافها الاستعمارية. فالخطاب هو الخطاب، واللغة هي اللغة، والمفردات هي المفردات، لا يكاد يفرقها عن بعضها بعضاً سوى الزمن والمكان اللذين صيغت وخطت وقيلت فيهما والشخوص الذين صاغوها وخطوها ونطقوا بها. فهل نقول ما أشبه الليلة بالبارحة ؟ يبدو أن الأمر كذلك .. أو ليس التاريخ في بعض فصوله، يعيد إنتاج نفسه مرة بصورة مأساوية، وأخرى بصورة تراجيدية (الصياد، 2003، 15، شباط، فبراير).

نعم إن التاريخ يعيد نفسه، ولكن هذه المرة بناء علي رغبة جماعات مسيحية يمينية متطرفة، استطاعت السيطرة على مقاليد الحكم في أمريكا، وتمكنت من الدفع بقيادة متطرفة إلي البيت الأبيض، ممثلة بجورج بوش الابن، الذي فاق سابقيه جميعاً في تأثره بالتخريجات اللاهوتية لسياسته، التي كان أشهرها عبارة

(الحرب الصليبية) التي وصف بها حربه على أفغانستان، حيث حاول البعض التقليل من شأنها، واعتبارها زلة لسان، متغافلين عن الكم الهائل من التعبيرات الدينية التي زخر بها خطابه السياسي. فما يصدر عن رئيس أكبر دولة في العالم لا يمكن أن يكون زلة لسان، بل انه يعنى ما يقول حرفياً، ويبدو أن هذه كانت زلة لسان على النمط الفرويدي لا زلة لغة، وأن بوش يضمر في الحقيقة ما يعلنه بات روبنسون وغيره من قساوسة الأصوليات المسيحية الأمريكية المتطرفة (الشنقيطي، 2003)

"فبعد أن عدل الأمريكيون تعريف بلادهم من الأرض الموعودة إلى دولة صليبية" (هنتنجتون، 2009، ص 122). فإن ما كان يطمح إليه هؤلاء الأصوليون هو "قائد على منوال شخصية داود الإنجيلية، يوحد مطامحهم السياسية مع رؤاهم الدينية. وكل المؤشرات تدل على إيمانهم بأنهم وجدوا هذا القائد في شخص الرئيس بوش . يقول دانا ميلباك في جريدة واشنطن بوست: أن بوش توصل إلى الاستنتاج بأن قيادته لأمريكا بعد أحداث 11 أيلول، سبتمبر كانت مسألة قدر، كانت إرادة الله. ويقول المقربون منه إن هجمات 11 سبتمبر لم تعطه معنى لرئاسته فقط، بل منحته مهمة ورسالة في الحياة. فبوش يعتبر قيادته لأمريكا بعد 11 سبتمبر أمراً إلهياً واختياراً ربانياً" (الواشنطن بوست، 2003، 09، آذار، مارس). وربما كانت هذه الجبرية الدينية هي مصدر ما وصفه بعضهم بـ"التفاؤل الساذج" الذي يطبع خطاب بوش وقراراته، حتى إن أصدقاءه يأخذون عليه ذلك.

فبوش الابن الذي يفتخر بأنه لا يقرأ الكتب، ويسمى الإغريق بـ (الاغارقه) والذي تلعثم طويلاً، ولم يعرف في المناظرة التلفزيونية التي سبقت انتخابه اسم الحاكم العسكري لباكستان، لا يثير إعجابه، ولا يؤثر فيه، إلا كتاب واحد هو التوراة. وحينما سأل الصحفي الشهير (جيم لهرر) جورج بوش أثناء مناظرة تلفزيونية مع (آل غور) عن برنامجه اليومي، رد بوش بأنه يبدأ يومه بقراءة في الكتاب المقدس، وإطعام كلبه، وإعداد القهوة لزوجته. كما صرح مراراً بأن المسيح هو مثاله السياسي. وهذه مظاهر جديدة على السياسة الداخلية الأميركية، كما لاحظ البروفيسور (جون أسبوزيتو)، في كتابه الجديد (الحرب غير المقدسة) "(أبو شعيره، 2002، 14، كانون أول، ديسمبر). ولكي يشن بوش الحرب يحتاج الى الدعم الداخلي.. لذا استخدم أسلوب تحويل أعدائه إلى شياطين... وادعى أن الإرهابيين ضربوا أمريكا لأن الشعب الأمريكي يمثل الحرية" (لانداو، 2005، ص38). " فلكل أمه خيارها.في هذا الصراع لا يوجد موقف حيادي. فعملية اليوم تسمى الحرية الدائمة". إننا لا ندافع عن حريتنا الغالية، بل عن حرية الشعوب أيضاً" (سكراتون، 2004، ص30)

10.3.5 بوش يركب الزوبعة ويوجهه العاصفة

قال سانت بوش الابن في خطاب القسم يوم 21 يناير عام 2001م: "بوسع ملاك أن يركب الزوبعة وأن يوجه هذه العاصفة". وحسب تحليل فاينمان، فإن هذه العبارة مأخوذة من كتابي أيوب وحزقيال، فالزوبعة ترمز إلى صوت الرب! (نيوزويك، 2003، 10آذار، مارس). يقول حزيقيال: "أوحى الرب إلى حزيقيال الكاهن ابن بوزي عند جوار نهر خابور، في ديار الكلدانيين، إذ كانت على يد الرب، فابصرت ريحاً عاصفة تهب من الشمال مصحوبة بسحابة هائلة، ونار متواصلة متوهجة " (سفر حزقيال 1: 3-4). وفي نص آخر: كم مرة ينطفئ مصباح الأشرار؟ وكم تتوالى عليهم النكبات، إذ يقسم لهم نصيباً في غضبه ؟ يصبحون كالتبن في وجه الريح، وكالعاصفة التي تطوح بها الزوبعة. أنتم تقولون: إن الله يذخر إثم الشرير لأبنائه، لا! إنه ينزل العقاب بالأثيم نفسه، فيعلم. فليشهد هلاكه بعينه" (سفر أيوب21: 17_20). كما قال الرئيس "المؤمن" (بوش) في ذكرى أحداث سبتمبر 2001: إن النور يضئ في الظلمة والظلمة لن تهزمه" وحسب المرجعية التي وضعها السيد "فاينمان" لهذه العبارة، فهي إشارة إلي إنجيل يوحنا، ومأخوذة من كتب اليهود المقدسة حول مجيء المسيح! وعلينا أن نصدق بأن البيت الأبيض محفوف بالملائكة، وأن الرئيس قديس يتخفى في جلد نيرون! (منصور 2003، 10، شباط، مارس) .

11.3.5 إعلان الحرب من كاتدرائية

إمعاناً في إضفاء المعاني الدينية على سياسته، وإحاطتها بهالة من القداسة، وكأن ما يقوم به ما هو إلا تنفيذاً لإرادة إلهية، عمد الرئيس بوش إلى اللجوء إلى الكنيسة لإعلان حربه المقدسة على الإرهاب. ففي 13 أيلول، سبتمبر 2001 جرى تنظيم قداس لا مثيل له في الكاتدرائية الوطنية، وصلى فيها الرئيس بوش وعقيلته، وأربعة رؤساء سابقين... وجميع الشيوخ والنواب تقريباً. وترأس كاردينال وحاخام وأمام (شيخ) بدورهم هذه الصلاة، وكان إنجيلي التلفزة الأكثر شهره في العالم، القس (بيلى غراهام)، قد ألقى عظته التي دعا خلالها إلى إعادة البناء على أسس راسخة تقوم على الإيمان بالرب. وبعد هذه العظة، صعد الرئيس (بوش) إلى المنبر، وقدم بدوره عظة كان مستشاره التوراتى الأصولي (مايكل جرسون)، قد أعدها له حيث قال: "إن مسئوليتنا تجاه التاريخ جلية ... علينا أن نرد على هذه الاعتداءات، ونحرر العالم من الشر" (كارول، 2005، ص48). وقد اتسمت هذه العظة بنبرتها الدينية، حيث علقت صحيفة واشنطن بوست عليها، قائلة: "منذ تحول مذهب المحافظة الديني إلى حركة سياسية، يتولى رئيس الولايات المتحدة، لأول مره، زعامتها فعلاً . وهى زعامة لم يحظ بها قط (رولاند ريغان) نفسه، رغم ما أحاط به المحافظون الدينيون من رعاية. فقد أظهرت المجلات المسيحية والإذاعات والتلفزيونات الرئيس بوش وهو

يصلى، بينما كان الخطباء الوعاظ يصفون زعامته بأنها نعمة من عند الرب. وقد شهد موكب من القادة الروحيين ممن التقوه على إيمانه، وشجعت بعض مواقع "الويب" الناس على الصوم والصلاة من أجل الرئيس" (ميسان، 2002، ص 72) .

وفى الرابع عشر من سبتمبر، التزمت الدول الثلاث والأربعون المنتمية للمجلس الأوربي ودول أخرى، بالوقوف ثلاث دقائق صمت، تحية لذكرى ضحايا الاعتداءات، تلبية لدعوة الرئيس بوش، حيث لم يكن لهجوم مماثل على أي بلد آخر، أن يطلق مثل هذا القدر المتدفق من العواطف، و بدا وكأن العالم كله قد شعر بفقدان البراءة مثل الأمريكيين تماماً" (برستوفتز، 2003، ص12). وصدرت من كل أنحاء العالم رسائل تضامن مع الولايات المتحدة. فقال الرئيس شيراك: "نحن أمريكيون". ولخص بهذه العبارة مشاعر معظم الأوربيين" (لانداو، 2005، ص203)

"وهكذا عبر الجميع عن قبولهم الضمني بزعامة أصولي ملهم، يعلن عن عزمه على تولى قيادتهم في معركة هائلة ضد الشر، مما يعني أن جنون إنجيلي التلفزة، الصوفي السياسي أصبح معدياً ! فبالرغم من أن الولايات المتحدة كانت في الأصل تيواقراطية أسسها عدد من المطهريين الفارين من تعصب التاج البريطاني، إلا أن ذلك لا يعنى أن تصبح أمه متزمتة، يحل فيها انجيليو التلفزة محل الاستراتيجيين العسكريين. فلا وجود على كل حال، لأي سابقة تاريخية تلا فيها رئيس أمريكي إعلان الحرب من داخل كاتدرائية" (ميسان، 2002، ص 70، 71).

ففي 11 أيلول، سبتمبر، أصبح الأصوليون في شبكة القاعدة، يواجهون رئيساً أمريكياً متهماً بما هو أكثر من انتقام عنيف، ورد بوش بهجوم علني انطلاقا من الكتاب المقدس على الشر والأشرار، وتشاور مع أصدقاء شعروا ان الرب إختارهم لقيادة الأمة في ردها، وفي لحظة صراحة زائدة وصف بوش الرد الأمريكي بأنه حملة صليبية" (عبد السلام، 2005، ص196). فقد "تنبهت الأمة إلى الخطر ودعت إلى الدفاع عن الحرية"، وتحول الحزن المشترك إلى غضب، والغضب إلى قرار"، لا بد من إنقاذ "العدالة" سواء "بإخضاع أعدائنا إلى العدالة، أو فرض العدالة عليهم" (سكراتون، 2004، ص23) وفيما يتعلق برئيس أمريكي يميني .. كان لابد من إعلان الحرب على الإرهاب. وكما هو الحال في الغرب القديم، فلا بد من إحضار مرتكبي الجريمة أحياءً أم أمواتاً" (سكراتون، 2004، ص366)

4.5 المبحث الثالث: إدارة بوش والقضية الفلسطينية

شهدت المرحلة الرابعة (2000–2009)، تولي جورج بوش الابن للرئاسة في أمريكا، حيث كانت فترة حكمه من أسوأ الفترات على المنطقة العربية والإسلامية، ومن أفضلها بالنسبة لإسرائيل. فقد شهدت فترة حكمه أحداث عالمية وإقليمية وفلسطينية في غاية الأهمية والخطورة. فعالمياً كانت أحداث 11 سبتمبر قمة كرة اللهب التي استغلها بوش الابن ليشعل الحرائق في كل مكان، في أفغانستان والعراق، وفلسطين، ولبنان، ويشن حرباً على الإسلام والمسلمين بحجة مكافحة الإرهاب، ويطالب العالم "إما أن تكون معنا، وأما أن تكون مع الإرهابيين" (سكراتون، 2004، ص123)، مع الخير الأمريكي أو مع الأشرار أمثال ابن لادن وصدام وإيران، مما يتطلب شن حرب صليبية على كافة الجبهات، لتفيذ ما تبقى من نبوءات وخرافات توراتية، سيطرت على عقله طوال فترة حكمه، فكان من أكثر الرؤساء الأمريكيين صراحة في كشف حقيقة الالتزام الديني الأمريكي، تجاه اليهود وإسرائيل، وليبرهن على أن متغيرات السياسة الخارجية الأمريكية كانت مسائل تكتيكية جاءت لخدمة الخط الثابت لسياستها الخارجية المساندة والداعمة لإسرائيل (انظر: خضر، 2005).

1.4.5 بوش وأحداث 11 سبتمبر والقضية الفلسطينية

لم تتوفر لإدارة أمريكية حرية للحركة والمناورة لفرض رؤيتها لحل القضية الفلسطينية كما توفرت لإدارة بوش الابن الذي وجد نفسه طليقاً لتبنى الرؤى الإسرائيلية للحل، بعد أن شن هجوماً كاسحاً على عدة جبهات مستغلاً تفرد أمريكا بالنظام الدولي، وأحداث 11 أيلول، سبتمبر، ليطلق سياسات ويشن حروب هنا وهناك، كلها جاءت لتصب في صالح إسرائيل. وقد أكد كثير من المراقبين على أن حكومة بوش قامت في خلال ثمانية أشهر فقط منذ تسلمها السلطة، بمعاداة معظم دول العالم. "فما إن انتصر قادة الولايات المتحدة في الحرب حتى بدأوا يسيئون إدارة السلام. وواصلوا التصرف كما لو أن الحرب الباردة والقرن العشرين لم يكونا قد انتهيا" (برستوفتز، 2003، ص295).

فحتى أحداث 9/11 لم تتقدم إدارة بوش بأية مبادرة سياسية لمعالجة ملف الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. ولا تخرج خطة تينيت (13حزيران، يونيو2001) عن هذا السياق باعتبارها تبلورت كآلية أمنية لتقرير لجنة ميتشل، في ضوء التدهور الحاد الذي طرأ على المناطق الفلسطينية، وإعلان الرئيس عرفات وقف إطلاق النار(سليمان، 2003، 9آب، أغسطس). ثم جاءت أحداث سبتمبر لتفرض نفسها على كافة الأبعاد السياسية والاقتصادية في أمريكا، لتحدث تعديلات في الأولويات الإستراتيجية للسياسة الخارجية

الأمريكية، وهو ما سوف يمارس تأثيره على أداء الإدارة الأمريكية كوسيط لتسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. فقد أضحت الحرب الأمريكية ضد الإرهاب الدولي القضية المركزية للسياسة الخارجية الأمريكية (رسلان، 2002، ص 32). وفي تلك الفترة حددت إدارة الرئيس بوش أنها :

> "لن تعاود سياسة الإدارة السابقة التي ذهبت بعيداً، وإلى درجة التورط، في التعاطي مع الملف الفلسطيني دون النجاح في التوصل إلى تسوية، لا سيما أن هذا الملف، ليس مدرجاً كأولوية ضاغطة على جدول أعمال هذه الإدارة، التي بدأت بطرح مسألة العراق من مدخل امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل، كإحدى الخيارات الأبرز، حيث التقى هذا الفهم لأولويات السياسة بمداها الاستراتيجي مع نظرة واشنطن إلى الانتفاضة على أنها أعمال عنف، وإلى عمليات المقاومين على أنها أعمال إرهابية، لتجعل من خطة تينيت هي الخطة المطلوبة لمعالجة الوضع في المناطق المحتلة، باعتباره وضعاً أمنياً بحتاً. وهذا الفهم الأميركي للانتفاضة، جعل الإدارة الأميركية تنظر إلى الانتفاضة باعتبارها عائقاً أمام العودة إلى طاولة المفاوضات، وتشترط بالتالي وقفها قبل الدعوة إلى استئناف العملية التفاوضية" (سليمان، 2003، 9 أب)

وعلى مستوى آخر يُلاحظ حرص أمريكا على الاستفراد بالقضية الفلسطينية، ورفض أي تدخل للأمم المتحدة، مما يتيح للطرف الإسرائيلي الأقوى فرض شروطه على الطرف الفلسطيني الأضعف خارج إطار الاعتراف المسبق بأي حق وطني فلسطيني، وخارج إطار اعتبار الوجود الإسرائيلي في الضفة والقطاع احتلالاً. أما مرجعية المفاوضات فهي المفاوضات نفسها، وسياسة أمريكا هي قبول ما يتفق عليه الطرفان، بالرغم من علمها أنه ليس ثمة توازن قوة عند الطرفين، وتعلم أنه بتخليها عن الضغط والنقد، فإنما هي تقر للقوة الطاغية فرض ما تريد.

وهكذا عكست أحداث 11 سبتمبر نفسها بشكل سريع ومباشر على مسار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وجرت محاولات بعض الجهات "افغنة القضية الفلسطينية" وفي المقابل حاولت أطراف أخرى "لبننة" حل الصراع أو تسويته سياسياً (رسلان، 2002، ص 38). وفي هذا السياق تبلورت عناصر خطة زيني في27آذار، 2002 لتحل مكان خطة تينيت. وخطورة الخطة تكمن في تحويلها لمسؤولية الأمن عن المناطق (أ) مباشرة إلى الاحتلال، فيصبح الدور الفلسطيني هو تسهيل اضطلاع إسرائيل بالمسؤولية الأمنية، مما وضع السلطة الفلسطينية أمام خيارين: دخول إسرائيل مناطقها بدون قتال، أو قمع الانتفاضة بسلاح السلطة. "وهكذا مهدت ورقة زيني، الطريق لاندلاع حملة السور الواقي، التي أسقطت ثلاثة خطوط حمر مغطاة دولياً وأميركياً وهي: عدم التعرض لرئيس السلطة، عدم المساس ببنى السلطة، عدم السماح بعودة الاحتلال إلى المناطق (أ)" (سليمان، 2003، 9 آب، أغسطس)

وفي تلك الفترة شهد الخطاب الأميركي تقارباً ملحوظاً من الموقف الإسرائيلي بوضع المقاومة على سوية الإرهاب، وخطاب الرئيس بوش في 2002/4/5، بعد مرور أسبوع على بدء عمليات السور الواقي، كان يدور عملياً حول الإرهاب الفلسطيني ومسؤولية رئيس السلطة عنه. "فمنذ 11أيلول، سبتمبر، طرحت رسالة، على الكل أن يختار: أنتم مع العالم المتحضر أو أنكم مع الإرهاب.. إن رئيس السلطة الفلسطينية لم يعارض أو يواجه الإرهابيين بشكل ثابت... وفشله في القيام بهذا، دفع الحكومة الإسرائيلية للشعور بأنه يتوجب عليها ضرب شبكات الإرهاب التي تقوم بقتل مواطنيها". وهكذا قدم خطاب بوش تغطية سياسية وكاملة للعدوان الإسرائيلي (سليمان، 2003، 9، آب، أغسطس). ووصل هذا الخطاب إلى مرحلة يقول فيها بوش عن أرييل شارون: "إنني أتعلم من هذا الرجل كلما جاء وزارنا في واشنطن"، وذلك أثناء الترحيب بشارون خلال زيارته السادسة إلى البيت الأبيض في 2002؟ وخلال تلك الزيارة أتى خطاب بوش في 24 حزيران، يونيو2002 ليقدم حلاً يقوم على ركنين: الدولة المؤقتة والإصلاح. هدف التسوية، هو (الدولة الفلسطينية المؤقتة) ومفتاح الدولة المؤقتة وشرطها الأساسي هو الإصلاح، حيث "يستحيل أن يعيش الفلسطينيون في فساد سياسي واحتلال".

"والواقع أن موقف الرئيس بوش يظهر بوضوح أنه شديد التطرف في انحيازه لإسرائيل منذ اللحظة الأولى لتسلمه السلطة، ولم يتغير هذا الموقف حتى رحيله. بل أن رؤيته لحل الدولتين التي طرحها العام 2002، لم تكن تهدف إلا إلى إعادة صياغة وبناء التحالفات في منطقة الشرق الأوسط، بما يكفل القضاء على قوى المقاومة المعارضة للسياسة الأمريكية وتصفيتها نهائياً بما يسمح في نهاية المطاف بإقامة كيان حكم ذاتي فلسطيني هزيل، لا يملك من مقومات الدولة الحقيقية شيئاً" (عبد الرحمن، 2008، 4 حزيران)

2.4.5 خارطة الطريق إلى حل الدولتين الدائم للنزاع الإسرائيلي–الفلسطيني.

خطة خارطة الطريق، أطلقتها أمريكا لما تسمية حل القضية الفلسطينية، والذي يتركز على إقامة دولة فلسطينية مع حلول عام 2005، كما زعم الرئيس بوش. وترتكز الخطة على ثلاث مراحل، تحمل الجانب الفلسطيني ما لا يطيقه الوضع السياسي والإستراتيجي الفلسطيني، في مقابل سراب الدولة الأمريكي، حيث وضعت الخطة نصوصاً صارمة على الجانب الفلسطيني بخصوص وقف ما يسمى بالعنف والإرهاب وإجراءات يجب اتخاذها ضد التنظيمات الفلسطينية، وربطت قيام دولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة، بأن يكون للشعب الفلسطيني قيادة تعمل بحزم ضد الإرهاب وتكون لديها الرغبة والقدرة لبناء ديموقراطية. كما إن النصوص الخاصة بالإصلاحات السياسية والإدارية المطلوبة من الجانب الفلسطيني، لا تقل صرامة عن الالتزامات الأمنية. ولكن ما يلفت النظر أن لجنة الإصلاح الدولية لها الحق في وضع بنود

الإصلاح، وعلى الجانب الفلسطيني فقط التنفيذ دون الحاجة إلى موافقته. واشترطت الخطة أن يكون الانتقال من مرحلة إلى أخرى بموافقة كافة أعضاء اللجنة الرباعية، بعد التأكد من أن الجانب الفلسطيني أوفى بكافة تعهداته، وهو ما يجعل الولايات المتحدة من الناحية الفعلية هي الحكم الرئيسي على الأداء الفلسطيني (انظر: الشقاقي،2003، كانون ثاني، يناير)

وربطت الخطة ولادة دولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة، بمفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وذلك من خلال تنفيذ اتفاقات سابقة وخطوات أخرى تتعلق بالاستيطان، ولكنها لم تشر بصورة واضحة لالتزامات الطرفين السابقة، وكان حديثها عن الاستيطان مبهماً ويتسم بالغموض، وتعطي الطرف الإسرائيلي الحق في تفسيرها كيفما يشاء، وهذا الربط يعطي لإسرائيل الدور الرئيسي إن لم يكن الوحيد في رسم حدود هذه الدولة، والسمات السيادية التي يجب أن تتمتع بها. وبالرغم أن الأسس التي تستند إليها الخطة في إنهاء النزاع الفلسطيني–الإسرائيلي أسس إيجابية، وتضم مرجعيات متعددة إلا أنها أعطت إسرائيل الفرصة لتقديم تفسيرها الخاص للنص الذي يدعو إلى "إنهاء الاحتلال الذي بدأ في عام 1967 على أنه لا يعني بالضرورة الانسحاب إلى تلك الحدود، وبخاصة إذا ربطت ذلك بالدعوة إلى حل مشكلة الاستيطان، والرؤيا التي قدمها الرئيس بوش في 2002/6/24 والتي أشار فيها لعودة إسرائيل إلى حدود قابلة للدفاع عنها" (البابا، 2003، كانون ثاني –حزيران، ص 42–51)

ورغم أن جوهر خارطة الطريق يتمحور حول الخروج من دوامة العنف، والعودة للمفاوضات الدائمة من خلال قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات حدود مؤقتة، فإن الخارطة لا تشير بوضوح لماهية هذه الدولة. ولم تقدم تصوراً لطبيعة حل قضايا الحل النهائي، وجاءت النصوص على شكل عموميات باستثناء بعض المصطلحات الخاصة بقضيتي اللاجئين والقدس، حيث أشارت إلى أن حل مشكلة اللاجئين سيشمل حلاً واقعياً، وأن تسوية وضع القدس ستأخذ في الاعتبار المصالح الدينية والسياسية للطرفين و"سيحمي مصالح اليهود والمسيحيين والمسلمين في العالم بأسره". وهي مصطلحات تخدم في جوهرها الموقف الإسرائيلي على حساب الموقف الفلسطيني، كما أن الخطة لم تشر من قريب أو بعيد لقضية الأسرى والمعتقلين، إلا إذا كانت تدخل ضمن إجراءات بناء الثقة. وفي ظل هذا الغموض الذي يعتري الكثير من المصطلحات الواردة في الخطة، فإن حكومة يمين متطرفة في إسرائيل ستعمل على وضع تفسيرات لها تتلاءم مع تفسيراتها وظروفها السياسية، التي هي في الأصل غير مستعدة لكثير مما ورد في خارطة الطريق، وبخاصة فيما يتعلق بالاستيطان والدولة الفلسطينية المستقلة والعديد من قضايا الحل النهائي.(البابا، 2003، كانون ثاني، حزيران، ص 42–51)، وهذا ما حدث بالفعل.

3.4.5 خارطة الطريق وغزو العراق

تحت وطأة الإلحاح الأوروبي لحل القضية الفلسطينية انفتح البحث على ما تسمي خارطة الطريق بمبادرة أوروبية، حيث أطلقت واشنطن صيغتها الخاصة لخارطة الطريق في 2002/10/14، وحملها وليام بيرنز (وكيل وزير الخارجية) ليطرحها في زيارة شملت ثلاث عشرة عاصمة عربية بغرض الحصول على موافقتها عليها، كما عمدت واشنطن إلى توظيفها فيما يخدم جهودها لكسب المواقف العربية إلى جانبها في عدوانها المرتقب على العراق، وبلورة عناصر مقايضة بين تمرير العرب للاستحقاق العراقي مقابل الالتزام الأميركي بإطلاق عملية سياسية لحل القضية الفلسطينية (سليمان، 2003، 9آب، أغسطس). فمستشارو بوش أقنعوه أن الحرب ضد العراق ليست فقط مقدرة من السماء بل هي أيضاً مواتية من وجهة النظر السياسية" (لانداو، 2005، ص181). وكأصولي مسيحي ولد من جديد، يعلم بوش جيداً خطايا بابل القديمة (أحد مواضيع العهد القديم المفضلة)، ويعلم الأشعار المصاحبة لتلك الخطايا. (على، 2004، ص46). وهنا يمكن ملاحظة تكرار مشهد حرب الخليج الأولى على العراق، والتي ربطت خلالها أمريكا بين الحصول على تأييد الدول العربية للحرب ومشاركة قواتها ضمن قوات التحالف الأمريكي، وبين بدء مشاركتها بفعالية في حل المشكلة الفلسطينية، حيث تمخضت الحرب عن انعقاد مؤتمر مدريد، وما حمله من محاولة فرض الشروط الإسرائيلية الأمريكية على أمة مهزومة. ويكفي للبُرهان على هذه الحقيقة اِستعادة تَوجُّهات الحوار الرئاسي . والذي كان بمثابة اِفتتاحية لإدارة (بوش الإبن)، وبمقتضاه تَغَّيرَت أولويات الشرق الأوسط ، وضمنها: تصعيد بَند العراق تنزيل بَند فلسطين . وإعلان التغيير بضرب بغداد. وعلى حسب تعبير بول وولفويتز- يكون العرب أنْ يسألوا "وعلينا أن نجيب بأنه تغيير في الأولويات وليس أمامهم غير قبوله" (وولفويتز، نيسان، ابريل،2001).

لقد استخدمت إدارة بوش القضية الفلسطينية أبشع استخدام بطرحها رؤية ضبابية خادعة لحلها، فقط من أجل نزع الفتيل الفلسطيني لمعارضة الرأي العام العربي والإسلامي لمخططات واشنطن في المنطقة. ولكن زيارة بيرنز بوظيفتها المزدوجة وتوظيفه (للخارطة) في قضيتي العراق وفلسطين في آن معاً لم ينطلق من الموازاة بينهما، بل من تقديم الموضوع العراقي على الشروع بالحل السياسي على المسار الفلسطيني، أي إلى ما بعد استكمال الحرب على العراق. "فأمريكا كانت ترى أن الطريق إلى الشرق الأوسط يمر ببغداد" (الغمري،2004، ص103)، وقد تبدى في مجرى الأحداث التي سبقت العدوان على العراق، أن الوظيفة العراقية لخارطة الطريق ضرورية ومفيدة للسياسة الأميركية في علاقاتها العربية والأوروبية، من زاوية إبقاء الوتر مشدوداً نحو العراق، بتحالفاتهِ واصطفافاته قبل اندلاع الحرب وخلالها، وكذلك بعد

الحرب باعتبار تسوية النزاع الفلسطيني الإسرائيلي من بين الشروط الرئيسية التي ينبغي توفيرها لاستتاب الوضع في العراق لصالح أمريكا. وبالنتيجة، فإن خارطة الطريق التي اعتمدتها الرباعية في 2002/12/20 لم تعلن، ولم تقدم إلى الفرقاء المعنيين إلا في 2003/4/30، أي بعد غزو العراق" (سليمان، 2003، 9آب، أغسطس). كما أن الرئيس بوش في خطابه يوم 26 شباط، فبراير 2003، قد ربط تجديد الجهود لتسوية النزاع الإسرائيلي الفلسطينى بالنصر في العراق (الغمري،2004، ص136)، واختار بوش الحرب وسيلة لفرض السلام" (لانداو، 2005، ص215). وهنا "يجب أن نذكر أن بغداد هي في الكتاب المقدس، (بابل الشريرة) عاصمة الوثنية والإضطهاد، وفي إنجيل لوقا أن "الرحمة الموعودة لإسرائيل لن تصاحب فقط، وإنما ستظهر من دمار بابل" ويكفي ذلك غلاة الأصوليين بالطبع لتدمير العراق.(عبد السلام، 2005، ص202) واعتبار الحرب فرصة لتسوية صراعات إقليمية عميقة.

ومن الجدير بالذكر أن الجانب الفلسطيني أعلن قبوله بالخطة عندما تسلمها من الجانب الأمريكي في 22كانون أول، ديسمبر2002، ورغم ذلك ظلت الحكومة الإسرائيلية تماطل في قبولها للخطة بحجة الانتخابات الإسرائيلية، وبحجة أن الخطة تحتاج إلى مزيد من التعديلات. ثم جاء الرد عليها من خلال قرار أصدرته الحكومة الإسرائيلية يوم 25 أيار، مايو2003 يستند على إعلان الإدارة الأمريكية يوم 23 حزيران، يونيو2003 بالتعهد بأخذ الملاحظات الإسرائيلية، على خارطة الطريق بجدية وبشكل كامل خلال تطبيق الخطة، وجاءت الملاحظات الإسرائيلية لتفرغ الخطة من محتواها، مستغله تداعيات الغزو الأمريكي للعراق، ومضيفه شروط جديدة تخدم مصالحها، وكان من أهم هذه الشروط والذي يدور حوله الآن لغط كبير، هو شرط إعلان الفلسطينيين بأن إسرائيل هي دولة يهودية وما يعنيه من تنازل عن (حق العودة).

4.4.5 الحدث العراقي.. وانعكاساته على القضية الفلسطينية

المسلم به هو الأهمية الفائقة للحدث الجلل المتمثل باحتلال العراق، والذي لن يكون نهاية المطاف، فالمطروح أميركياً ليس أقل من إعادة تشكيل المنطقة جذرياً بما يعزز مصالحها. والتغيير في العراق هو مفتاح لتغيير جذري ستشهده المنطقة وبلدانها على مستوى الدور والوظيفة والتشكيل وعلى مستوى الصراع العربي الإسرائيلي. والوضع الفلسطيني ولا يمكن أن يكون، بمنأى عن التأثر باختلال نسبة القوى جراء احتلال العراق والحالة المولدة في المنطقة (سليمان، 2003، 9آب، أغسطس). فقد سعت أمريكا بحربها على العراق لإنجاز هدف تغيير الأنظمة، وهز المنطقة كلها، بما يمهد لإعادة رسم خريطة أوضاعها السياسية، والاقتصادية، والأمنيية، تحقيقاً لكامل إستراتيجية بوش المعلنة" (الغمري،2004، ص119). وإذا كان دعم إسرائيل وخلق أوضاع سياسية وعسكرية جديدة في المشرق العربي، أحد الأسباب الأساسية

لاحتلال العراق، فإنها تكون أيضا أحد المستفيدين الأساسيين بل المستفيد الأساسي. فخلال فترة حكم الرئيس جورج بوش الابن بلغت المبالغ التي حصلت عليها إسرائيل ما بين عامي 2001، 2005 على 10.5 مليار دولار كمساعدات نقدية، و6.3 مليار ثمن شراء أسلحة من الولايات المتحدة، بما فيها 4.5 مليار دولار ثمن 102 طائرة (إف – 16) (مجلة فلسطين المسلمة، 2006، ديسمبر). وهذه المساعدات لم تحصل عليها، إسرائيل سابقاً من أية إدارة. "فإسرائيل تتلقى سنوياً من الولايات المتحدة ما لا يقل عن 3 مليار دولار" (الجراد، 2007، ص15).

وعلي مستوي الترتيبات الأمريكية– المعلنة . للمنطقة استنادا لاحتلالها العراق، فإن إسرائيل كانت محوراً أساسياً فيها جميعاً، حيث سعت أمريكا، واستكمالاً لجني ثمار أحداث سبتمبر وغزو العراق، إلى إخضاع سوريا ولبنان إخضاعاً تاماً، لحملهما على الإذعان للأطماع الإسرائيلية في الأرض السورية واللبنانية، بقبول تسويات تضم أجزاء منها لإسرائيل، وتنزع سلاح أجزاء أخرى، تحقيقا للحدود الآمنة لإسرائيل، وفقاً لمفهوم الأمن الخارجي. كما سعت أمريكا إلى العمل على تطبيع العلاقات بين إسرائيل والدول العربية، مع إجبار الدول العربية، علي تغيير جوانب محددة في مناهج التعليم والخطاب الديني، لتخليصهما من المفاهيم المعادية لإسرائيل والصهيونية، وأخيراً، سعت أمريكا للسيطرة الاقتصادية الشاملة علي العالم العربي والتي يجسدها، بعد السيطرة علي البترول العربي ونهبه، إقامة منطقة حرة أمريكية . شرق أوسطية تضم إسرائيل ودول المنطقة، وتعطي لإسرائيل دوراً محورياً كشريك لأمريكا في السيطرة الاقتصادية علي البلاد العربي. (اللجنة المصرية، 2003، 8 تموز، يوليو)

5.4.5 التخلص من الرئيس ياسر عرفات

بعد جمود سياسي في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، مع إصرار إسرائيلي على فرض الشروط من خلال القوة العسكرية، وانطلاقة جدية للجدار العازل الذي سيبتلع 58 في المائة من أراضي الضفة الفلسطينية، حدث التحول السياسي الكبير في السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، حين أعلن الرئيس الأميركي جورج بوش الابن، صراحة وعلى الملأ في 14 نيسان، ابريل 2004 التزام الولايات المتحدة الأميركية بأمن إسرائيل والحفاظ على طابعها كدولة يهودية، وكان ذلك مدخلاً لشطب حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم وفق القرار 194، حيث قال: إن الولايات المتحدة تؤكد التزامها ضمان حق إسرائيل في الحفاظ على يهوديتها كدولة، ويجب أن يكون حل إعادة اللاجئين في إطار الدولة الفلسطينية التي ستقام وليس في إسرائيل" (السهلي، 2009، 22 تشرين الأول)

وهكذا استغلت أمريكا وإسرائيل حالة الضعف العربي والفلسطيني، من أجل فرض شروطها ورؤيتها للسلام بالقوة، حيث أدت الممارسات الإسرائيلية إلى إفشال حكومة أبو مازن، وتكليف احمد قريع بتشكيل وزارة جديدة، وتزامن ذلك مع تهديدات إسرائيلية بتصفية عرفات أو طرده، كما صرح نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود أولمرت بذلك. وإسرائيل لم تكن لتقدم على خطوة بهذا الحجم دون ضوء أخضر أميركي، وهو ما بدا جلياً في الفيتو الأميركي، الذي أحبط قراراً في مجلس الأمن، يلزم إسرائيل بعدم المساس بعرفات، وفي تصريحات الرئيس الأميركي، ووصفه لعرفات بأنه فشل كزعيم، وأنه عقبة أمام جهود مكافحة الإرهاب، ودعوته الفلسطينيين إلى إيجاد قيادة بديلة.

"ففي أكتوبر 2001 صدر، عن معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط المرتبط باللوبي الصهيوني، كتاب بعنوان "بعد عرفات مستقبل السياسة الفلسطينية" تحدث عن الشخصيات الفلسطينية البديلة لخلافة عرفات، وكأن إقصاءه أو إنهاءه صار موضوعاً منتهياً. واتفق صدور الكتاب مع حملة لحكومة شارون، بدأت بإعلان قطع اتصالات حكومية مع عرفات، تم توالى تصريحات التحريض على حياته، أو طرده من الضفة الغربية، تم حصاره في رام الله. وتبنت حكومة الرئيس بوش الموقف الإسرائيلي بحرفيته، وطلبت من قنصلها في إسرائيل قطع اتصالاته بعرفات. وبدلاً من أن تركز الدبلوماسية على حل مشكلة النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، أصبح إقصاء عرفات وكأنه هو المشكلة" (الغمري،2004، ص231)

من هنا كان لابد من حدث مدوي يقلب الموازين والتحالفات، فجاءت وفاة (اغتيال) الرئيس ياسر عرفات في 11 تشرين ثاني، نوفمبر 2004 لتمثل الحدث الأهم على الإطلاق بالنسبة للساحة الفلسطينية خلال السنوات الأخيرة... وترجع أهمية هذا الحدث، إلى أنه غير الكثير من حسابات الإسرائيليين والأطراف المعنية بعملية التسوية السلمية في الشرق الأوسط. وربما كانت المفارقة هي أن وفاة عرفات فتحت (نافذة) أو خلقت فرصة، ربما يستطيع أطراف الصراع من خلالها أن يعدلوا من مواقعهم ومواقفهم، فالحدث الكبير يقتضي الكثير من التكيف والمراجعات.(عسيلة، 2005، ص3).

وهنا يمكن ملاحظة أن التخلص من عرفات، كان مطلباً إسرائيلياً وأمريكا، إلا أن أطراف فلسطينية كانت تتوقع ذلك وهيأت نفسها لمرحلة ما بعد عرفات. فهذا متحدث باسم حماس، ينفي سعى حماس لوراثة السلطة الفلسطينية بعد وفاة الرئيس عرفات؟ بالقول بأن هناك إشاعات مصدرها العدو الصهيوني، تدعي أن حماس تحاول الاستفراد بالسلطة في حال إذا تم أي انسحاب إسرائيلي من غزة، أو إذا تعرض السيد ياسر عرفات لأي مكروه، وهذا بهدف التحريض على الحركة. ولكن الأيام أثبتت صحة هذه الإشاعة، وكأن إسرائيل عندما اغتالت عرفات وزعت الأدوار مسبقاً لإفساح المجال إما فرض رؤيتها للحل، ولو بالقوة حيث تطلب ذلك إجراء انتخابات رئاسية وتشريعية، أتت في إطار استكمال المشروع الإصلاحي

للسلطة الفلسطينية بكافة مؤسساتها، واستجابة للمشاريع والمقترحات الأمريكية والأوربية التي تبنتها المجموعة الرباعية"(عسيلة، 2005، ص 15) ففاز محمود عباس بالانتخابات الرئاسية، بعد استقالته من رئاسة الوزراء، وفازت حماس بالانتخابات التشريعية، وهذا وضع مثالي، كان واضحاً انه سيؤدي إلى انقسام فلسطيني حاد في كافة المجالات، وبالذات بعد الانسحاب الإسرائيلي أحادي الجانب من قطاع غزة، والصراع على السلطة بين فتح وحماس، مما سهل استيلاء حماس على القطاع، وحدوث انقسام فلسطيني وضع الآمال الفلسطينية في مهب الريح.

وفي ظل الانقسام الفلسطيني، أصبح المجال أمام إسرائيل مفتوحاً للتملص من التزاماتها وفرض وقائع على الأرض، فمن ناحية استفردت بالضفة وفرضت مطالبها على السلطة هناك، سواء في مجال الإصلاحات والتعاون الأمني وغيره. وفي غزة أجبرت حماس والتنظيمات الفلسطينية على توقيع هدنة، مؤقتة، وبمجرد انتهائها انقضت على غزة المحاصرة، في عملية الرصاص المسكوب التي استمرت من يوم 27 كانون أول، ديسمبر 2008 إلى 18 كانون ثاني، يناير 2009، قتلت وجرحت خلالها آلاف الفلسطينيين، ودمرت البني التحتية والمنازل والمقار الحكومية، لتضيف معاناة جديدة لمعاناة أهل غزة المنكوبين نتيجة الانقسام والحصار، ولتفتح الباب واسعاً أمام كافة السيناريوهات الهادفة لتصفية القضية الفلسطينية. وبالرغم من التعاطف الدولي والعالمي مع أحداث غزة، والمطالبة بوضع حل عادل للقضية الفلسطينية وبدء مرحلة بناء الدولة والإعمار، إلا أن الانقسام الفلسطيني، ورغبة أمريكا وإسرائيل في الحصول على غنائم، أفشل كافة المحاولات الدولية. فالمطلوب أمريكا وإسرائيلياً ليس اقل من اعتراف فلسطيني بإسرائيل كدولة يهودية ونبذ ما يسمى بالإرهاب، وتطبيع عربي إسلامي مع إسرائيل (ستقوده حماس)، وإلا سيستمر الوضع الفلسطيني المنقسم إلى أجل، حتى تحين فرصه أخرى لإنهاء القضية الفلسطينية، من خلال تفعيل الخيار الأردني المصري، أي عودة غزة للوصاية المصرية، والضفة للمملكة الأردنية، وسيناريوهات أخرى لا تقل خطورة عما سبق. والآن كما يقول نبيل شعت:

"بعد ما يقرب من 20 عاماً على محادثات السلام الفلسطينية عملياً تغير الوضع علي أرض الواقع بشكل كبير، ففي عام 1993 كان لدينا 236000 مستوطن، ارتفع هذا الرقم الآن إلي ما فوق 500000 . وفي عام 1995 أنشأنا السلطة الفلسطينية، وهي اليوم لا تملك أي سلطة، وفي كل مدننا بكل ليلة تقوم إسرائيل بعمليات مداهمة. كما أننا لا نسيطر علي حدودنا، ولا علي الصادرات والواردات ومرور السياح وإصدار بطاقات الهوية. وهكذا دمرت إسرائيل عملية السلام.. فبعد 19 عاماً من مؤتمر مدريد، لا تزال إسرائيل ترسل رسائل واضحة بخصوص المفاوضات، والآن بعد ما يقرب من عقدين منذ بداية عملية السلام تضيف

إسرائيل شرطاً جديداً ليس له أساس قانوني، وهو الإعتراف بإسرائيل كدولة يهودية، وتتجنب إسرائيل المسئولية عن أوضاع اللاجئين الفلسطينيين" (شعت، 2010، 2 تشرين ثاني، نوفمبر)

فالرؤية الإسرائيلية للعملية السلمية عبر عنها أحد الجنرالات الإسرائيليين، باعتبارها جزءا من الحرب عندما قال لمراسل صحيفة بوسطن غلوب الأميركية "بهذه الطريقة نقلب منطق (كلاوس فيتز) رأساً على عقب، حيث نجعل من الدبلوماسية حرباً لكن بوسائل أخرى". هذا هو جوهر الرؤية الإسرائيلية لـ "العملية السلمية"، فهي عملية استثمار في الوقت؛ لإتاحة المجال للإستراتيجيات الحربية والعسكرية، لأن تكرس نفسها وتستمر في إذلال الآخرين (عاروري، 2003).

6.4.5 بوش أول رئيس يهودي

"قال جورج بوش الابن في مذكراته: فور انتهائي من إلقاء الخطاب في ساحة الورود التابعة للبيت الأبيض، حيث أعلنت نيتي ودعمي إقامة دولة فلسطينية اتصلت بي والدتي "باربارا" وقالت: اها، كيف يشعر أول رئيس يهودي. وهذه العبارة تعكس جانباً بسيطاً من المشاعر الحقيقية والمزاج العام السائد في أوساط عائلة بوش، بسبب دعمه المفرط وغير المشروط لإسرائيل، ووقوفه إلى جانبها بشكل تلقائي، ما استدعى مناداته من قبل والديه "بأول رئيس يهودي" (وكالة معاً، 2010، 11/09) .

هذه الدعابة أو الحقيقة، التي أعلنها بوش وتفاخر بها في مذكراته، ليست خيالاً بل حقيقة مرة للأسف، اكتشفها بعض العرب مؤخراً، بالرغم من الكم الهائل من الرؤى والعبارات الإنجيلية التي حفلت بها تصرفات بوش وأفعاله الحافلة بالتغني بإسرائيل، وتبني كافة مطالبها، فقبل أن يترك منصبه كرئيس قام بزيارتين للأراضي المقدسة، حاجاً وواعظاً وتبشيرياً. ليؤكد في زيارته الأولى في كانون ثاني، يناير 2008 على يهودية إسرائيل، واعتبار قرارات الأمم المتحدة، غير ذي صلة، بعد أن تقادمت وبعد أن فشلت في إيجاد حل للصراع. أما في زيارته الثانية في آيار، مايو 2008، التي قام بها خصيصاً للمشاركة باحتفال إسرائيل بعيد استقلالها الستين، وفي خطابه أمام الكنيست:

"أقدم بوش على ما لم يسبق لرئيس أمريكي في التاريخ الحديث لأمريكا أن فعله، وذلك في تقديم قراءة دينية متطرفة، وهو الإعلان الصريح عن كون تأسيس دولة إسرائيل، هو استعادة لوعد قديم أعطي لإبراهيم وموسى وداود، وطن لشعب مختار هو بنو إسرائيل، مضيفاً أن العلاقة بين الشعبين الأمريكي والإسرائيلي هي أعمق من أي اتفاق، وأنها مؤسسة على الروح المشتركة للشعبين، وعلى عرى الكتاب وروابط الروح. وذهب في سياق استدلاله بما ذكر إلى استدعاء مقولة وليام براد فورد في 1620 بمايفلاور بأمريكا، حينما

ذكر قولة النبي إرميا "تعال نعلن في صهيون كلمة الرب"، ليربط بين هذا الوعد وبين رؤية مؤسسي أمريكا لوعد جديد" (الخلفي، 2008، 19، آيار، مايو)

فخطابه الرئيس السابق في الكنيست، مروراً بتصريحاته مع الرئيس محمود عباس، وانتهاء بخطابه في منتدى دافوس في شرم الشيخ تطورات شكلت أكثر من صفعة لكل جهود التسوية التي تتوسط فيها أمريكا، واستهانة وتجاهل واضحين لكل الداعين لهذا الخيار. فقد كان بوش شرها إذ لم يشبعه التأكيد على قدسية إسرائيل بالنسبة لأمريكا، رغم عمليات التطهير العرقي لشعب بكامله، بل أعلن الحرب على المقاومتين اللبنانية والفلسطينية، وتوعد بالهجوم على إيران تحت ذريعة برنامجها النووي، وتنبأ باحتفال إسرائيل بالذكرى المائة والعشرين على قيامها، دون ان يتطرق إلى معاناة الفلسطينيين أو تعهداته بإقامة دولة فلسطينية قبل نهاية عهده (عبد الرحمن، 2008، 4 حزيران، يونيو). وقد ختم كلمته بسرد تفاصيل واقعة تسليم ضابط بريطاني لحاخام يهودي مفتاح طريق صهيون ومخبراً إياه بأنها المرة الأولى بعد 18 قرناً التي سلم فيها المفتاح ليهودي، وبعد أن قام الحاخام بأداء صلاة شكر للرب بحسب سرد بوش، استدار للضابط البريطاني، وأعلن وهو يتلعثم بسبب من طول انتظار هذا اليوم، عن قبوله تسلم المفتاح باسم الشعب اليهودي، ويعلق بوش على القصة بأنه طيلة الستين سنة الماضية أقام الشعب اليهودي دولة ستجعل ذلك الحاخام المتواضع يشعر بالفخر" (الخلفي، 2008، 19، آيار، مايو)

فمثل هذا الخطاب الإنجيلي الحابل بالمضامين الصهيونية لا يمكن أن يعد هو أيضا زلة من زلات بوش، مثل زلته في استعارة لفظ الحرب الصليبية ثم تراجعه عن ذلك معتبراً أن اللفظ ورد بمعناه اللغوي لا التاريخي، فتلك زلة كان لها مخرج. أما خطاب بوش في الكنيست فجاء تعبيراً عن إيديولوجية مسيحية صهيونية متطرفة، تتطلع للمطابقة بين النبوءات التلمودية، وبين ما ينبغي أن يكون عليه الموقف الأمريكي اتجاه الكيان الصهيوني" (الخلفي،19،2008، آيار، مايو). فهذا الرجل المشبع بالتوارتية، عندما يقول بنبرة تحد "ستحتفل إسرائيل بالذكرى الـ120 وهي أقوى وأفضل"، وأن "المسادة لن تسقط ثانية"، ويصور إسرائيل على أنها الضحية للإرهاب" الفلسطيني، ولا يتطرق للشعب الفلسطيني ونكبته والممارسات التي ترتكبها إسرائيل بحقه بشكل يومي، كل هذا يجعلنا ندرك أن وعده المزعوم بإقامة الدولة الفلسطينية ليس أكثر من وهم وسراب" (عبد الرحمن، 2008، 4 حزيران، يونيو). فما "يحدث الآن ليس انحيازاً لإسرائيل لأنه شئ أكبر من هذا، فهو تطابق في الفكر السياسي، ومنهجية العمل، والنظرة للأشياء وللأوضاع وللفلسطينيين، وللعالم العربي بأكمله" (الغمري،2004، ص126).

ولأهمية هذا الخطاب وتعبيره بصورة جلية عن أثر البعد الديني في التحيز الأمريكي لإسرائيل، فقد رأينا أن نضع نصه الكامل في الملاحق (ملحق رقم 1)، ليكون مرجعاً للراغبين في معرفة الطريقة التي يفكر بها قادة أمريكا. ويكفى أن نشير إلى أن صحيفة واشنطن بوست الأمريكية نشرت النص الكامل لخطاب بوش في الكنيست على موقعها الإلكتروني، ضمن قسم "العقيدة"، لامتلائه بالتشبيهات الدينية. ونقلت صحيفة كريستيان ساينس مونيتور الأمريكية، عن محللين قولهم: إن خطاب بوش "كان محملاً بتشبيهات دينية، راسماً بذلك صورة روحية وأيديولوجية لعلاقة وثيقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، بدت غير مسبوقة في أي خطاب لأي رئيس أمريكي" (عبد الرحمن، 2008، 4 حزيران، يونيو)

1.6 نتائج الدراسة

- أكدت الدراسة الدور المركزي الذي لعبه الدين وبالذات أفكار حركة الاصطلاح الديني في تشكيل فكر وثقافة المهاجرون الأوائل إلى أمريكا، وكيف استمر هذا التأثير حتى الآن، وكيف ان القيم البروتستانتية لعبت دوراً رئيساً في بعث اليهود من جديد.
- بينت الدراسة انه بالرغم من الفصل بين الدين والدولة في أمريكا والذي يدفع بعضهم إلى القول بعلمانية أمريكا، إلا أن هذا الفصل جاء كمطلب ديني نتيجة لأفكار حركة الإصلاح الديني وليس نتيجة لتنكر للدين كما حدث في الدول الكاثوليكية، وبالتالي لا يمكن الحديث عن علمانية في أمريكا بنفس المعنى السائد الذي يعنى عدم وجود دور للدين في الحياة الأمريكية.
- الدراسة أوضحت كيف كان للأفكار الدينية دوراً أساسيا في التعاطف مع اليهود وآمالهم بالعودة إلى فلسطين حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بزمن بعيد.
- أبرزت الدراسة دور الخلفيات الدينية للرؤساء الأمريكيين في تعاطفهم مع إسرائيل، ودعمها والعمل على تذليل الصعاب أمامها في كافة المجالات، مما انعس سلباً على القضية الفلسطينية.
- أبرزت الدراسة دور الجماعات الدينية المسيحية المتصهينة، في دعم إسرائيل، قديماً وحديثاً وكيف وصل تأثيرها إلى أعلى مستوياته في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين.
- قدمت الدراسة نموذجاً لاثر الدين في السياسة الأمريكية تجاه العالم وتجاه العالم العربي والإسلامي، وبالذات القضية الفلسطينية، ممثلاً بالرئيس الأمريكي "جورج دبليو بوش"، وكيف لعب الدين دوراً أساسياً في صياغة تفكيره وقراراته تجاه كثير من القضايا.
- أبرزت الدراسة عدم كفاية ما يقال عن قوة اليهود في أمريكا، كسبب لتحيزها لإسرائيل، وبالذات مقولة اللوبي الصهيوني، والصوت الانتخابي اليهودي، أو سيطرة اليهود على المال والإعلام. فكل هذه التفسيرات –عند التأمل– تبدو سطحية وبعيدة عن الدقة، أو هي –على أحسن تقدير– ليست سوى مظاهر تعبر عن ظواهر أعمق وأرسخ.
- وضحت الدراسة أن الرجوع إلى التاريخ والتعمق في الخلفية الدينية المؤطرة للعلاقات بين أميركا وإسرائيل، هو وحده الذي يقدم تفسيراً مقنعاً لتلك العلاقات، وإن الذين يقرأون التحيز الأميركي لإسرائيل بعيون سياسية وإستراتيجية، يغفلون حقيقة تاريخة على قدر كبير من الأهمية، وهي أن الصهيونية المسيحية سبقت الصهيونية اليهودية في الزمان.
- أبرزت الدراسه أن سياسة أمريكا، وموقفها من اليهود وإسرائيل، اتسمت بسمة أساسية على مدار أكثر من ستة عقود 1948–2009، هي: قوة الثابت وقلة المتغير. والثابت هنا هو البعد الدينى لعلاقتها

بإسرائيل، أما المتغير فهو الظروف الدولية والمتغيرات الإستراتيجية التي جعلت هذه السياسة تبدو في بعض الأحيان محايدة أو متوازنة، حيث لاحظنا ذلك في ظل ظروف الحرب العالمية الثانية، ولاحظناه خلال الحرب الباردة، ولكن بمجرد بروز النظام الدولي الجديد بانهيار المنظومة الشرقية، عملت أمريكا بكل قوة لفرض رؤيتها لحل الصراع العربي الإسرائيلي. وفي كافة المراحل كان العامل الديني هو المحرك الأساس للتحيز الأمريكي لها، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي.

2.6 التوصيات

1. يوصي الباحث بإجراء مزيد من الدراسات على دور الدين في الحياة الأمريكية وانعكاساته على قضايانا العربية، وبالذات فيما يخص القضية الفلسطينية. فقد آن الأوان لفهم الحقيقة المرة: إن إسرائيل التي نعتبرها آخر جيوب الاستعمار والعنصرية، هي في أذهان أغلب الأميركيين مشروع إلهي لا يقبل الإدانة والنقد، فضلا عن المقاومة والنقض، فهل ندرك مدلول ذلك في الوقت الذي يترسخ فيه أثر الدين في السياسة الأميركية يوما بعد يوما؟؟!!

2. لما كانت التوراة والنبوءات الواردة فيها تلعب دوراً رئيساً في تشكيل العقلية الأمريكية، وعقلية النخب وصناع القرار، فإنه لابد من عمل دراسات معمقه للكتاب المقدس، لمعرفة التوجهات المستقبلية التي يمكن أن تفضي إليها مثل تلك النبوءات، لأن الخبرة التاريخية تشير إلى أن النبوءات التوراتية، صاغت وجهة النظر الأمريكية تجاه القضايا التي تتعلق بالمنطقة العربية وفلسطين.

3. بالرغم من أن الأصوليين المسيحيين يمثلون أغلبية في أمريكا، ويمتلكون إمكانيات ضخمة في كافة المجالات، ويتحكمون في الانتخابات الرئاسية، إلا أن ذلك لا يعنى انعدام إمكانية التأثير على المشهد الديني الأمريكي. فهناك الكاثوليك الذين يمثلون ثلث المجتمع الأمريكي، كما أن الفرق البروتستانتية متعددة بصورة كبيرة، ولديها أهداف مختلفة، ولذا فإنه يتوجب العمل من قبل الأطراف العربية والإسلامية على اختراق هذا المشهد بوعي ودقة، حيث يمكن أن يكون أسلوب الحوار والتفاهم مجدياً ويحقق أهدافاً كبيرة، وهنا لابد من إشراك المسيحيين العرب في مثل هذه الحوارات للحد من خطورة الأصولية المسيحية، كما أن الحوار مع الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية يخدم هذا الهدف.

4. يوصي الباحث القيادات والنخب العربية، بضرورة أعادة صياغة استراتيجياتهم ومنطلقاتهم الفكرية، لتتناسب مع مركزية العامل الديني، لفهم السياسة الأمريكية تجاه المنطقة، حيث إن فهم المسار التاريخي الذي أدى إلى تهود المسيحية البروتستانتية هو المدخل الصحيح –في اعتقادي– لفهم السياسة الأميركية في فلسطين، وفي العالم الإسلامي بشكل عام. فالوقوف عند المظاهر السياسية والانتخابية لهذه السياسة لم يعد

مجديا اليوم، وتفسيره بمجرد "شطارة" الأقلية اليهودية في أميركا تفسير سطحي لظاهرة تاريخية عميقة ضاربة الجذور "متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأميركي.

5. يوصي الباحث بضرورة التفريق بين الطوائف المسيحية المختلفة، الكاثوليكية والارثوذكسية، والبروتستانتية، فالبروتستانتية تنتشر في بريطانيا، أمريكا، استراليا، هولندا، الدول الاسكندينافية، وأقليات مختلفه في دول أخرى، هي التى تدعم إسرائيل من منطلقات دينية.

6. الطوائف المسيحية الأخرى في العالم (الكاثوليك والأرثوذكس) يشكلون الغالبية، وموقفهم من اليهود أقرب إلى العداء منه الى المودة، ولكن كنائسهم غير فاعله بسبب الفصل بين الدين والدوله. وتفهم شعوب هذه الكنائس كبير مع القضايا العربية، ويمكن زيادته لو أحسن استغلاله.

7. يوصي الباحث بضرورة، إيلاء الكنائس العربية اهتمام خاص من الشعوب والحكومات العربية، لتمكينها من لعب دور رئيس في الدفاع عن قضايانا العادلة، والاهم لإعادة الاعتبار لها ولمكانتها، باعتبار المسيحية ديانة شرقية، وهم أولى برعايتها وتبليغها للعالم. مما سينعكس على ترسيخ فهم صحيح للمسيحية التى تخضع للتهويد والانحراف من بعض الطوائف المسيحية الغربية.

8. يوصي الباحث بضرورة التعامل مع الطرف الأمريكي، وأي طرف دولي آخر، من خلال الأخذ في الاعتبار أهمية العامل الديني، حيث لوحظ أن كثير من الوسطاء أو رؤساء لجان التحقيق، ورؤساء او أعضاء المنظمات الدولية، من البروتسانت الذين يتم الدفع بهم إلى المنطقة، حيث تكون مهامهم الدولية موجهة في الأساس لخدمة المشروع الصهيوني، وهم يقومون بذلك انطلاقا من قناعات دينية.

9. يوصي الباحث بضرورة مراجعة كافة الأدبيات العربية والأجنبية التي كتبت حول العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، والصراع العربي الإسرائيلي، التي ترسخت بسببها كثير من المسلمات والمفاهيم الفكرية الملتبسة، التي بحاجه إلى إعادة تأصيل ومراجعه نقدية موضوعية، مثل اللوبي الصهيوني والصوت الانتخابي اليهودي، وتأثير اليهود المالي والإعلامي، والعلاقة بين اليهودية والصهيونية، وموقف الإسلام من اليهود، والعلاقات العربية الإسلامية مع اليهود.

10.يوصي الباحث بضرورة البحث عن حل خلاق للصراع العربي الإسرائيلي، بعيداً عن المواجهة العسكرية، لما سيجلبه هذا الخيار من دمار على المنطقة بأسرها، بسبب الهوس الديني السائد في أمريكا. ويتمنى أن يتم صياغة حل مرحلي للصراع حتى تستجمع الأمة قواها وتخوض المواجهة، وتكون قادرة على استيعاب الكيان الصهيوني وإذابته في المنطقة كخيار إستراتيجي طويل الأمد، بحيث تصبح إسرائيل دولة شرق أوسطية.

3.6 المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

أ.غروميكو، ا. كوكوشين (1986): الإخوة كيندي. ترجمة ماجد علاء الدين، شحادة عبد المجيد. الناشر ماجد علاء الدين.

أبو الروس، ايمن (1998): زعماء ودماء. مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع ، مصر.

أبو خضرا. فيصل. (بدون): تاريخ النفوذ اليهودي في أمريكا. الرياض.

أبو خليل. اسعد (2003): الحرب الأمريكية الجديدة ضد الإرهاب (من قسم العالم إلى فسطاطين). ترجمة ميرفت أبو خليل. دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت.

أبو ستة. سلمان. (2001): حق العودة مقدس وقانوني وممكن. المؤسسة العربية للنشر، بيروت.

آل قطيط. هشام. (2003): أسطورة هرمجدون والصهيونية المسيحية. دار المحجة البيضاء.

إمام. عبد الله (1971): الناصرية ، دراسة في فكر جمال عبد الناص، مطبوعات دار الشعب، القاهرة.

أمبروز. ستيفن (1994): الارتقاء إلى العالمية (السياسة الخارجية الأمريكية منذ 1938). ترجمة نادية الحسيني، مراجعة ودودة بدران، المكتبة الاكاديمية، مصر.

اوسيبوف . ا. ا. (1985): الولايات المتحدة والدول العربية ، ط1. ترجمة محمود شفيق الشعبان. دار دمشق، دمشق.

إيفانوف. ر.ف، ليسينفسكي.أي. ف (1983): تاريخ الإرهاب الأمريكي (الكوكلاكس كلان). ترجمة غسان رسلان، دار الحوار، سوريا، اللاذقية.

أيوب. سعيد (1989): المسيخ الدجال (قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى). دار الاعتصام، مصر.

براري. حسن (2004): أمن إسرائيل (صراع الأيديولوجيا والسياسة. كراسات إستراتيجية، السنة الرابعة عشرة، عدد143. مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، القاهرة.

برستوفتز. كلايد (2003): الدولة المارقة- الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية. تعريب فاضل جتكر. شركة الحوار الثقافي، لبنان.

برير. مايكل (2004): الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، ط3. ترجمة أحمد الجمل و زياد منى. دار قدمس للنشر والتوزيع، سوريا .

بشارة. مروان (2001): فلسطين-إسرائيل سلام أم نظام عنصري (ترجمة) وسيم وجدي. مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة.

بلاتونوف. الغ (2002): لهذا كله ستنقرض أمريكا (الحكومة العالمية الخفية). ترجمة نائله موسى، أيرينا بونتشينسكايا. دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

بلاكر. كيمبرلي (2005): أصول التطرف (اليمين المسيحي في أمريكا، ط1. ترجمة هبه رؤوف، تامر عبد الوهاب. المشروع القومي للترجمه، عدد 964. المجلس الأعلى للثقافة، مصر

بلوم. ويليام (2002): الدولة المارقة . دليل إلى الدولة العظمى الوحيدة في العالم. ترجمة كمال السيد. المجلس الاعلى للثقافة، مصر.

البنا. رجب (2004): أمريكا رؤية من الداخل. دار المعارف، القاهرة.

بوب. وودوارد (2003): بوش محارباً. ترجمة سمر القاضي. مطبوعات مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع ، الرياض.

بيري. لويس (1990): تاريخ الحياة الثقافية في أميركا. ترجمة أحمد العناني. مركز الكتاب الاردني، عمان.

بيغنون. ميشيل (2001): أمريكا المستبدة الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم "العولمة". ترجمة الدكتور حامد فرزات. منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، دمشق.

بيكر. جيمس (1999): مذكرات جيمس بيكر سياسة الدبلوماسية. ترجمة مجدي شرشر. مكتبة مدبولي، القاهرة.

بينتون. رولاند (1978): مواقف من تاريخ الكنيسة. ترجمة القس عبد النور ميخائيل. دار الثقافة المسيحية، القاهرة.

تشومسكي. نعوم (2000): الولايات المتحدة ومسألة اللاجئين. تحرير نصير عاروري. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

التغلبي. سهيل (1999): الصهيونية تحرف الأناجيل. مكتبة مجد، مصر.

التل. عبد الله (1978): جذور البلاء. المكتب الإسلامي للنش ، لبنان.

التل. عبد الله (1979): خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ط3. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، لبنان.

تماري. سليم (1996): مستقبل اللاجئين الفلسطينيين، أعمال لجنة اللاجئين في المفاوضات المتعددة الأطراف واللجنة الرباعية، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

تودوروف. تزفيتان (2003): فتح أمريكا (مسألة الآخر)، ط2. ترجمة بشير السباعي، تقديم فريال جبوري غزول. الناشر، دار العالم الثالث، القاهرة.

توما. أميل (1982): الصهيونية المعاصره. الدار العربية للنشر، عمان

تومسون. توماس (2000): أسفار العهد القديم في التاريخ – اختلاف الماضي. ترجمة عبد الوهاب علوب، مراجعه وتقديم محمد خليفه حسن. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة.

تيفن. إدوارد (1998): اللوبي، اليهود وسياسة أمريكا الخارجية. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان.

الجابري. محمد (1997): مسألة الهوية (العروبة والاسلام ..والغرب). مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

جار ودي. روحيه. (1984): المأزق إسرائيل. ترجمة ذوقان قرقوط . دار المسيرة، بيروت.

جارودي. روجيه (1991): فلسطين أرض الرسالات السماوية. ترجمة قصي أتاسي، ميشيل واكيم. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

جارودي. روجيه (1998): الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. تقديم محمد حسنين هيكل، دار الشروق، القاهرة

جارودي. روحيه (2003): كيف نصنع المستقبل، ط3. ترجمة وتقديم د. منى طلبه، د. أنور مغيث. دار الشروق، القاهرة.

جارودي. روحيه. (2002): أمريكا طليعة الانحطاط، ط 3. تقديم كامل زهيري، تعريب عمرو زهيري. دار الشروق، القاهرة.

الجراد. خلف (2007): العرب في الإستراتيجية الأمريكية . التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق.

جلال. شوقي (1997): العقل الأمريكي يفكر – من الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات. مكتبة مدبولي، القاهرة.

جورافسكى. إليكس (2000): الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ط2. ترجمة د. خلف الجراد . دار الفكر المعاصر/ بيروت- دار الفكر/دمشق.

جوليان. كلود (1970): الإمبراطورية الأمريكية. ترجمة ناجى أبو خليل. دار الحقيقة بيروت.

حارب. سعيد (1985): منطقة الخليج العربي أمام التحدي العقدي. مكتبة الأمة بدبي

حسن. ديب (2002): الولايات المتحدة من الخيمة إلى الإمبراطورية. مراجعة وتدقيق اسماعيل الكردي. الأوائل للنشر والتوزيع، رام الله.

الحسن. هاني (1997): الخروج من مأزق أوسلو. حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح. غزة.

الحسن. يوسف (1986-ا): اندماج : دراسة في العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، دار المستقبل العربى، القاهرة.

الحسن. يوسف (1986-ب): من أوراق واشنطن. دار المستقبل العربي، القاهرة.

الحسن. يوسف (2000): البعد الديني في السياسة الأمريكية اتجاه الصراع العربي الصهيوني ، ط3 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

حسين. باسل (1993): معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل. دار الأمين، مصر.

حكيم. سامي (1967): أمريكا والصهيونية. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة

حماده. حسين (1990): شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكي والتلمود اليهودي. دار قتيبه، دمشق.

الحمد. جواد (1994): مستقبل السلام في الشرق الأوسط. المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث، عمان.

حمدان. حمدان (2000): على أعتاب الألفية الثالثة (الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل). بيسان للنشر والتوزيع، بيروت.

الحوت. بيان (1991): فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة (التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917). دار الاستقلال، بيروت.

الخالدي. صلاح (1988): فلسطين والحقائق القرآنية. المركز العربي الإسلامي للدراسات، القاهرة.

الخالدي. كمال (1984): الأرض في الفكر الاجتماعي الصهيوني، ط1 .الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، دمشق، دمشق .

خالدي. مصطفى ، فروخ. عمر (1964): التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ط 3. بيروت

الخشاب. أحمد (ب. ت): الاجتماع الديني (مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية).

خضر. إسماعيل (2005): الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية. معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، (رسالة ماجستير غير منشورة).

خليل. عماد الدين (2003): مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر). دار الفكر بدمشق.

الخولي. لطفي (1988): مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي عام 2000، ط2، منشورات عيون ، الدار البيضاء

الدجاني. برهان (1998): مفاوضات السلام، المسار والخيارات والاحتمالات. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت .

دروزة. محمد (1979): العدوان الإسرائيلي القديم، والعدوان الإسرائيلي الحديث على فلسطين. دار الكلمة للنشر، بيروت.

الدسوقي. عاصم (1985): الولايات المتحدة وفلسطين من التقسيم إلى إقامة إسرائيل. مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية .الأهرام، القاهرة .

دلماس. كلود (1982): تاريخ الحضارة الغربية. ترجمة توفيق وهبه. عويدات، عمان.

دمشقية. غسان (1990): لاهوت التحرير. الأهالي للطباعة و النشر، دمشق، سوريا.

دومال. جاك، لوروا. ماري (1969): التحدي الصهيوني ط أيار. ترجمة نزيه الحكيم، دار العلم للملايين، دار الآداب، بيروت.

دويدار. محمد (2000): الصهيونية تلتهم العرب. دار سطور، القاهرة .

ديلورم. روجيه (1985): أني أتهم. ترجمة نخله كلاس. دار الجرمق، دمشق.

ديورانت. ول (1988): قصة الحضارة، ج 24،23. ترجمة زكي نجيب محمود، محيى الدين صابر. دار الجيل، بيروت.

راسل، برنراند (1983): حكمة الغرب (عرض تاريخي للفلسفة الغربية في اطارها الاجتماعي والسياسي). ترجمة فؤاد زكريا. سلسلة عالم المعرفة 62. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

رافيتش. دايان، وآخرون (1998): مختارات من الفكر الأمريكي. ترجمة نمير مظفر. دار الفارس، الأردن.

ربيع. محمد (1995): الحوار الفلسطيني– الأمريكي الدبلوماسية السرية والاتصالات الفلسطينية– الإسرائيلية. دار الجليل للنشر والدراسات، عمان.

ربيع. محمد (ب. ت): أزمة الفكر الصهيوني –المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت.

رزوق. أسعد (1973): إسرائيل الكبرى، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

رسلان. أحمد (2002): الصراع الفلسطيني الإسرائيلي رؤية مستقبلية. كراسات إستراتيجية، السنة الثانية عشرة، عدد112. مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، القاهرة.

الرماوى. جمال الدين (ب. ت): الصهيونية العالمية ومعركة المصير العربي. مكتبة الوعي العربي، القاهرة.

رمضان. عبد العظيم (1993): مساعي السلام العربية الإسرائيلية– الأصول التاريخية. سلسلة تاريخ المصريين رقم 67– الهيئه المصرية العامه للكتاب، القاهرة.

ريتش. برنارد (1986)، الولايات المتحدة وإسرائيل، ترجمة وإعداد مصطفى كمال. مؤسسة البيان، دبي

الزرو. نواف (2000) اللاجئون الفلسطينيون قضية وطن وشعب عمان: المؤسسة العربية الدولية للنشر، بيروت.

زريق. إيليا (1997): اللاجئون الفلسطينيون والعملية السلمية، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

الزعبى. محمد (1980): الماسونية فى العراء . دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت.

زكاء الله. محمد (2004): الصليب والهلال. ذي آذرز، كوالالمبور.

زلوم. عبد الحي (2003): إمبراطورية الشر الجديدة (الارهاب الدولي ضد الإسلام). المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

زهير الدين. صالح (1999): خلفيات الحصار الأمريكي البريطاني للعراق. المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت.

الزين. محمد (2002): المسيحية والإسلام والاستشراف، ط 3. دار الفكر المعاصر، بيروت

ساوندروز. هارولد (1985): الجدران الأخرى، سياسة عملية السلام. (ترجمة) حسين عبد الفتاح. معهد المشاريع الأمريكي للدراسات العملية السياسية والاجتماعية، واشنطن.

ستيفن. ريتشارد (1967): الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكا الخارجية 1942. 1947. ترجمة جورج نجيب واكيم. دار الطليعة، بيروت

سعدي. محمد (2006): مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات الى انسنة الحضارة وثقافة السلام. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت

السقا. احمد (2003): عودة المسيح المنتظر لحرب العراق بين النبوءة والسياسة، ط2. دار الكتاب العربي دمشق، القاهرة.

سكراتون. فل (2004): ما وراء 11 سبتمبر. تعريب، د. إبراهيم الشهابي. الحوار الثقافي، لبنان

سلطان. حامد (1968): أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية. دار النهضة العربية، القاهرة

سلطان. محمود (ب، ت): المؤثرات الدينية في توجيه السياسة الغربية المعاصرة، القاهرة .

سلطان، محمود.(1998): نقد المفهوم التقليدي عن العلمانية، القاهرة.

السماك . محمد (2000): الصهيونية المسيحية، ط3. دار النفائس، بيروت.

السماك. محمد (2003): الدين في القرار الأمريكي. دار النفائس، بيروت.

السمرة. محمود (1974): فلسطين الفكر والكلمة. الدار المتحدة للنشر ، بيروت.

سميث. هيدريك (1982): ريغان الرجل والرئيس. الدار العربية للموسوعات، بيروت.

سوسة. أحمد (1972): العرب واليهود في التاريخ : حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية. سلسلة الكتب الحرية، ١٤، بغداد : وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة.

سيموند. جيف (2003): استهداف العراق، العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت .

شاحاك. إسرائيل، متسفينسكي. نورتون (2001): الأصولية اليهودية في إسرائيل، ترجمة ناصر عفيفي. الناشر الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، القاهرة.

شاش. طاهر(1999): مفاوضات التسوية النهائية والدولة الفلسطينية الآمال والتحديات، القاهرة: دار الشروق الدولية.

شاهين بك، مكاريوس (1994): أربع كتب في الماسونية. مكتبة مدبولي، مصر.

شديد، محمد (1985): الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية، ترجمة كوكب الريس، القدس: جمعية الدراسات العربية.

شريف. حسين (2001): الولايات المتحدة من الاستقلال والعزلة إلى سيادة العالم (1783-2001)، ج2. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

الشريف. ريجينا (1985):الصهيونية غير اليهودية: جذورها فى التاريخ الغربى. ترجمة احمد عبد الله عبدالعزيز. سلسلة عالم المعرفة، 96. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

الشريف. ماهر (1995): البحث عن كيان. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، قبرص.

شلبي. أحمد (1979): المسيحية. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.

شلبى. أحمد (1987)، مقارنة الأديان والاستشراق، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة.

شنيدر . هربرت (1964): تاريخ الفلسفة الأمريكية ، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطي. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

الشيخ. رأفت (2006): امريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر، عين للدراسات، القاهرة

شينك. ارل (1958): حضارة العالم الجديد من عصر الاستكشاف إلى عصر الذرة. ترجمة فؤاد جميل. مطبعة شفيق، بغداد.

صقر. عبد العزيز (1995): الدين والدولة في الفكر الغربي (دراسة لموقع ودور الدين في الدولة القومية). دار ومكتبة العلم للجميع، مصر.

الطعان. عبد الرضا (بدون): تاريخ الفكر السياسي الحديث. وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد.

الطويل. يوسف (1995): الصليبيون الجدد "الحملة الثامنه" –دراسة في أسباب التحيز البريطاني والأمريكي لإسرائيل. مكتبة مدبولي، القاهرة.

الطويل. يوسف (2009): الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم. مؤسسة صوت القلم العربي، مصر.

عاشور. عبد الفتاح (1976): تاريخ اوروبا في العصور الوسطى. دار النهضة العربية ، بيروت

عايد. خالد (1984): التوسعية الصهيونية وإسرائيل الكبرى. الموسوعة الفلسطينية، لقسم الثاني، المجلد السادس. بيروت.

عباس. محمود. (1984) الوجه الآخر .. العلاقات السرية بين النازية والصهيونية، دار ابن رشد عمان.

عبد الحكيم. منصور (2005): الإمبراطورية الأمريكية البداية .. والنهاية. دار الكتاب العربي، سوريا.

عبد الحليم. على (1986): الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر، دار المنار، القاهرة .

عبد الخالق. جودة (1985): من يساعد إسرائيل . دار المستقبل العربي، القاهرة .

عبد الدائم. عبد الله (2000): صراع اليهودية مع القومية الصهيونية. دار الطليعة، القاهرة.

عبد الرحمن. اسعد (1987): منظمة التحرير الفلسطينية جذورها تأسيسها ومساراتها.مركز أبحاث م.ت.ف، قبرص.

عبد السلام. احمد (2005): الانحياز الأمريكي لإسرائيل، دوافعه التاريخية والاجتماعية والسياسية. مكتبة النافذة، القاهرة.

عبد الغفار. نبيل (1982): السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيليي (اكتوبر 1973- سبتمبر 1978). الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

عبد الله .أبو إسلام (1986): الماسونية في المنطقة 245. دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

عبد الوهاب. أحمد (1981): حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر. مكتبة وهبة، القاهرة.

عبد الوهاب. محمد (2011):رؤية شاملة عن العلاقات العربية الأمريكية. مكتبة مدبولي، القاهرة.

عسيلة. صبحي (2005): فلسطين بعد عرفات، تحديات الإصلاح والتسوية. كراسات إستراتيجية السنة الخامسة عشرة، العدد 151. مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة.

عطا. محمد (1967): فلسطين وصراع القوى. مكتبة الأنجلو، القاهرة.

العطار. موفق (2007): المحافظون الجدد والحلم الإمبراطوري. دار الأوائل للنشر، سوريا

العقاد. صلاح (1966): العرب والحرب العالمية الثانية. معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة.

العكش. منير (2002): حق التضحية بالآخر (أمريكا والإبادات الجماعية). رياض الريس للكتب والنشر، بيروت.

علي. طارق (2004): بوش في بابل. ترجمة فاطمه نصر. إصدارات سطور، القاهرة.

عماد. عبد الغني (2003): صناعة الإرهاب. دار النفائس، بيروت.

عناية. محمد (2001):القوة اليهودية في أمريكا. بدون.

عناية. محمد (2002): أمريكا و أزمة ضمير. بدون.

عوض، عبد العزيز (1984): الأطماع الصهيونية في القدس.الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني –المجلد السادس.بيروت

غايات. نيكولاس (2003): قرن أمريكي آخر. ترجمة رياض حسن. دار الفارابي، بيروت.

غرين. ستيفن (1992): الانحياز – علاقات أمريكا السرية بإسرائيل، ط2. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القدس.

الغمري. عاطف (2004): انقلاب في السياسة الأمريكية،ط1. المكتب المصري الحديث، القاهرة

الغورى. أميل (1955): المؤامرة الكبرى ، اغتيال فلسطين. دار النيل للطباعة، القاهرة.

فانس. سايروس (1984): خيارات صعبة. مذكرات سايروس فانس، المركز العربي للمعلومات، بيروت.

فايرستون. روبن (2005): ذرية إبراهيم. ترجمة عبدالغني إبراهيم. اللجنة اليهودية الأمريكية.

فريج. غازي (1999): النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة. دار النفائس، بيروت.

فندلى. بول (1985): من يجرؤ على الكلام (اللوبي الصهيوني وسياسات أميركا الداخلية والخارجية). شركة المطبوعات، بيروت.

فهمي. وليم (1971): الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة. جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر.

فورد. هنري (1986): اليهودي العالمي (المشكلة الأولى التي تواجه العالم). تعريب خيري حماد دار الآفاق الجديدة.

فوكوياما. فرانسيس (1993): نهاية التاريخ والإنسان الأخير. ترجمة مركز الإنماء العربي بإشراف مطاع الصفدي. ترجمة د. فؤاد شاهين، د. جميل قاسم ورضا الشايبي، بيروت.

فيبر. ماكس (1990): الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية. ترجمة : محمد علي مقلد ، مراجعة : جورج أبي صالح. مركز الإنماء القومي، بيروت.

القدوسي. محمد (2005): رؤساء أمريكا قادة صهاينة في البيت الأبيض. الناشر Kotobarabia.com

قلادة. وليم (1986): المسيحية والإسلام على أرض مصر. دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ، مصر

قلعجي. قدري (1992): أمريكا وغطرسة القوة. الرياض .

كارتر. جيمي (1975): لماذا لا نشد الأفضل. ترجمة أمير كامل. القاهرة مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

كارول. جيمس (2005): الحرب الصليبية (توايخ حرب ظالمة)، ط1، ج 2. ترجمة د. قاسم عبده قاسم. مكتبة الشروق، القاهرة.

كريسون. أندريه (1982): روسو (حياته– فلسفته– منتخبات)، ط3. ترجمة نبيه صقر. منشورات عويدات، بيروت.

الكفري. محمد (2003): دول محور الشر الإرهابية أمريكا .. بريطانيا .. إسرائيل. دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق.

كليفلاند. هارلان (2000): ميلاد عالم جديد (فرصة متاحة لقيادة عالمية). تقديم روبرت ماكنمارا، ترجمة د. جمال زهران. المكتبة الأكاديمية، القاهرة.

كلينتون. بل، آل جور (1992): رؤية لتغيير أمريكا (بالاهتمام بالناس اولا). مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة .

كوانت. وليم (1984):عقد من القرارات، السياسة الأميركية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي. ترجمة عبد الكريم ناصيف. مكتب الخدمات الطباعية، دمشق .

كوربت. م. كوربت، ج. (2002): الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، ج2. ترجمته د.عصام فايز، ود. ناهد وصفي. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

كيجلي. تشارلز، ويتكوف. يوجين (2004): السياسات الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية، رؤى وشواهد. ترجمة عبد الوهاب علوب. الملجس الأعلى للثقافة، القاهرة.

الكيلاني. إسماعيل (1994): الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ط.2. المكتب الإسلامي بيروت، لبنان.

لانداو. ديفيد (1995): معركة السلام (يوميات شمعون بيريس)، ترجمة، عمار فاضل و مالك فاضل، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.

لوران. اريك (2003): عالم بوش السري (الديانة و المعتقدات الأعمال و الشبكات الخفية). ترجمة سوزان قازان. دار الخيال بيروت، لبنان.

لورنس. هنري (2006): مسألة فلسطين ج1 (1799-1922)، اختراع الارض المقدسة. ترجمة بشير السباعي، المجلس الاعلى للثقافة العدد100، القاهرة .

لوك. جون (1997): رسالة في التسامح، ط1. ترجمة منى أبو ستة. المشروع القومي للترجمة، مصر.

ليله. علي (1981): النظرية الاجتماعية لمعاصرة، دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع. دار المعارف، القاهرة.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية (1973): القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، بيروت.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية (1987): تيودور هرتزل عراب الحركة الصهيونية. دار الجليل، عمان، الأردن.

مارسدن. جورج (2001): الدين والثقافة الأمريكية، ط1. ترجمة صادق عودة- دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان.

مامير. ن، فاربيار. ب (2004): خطورة أمريكا – ملفات حربها المفتوحة في العراق. ترجمة ميشال كرم. دار الفارابي، بيروت.

محمد. علي عبد المعطي (2004): الفكر السياسي الغربي. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

محمود. أمين (1984): مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .عالم المعرفة رقم (74)، الكويت.

مركلي. بول (2003): الصهيونية المسيحية (1891-1948م). ترجمة فاضل جتكر. قدمس للنشر والتوزيع، سوريا.

المسحال. سعيد (1994): ضياع أمة. الرافد للنشر والتوزيع، لندن.

المسلم. إبراهيم (1985): فلسطين والمواقف العربية والدولية. دار الأصالة، الرياض .

المسلماني، أحمد (2003): ما بعد اسرائيل – بداية التوراة ونهاية الصهيونية. ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة.

المسيري . عبد الوهاب (2003-ا): البروتوكولات واليهودية والصهيونية. دار الشروق، القاهرة.

المسيري. عبد الوهاب (1975): موسوعة المعاجم والمصطلحات الصهيونية. مركز الدراسات الإستراتيجية بالأهرام، القاهرة.

المسيري. عبد الوهاب (1998): اليد الخفية، دراسات في الحركات اليهودية الهدامة والسرية. دار الشروق، القاهرة.

المسيري. عبد الوهاب (1999): موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، المجلد السادس. دار الشروق، القاهرة.

المسيري. عبد الوهاب (2003-ب): دفاع عن الإنسان. دار الشروق، القاهرة.

المسيري. علبد الوهاب (1984): الصهيونية. الموسوعة الفلسطينية –القسم الثاني –المجلد السادس بيروت

مصالحة. عمر (1994): السلام الموعود، الفلسطينيون بين النزاع والتسوية. ترجمة وديع اسطفان. دار الساقي، بيروت.

مظهر. سليمان (1984): قصة الديانات. الوطن العربي. دار الوطن العربي، القاهرة.

المقادمه. ابراهيم (1994): معالم في الطريق الى تحرير فلسطين. مؤسسة اليم. بدون.

مقار شفيق (1992): المسيحية والتوراة. رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص.

مقار. شفيق (1991): قراءة سياسة للتوراة. رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص.

مكدوجال. والتر (2001): أرض الميعاد والدولة الصليبية . أمريكا في مواجهة العالم منذ 1776، ط2. ترجمة: رضا هلال. دار الشروق، القاهرة.

موريس. ا (1977): حياة لوثر زعيم الإصلاح، ط2. ترجمة القس باقي صدقه. دار الثقافة المسيحية، القاهرة.

موعد. حمد (2003): اللاجئون الفلسطينيون جوهر الصراع وعقدة التسوية من مدريد إلى خارطة الطريق. مركز دراسات الغد العربي، دمشق.

ميسان. تيري (2002): التضليل الشيطاني. دار الوطنية الجديدة، دمشق.

النتشة. رفيق (1986): الاستعمار وفلسطين . إسرائيل مشروع استعماري د . ن.

نتنياهو. بنيامين (1996): مكان تحت الشمس، ترجمة محمود عوده الدويري، ط2 . دار الجليل للنشر، عمان.

النجار. حسين (1986): أمريكا والعالم . مكتبة مدبولي، القاهرة.

النيرب. محمد (1997): المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، الجزء الأول حتى 1877. دار الثقافة الجديدة، القاهرة.

نيكسون. رتشارد (1988): 1999، نصر بلا حرب. ترجمه المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة. مركز الاهرام للترجمة والنشر – القاهرة.

نيكسون. ريتشارد (1983): أمريكا والفرصة التاريخية. ترجمة د. محمد زكريا إسماعيل . دمشق, سورية، دار حسان.

هالسيل. غريس (1998): النبوءة والسياسة (الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية)، ط4. ترجمة محمد السماك. دار الشروق، القاهرة .

هالسيل. غريس (2000): يد الله (لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟!). ترجمة محمد السماك. دار الشروق، القاهرة.

هرتز. فردريك (1964): القومية في التاريخ والسياسة .. ترجمة دكتور عبد الكريم أحمد، سلسلة من الفكر السياسي و الإشتراكي , دار الكتب العربي , القاهرة

هلال. رضا (2001): المسيح اليهودي ونهاية العالم، ط2. مكتب الشروق، القاهرة .

هنتنجتون. صمويل (2009): من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أمريكا. ترجمة أحمد مختار الجمال، مراجعة وتقديم: السيد شلبي. المركز القومي للترجمة، مصر، العدد 1325، القاهرة.

الهور. منير، الموسى. طارق (1986): مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947–1985. دار الجليل، عمان.

هيكل. محمد (1990): الانفجار 1967(حرب الثلاثين سنه). مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.

هيكل. محمد. (2002): من نيويورك إلى كابول، ط2. المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة.

هيكل، محمد (2005): الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، ط5. دار الشروق، القاهرة.

وكالة الإعلام الأمريكية (ب، ت): هذه هي أمريكا. الولايات المتحدة الأمريكية.

ولفنستون. إسرائيل (2006): تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. مكتبة النافذة، القاهرة .

يانج. روبرت (2003): أساطير بيضاء (كتابة التاريخ والغرب). ترجمة أحمد محمود. المجلس الأعلى للثقافة، مصر .

يحيى. محمد (1986): السوفيث والقضية الفلسطينية (1948–1967). الطباعي العربي للطبع والنشر، مصر

ثانياً: الدراسات والمقالات ومواقع الانترنت

1- المجلات

البابا. جمال (2003، يناير–يونيو): خارطة الطريق بين الرؤية الأمريكية والتحفظات الإسرائيلية، مجلة مركز التخطيط الفلسطيني، السنة3، العدد9–10.

زباني. معين (2001): الحجارة والصواريخ : النتيجة الحتمية لاتفاق أوسلو. مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 47. فصلية تصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

شعت. نبيل (2010، 2 نوفمبر): خارطة الطريق الفلسطينية. ترجمة هاشم عبد الحميد. روزاليوسف، العدد 1634

مجلة نيوزويك الأمريكية (10،3/2003): البيت الأبيض: إنجيل على نهر البوتوماك بقلم كينيث وودوارد، خطيئة التكبر، بقلم: مارتن مارتي، بوش والرب بقلم هاوارد فاينمان.

الهياجنة. عدنان (2002) مستقبل فلسطينيي الشتات: أسس التعامل مع الأطروحات الدولية وقواعده، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 31، عدد 4.

يوسف. أيمن (2009): اللاجئون الفلسطينيون وحق العودة في السياسات الأمريكية من مبادرات الحرب الباردة إلى مقترحات كلينتون. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث.العدد 15.

2- الصحف

أبو شعيره. شوقي (2002، 14، كانون أول، ديسمبر): البوشنية .. سيره يهودية. جريدة الخليج الإماراتية، عدد 8609.

روس. دينس (2004) السلام المفقود. جريدة الأيام، العدد 3133، 3136 السنة التاسعة.

السهلي. نبيل (2009، 22 تشرين الأول، اكتوبر) الإدارات الأميركية وقضية اللاجئين الفلسطينيين. صحيفة الثورة السورية، العدد 14050، مؤسسة الوحدة للصحافة و الطباعة و النشر.

وولفويتز. بول (ابريل،2001): وقفة مع الصديق الأمريكي. جريدة (وجهات نظر المصرية)، عدد 27.

جريدة الشعب المصرية (1995): الثلاثاء 9 آيار، مايو 1995. ص 2 العدد (944)

مرقص. سمير (2003، 2 شباط، فبراير): الصهيونية المسيحية مسخرة لخدمة إسرائيل.جريدة الخليج عدد8672

أبو ستة. سلمان (2002، 10 شباط، فبراير): اللاجئون الفلسطينيون بين التوطين والعودة، القدس العربي، العدد 2564.

صبرا. جورج (2003، 15، شباط، فبراير): أوجه التشابه .. والاختلاف. جريدة الخليج الإماراتية ، عدد8672

الصياد. محمد (2003، 15شباط، فبراير): حول علاقة الدين بالدولة الأمريكية الحديثة. جريدة الخليج الإماراتية. عدد 8672.

عازر. شكري (2003، 15شباط، فبراير): كنائس الشرق تكافح أعداء المسيح الجدد. جريدة الخليج الإماراتية. عدد.8672

هيوبرز. جون (2003، 15، شباط، فبراير): عندما تختلط الأساطير بالنبوءات. جريدة الخليج الإماراتية.

سحاب. فكتور (2003، 17، شباط، فبراير): تاريخ تطور علاقة المسيحية باليهودية. جريدة الخليج الإماراتية ، عدد 8674

حرب. رضا (2003، 9، آذار، مارس): أساطير في ثوب ديني وتحالف إستراتيجي. جريدة الخليج الإماراتية عدد 8674

الحسن. يوسف (2003، 9، آذار، مارس): الأصولية المسيحية أصولها ونشأتها ودورها في صنع القرار الأمريكي. جريدة الخليج الإماراتية ، عدد 8674

منصور. خيري (2003، 10، آذار، مارس): أفق آخر، سانت بوش. جريدة الخليج الإماراتية ، عدد 8695

عبد الرحمن. أسعد (2008، 4، حزيران، يونيو): هل تغرق توراتية بوش فلسطين في رمال متحركة؟!. جريدة القدس.

ليفين. اناتوا (2005، 23، تموز، يوليو): القومية الأمريكية الجديدة.عرض، بشير البكر، جريدة الخليج الإماراتية. عدد 9538

الواشنطن بوست (2003، 3/9): بالنسبة لبوش.. إنه الإحساس بالتاريخ والمصير.

أبو ستة. سلمان (1997، 13أيلول، سبتمبر): حق العودة: مقدس وقانوني وممكن. جريدة الدستور، عمان.

3- مواقع الشبكه العنكبوتية

ابو خليل. أسعد (2009): اللوبي الصهيوني: عمليّة صنع القرار في السياسة الأميركيّة . مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية.الرابط: (2009-9-27) http://www.dctcrs.org/s6985.htm

بوغنون. ميشال (2002): أميركا التوتاليتارية، الولايات المتحدة والعالم: إلى أين، ط1؟. ترجمة خليل أحمد خليل. دار الساقي، بيروت. الرابط (2004/10/3) http://www.aljazeera.net/NR/exeres/C5DBE37E-9556-48DD-A2AB-20D6EBF7C90D.htm

تشومسكي. نعوم (2004): الهيمنة أم البقاء.. السعي الأميركي للسيطرة على العالم. ترجمة سامي الكعكي. دار الكتاب العربي. تقديم إبراهيم غرايبة.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/650B3061-D9C8-40AD-A8F6-504E23633E55.htm (2004/7/29)

الخلفي. مصطفى (2008): بوش وإسرائيل والرؤية الإنجيلية. الرابط:
http://www.maghress.com/attajdid/41827(19/5/2008)

ريفز. ريتشارد (2003): الرئيس كينيدي.. ملامح القوة ، ط1. سايمون وشوستر، الولايات المتحدة الأميركية.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B9EF1D00−D699−42B3−A590−2B643B1BA91E.htm(3/10/2004)

الشنقيطي. محمد (2003): بوش.. طغيان الحماس الديني على البصيرة السياسية.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/67851872-4F90-43C0-ADA2-6BE1E5003AFC.htm(26/9/2004)

عاروري. نصير (2003): الوسيط الخادع.. دور الولايات المتحدة في إسرائيل وفلسطين، ط 1 كامبردج بوك ريفيوز.
http://aljazeera.net/NR/exeres/57F92962-8405-409A-BA8B-A6217047904D.htm?wbc_purpose=%5C%2F (3/4/2004)

كارفر. تيريل (2003): إنجلز.. مقدمة قصيرة جداً، ط1 الناشر إكسفورد. مراجعة كامبردج بوك ريفيوز.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A7FE601A-D772-4210-81DE-795E29A7CBC8.htm (3/10/2004)

مانسفيلد. ستيفن (2004): عقيدة جورج دبليو بوش. عرض علاء بيومي. الرابط:
http://aljazeera.net/NR/exeres/149D60B2-C5E2-4149-A0B3-0DDC26B132EE.htm?wbc_purpose=%2F%2F (3/10/2004)

وزارة الخارجية الأمريكية (2003، 30 أبريل): خارطة الطريق إلى حل الدولتين الدائم للنزاع الإسرائيلي–الفلسطيني.
http://www.america.gov/st/washfile-arabic/2007/September/20071121142758bsibhew0.6115686.html

كولمباني. جون (2002): الكل أميركيون ؟.. العالم بعد 11 سبتمبر 2001، ط1. الناشر: فايار، باريس.
http://aljazeera.net/NR/exeres/EA880EF7-DBF1-462B-BDA9-01FAD524CD5F.htm?wbc_purpose=B (3/10/2004)

الشقاقي. خليل، أحمد. عائشة (2003، يناير): ملاحظات أولية على خطة خارطة الطريق – مدخل لفرض وصاية دولية على الفلسطنيين أم طريق نحو دولة مستقلة ذات سيادة . المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية.
http://www.pcpsr.org/arabic/strategic/books/2003/roadmap/cover.html

أولدفيد. د (2003، آب 31.28): الجذور الإنجيلية للأحادية الأمريكية اليمين المسيحي وكيفية مواجهته. الرابط.
http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_mutabaat-s-k.htm (17/2/2005)

عنيبة. عفاف (2008، 11-05):الرئيس جون كنيدي والقضية الفلسطينية، موقع الشهاب للاعلام.
http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=1790 (3/4/2004)

اللجنة المصرية (2003، /7/8): لمحات من تاريخ أمريكا الاستعماري. كتبها عبدالعزيز السعودي، عيداروس القصير. إصدار اللجنة المصرية لمناهضة الاستعمار والصهيونية، القاهرة الرابط:
http://sites.google.com/site/sciencespolitique/livres

سليمان. فهد (2003): إدارة بوش والقضية الفلسطينية من الفوز بالرئاسة حتى خطاب الرؤية. موقع مفتاح
http://www.miftah.org/display.cfm?DocId=301 (2003/9/8)

انتيباس. ليون (2008): الكتاب المقدس بعهديه ضد الصهيونية، محاضرة للأب الدكتور جورج عطية في أبرشية طرطوس للروم الأرثوذكس. موقع أرثوذكس اون لاين. (1 نيسان(ابريل) 2008).
http://www.orthodoxonline.org/forum/threads/3391-

حنا. عطا الله (2003): موقف الروم الأرثوذكس من المسيحية الصهيونية.-http://alarabnews.com/alshaab/GIF/06-06-2003/a23.htm

جرجور.رياض (2003): المسيحية الصهيونية، صهيو مسيحية أم صهيو أميركية– ندوة فكرية – مركز الإمام الخميني الثقافي – بيروت. http://www.bintjbeil.com/articles/2003/ar/0505_jarjour.html (8 نيسان (أبريل) 2003)

4.6 الملاحق

ملحق رقم (1)

كلمة الرئيس الأميركي جورج بوش أمام الكنيست 15أيار/ مايو2008

الرئيس بيرس والسيد رئيس الوزراء، السيدة رئيسة الكنيست، أشكرك كثيراً لاحتضانك هذه الجلسة الخاصة، رئيسة [المحكمة العليا] السيدة بينيش، رئيس المعارضة السيد نتانياهو، الوزراء ونواب الكنيست، أيها الضيوف الكرام، السلام عليكم جميعاً. إن [زوجتي] لورا وأنا نتحمس للعودة إلى إسرائيل. لقد تأثرنا كثيراً بالاحتفالات التي حضرناها خلال اليومين الماضيين. أما الآن فيشرّفني الوقوف في هذا الوقت أمام أحد المجالس النيابية الديمقراطية العظيمة في العالم لأنقل أماني الشعب الأميركي على شكل الكلمات الآتية: عيد استقلال سعيد [قالها باللغة العبرية[. إنها فرصة نادرة تتاح لرئيس أميركي لإلقاء كلمته أمام الكنيست.. ولا يؤسفني سوى غياب أحد أعظم الزعماء الإسرائيليين عنا ليشاركنا هذه اللحظة كونه محارباً مخضرماً ورجل سلام وصديقاً. إن الشعب الأميركي يدعو الله لشفاء أريئيل شارون، رئيس الوزراء السابق.

إننا اجتمعنا لإحياء مناسبة بالغة الأهمية. كان دافيد بن غوريون قد أعلن قبل ستين عاماً في تل أبيب استقلال دولة إسرائيل القائم على أساس الحق الطبيعي للشعب اليهودي لتقرير مصيره. وما تلا هذه الخطوة كان أكثر من مجرد إقامة دولة جديدة: إنه كان استيفاء وعد قديم مُنح لأبراهام وموشيه ودافيد بمعنى وطن قومي للشعب المختار على أرض إسرائيل. ولم تمضِ إلا 11 دقيقة حتى نالت الولايات المتحدة، بإيعاز من الرئيس هاري ترومان، شرف أن تكون أول دولة للاعتراف باستقلال إسرائيل. كما أن الولايات المتحدة يشرّفها في هذه الذكرى المفصلية أن تكون أقرب حليف وأفضل صديق لإسرائيل في العالم.

إن التحالف بين الحكومتين لا يمكن كسره إلا أن مصدر الصداقة بيننا أعمق من أي حلف. إنه يعود إلى الروح المشتركة لكلا الشعبين، إلى الروابط القائمة على الكتاب المقدس والعلاقات الروحية. عندما نزل وليام برادفورد من السفينة "ميفلاور" [التي حملت طلائع المهاجرين الأوروبيين إلى أميركا الشمالية] عام 1620 فإنه استشهد بأقوال النبي إرميا: "هلم فنقصّ في صهيون عمل الرب إلهنا". وكان مؤسسو دولتي قد رأوا أمام نواظرهم أرض ميعاد جديدة وقد أطلقوا بالتالي على بلداتهم أسماء مثل بيت لحم وكنعان الجديدة. وقد أصبح العديد من الأميركيين مع مرور الزمن يؤيدون بحماس فكرة نشوء دولة يهودية. وقد مضت

قرون من المعاناة والتضحيات قبل تحقيق هذا الحلم. إذ عانى الشعب اليهودي ويلات المجازر ومأساة الحرب الكبرى [الحرب العالمية الأولى] وفظائع المحرقة التي أسماها [الكاتب اليهودي الأميركي الشهير] إيلي فيزيل "مملكة الليل". وكان أناس لا ضمير لهم قد سلبوا الحياة وفككوا عُرى العائلات لكنهم عجزوا عن مصادرة روح الشعب اليهودي وانتهاك الوعد الإلهي.

عندما انبثقت رسالة قيام دولة إسرائيل لم تملك غولدا مئير [التي أصبحت فيما بعد رئيسة لوزراء إسرائيل] – التي كانت امرأة جسورة ترعرعت في ولاية ويسكونسين الأميركية – دموعها، ثم قالت: "لقد تمنّينا على امتداد ألفَي عام الخلاص وها هو ذا يأتي كبيراً وضخماً وتعجز الكلمات عن التعبير عنه." غير أن فرحة الاستقلال جُوبهت بالقتال العنيف وهو صراع ما زال ممتداً منذ ستة عقود. لكن إسرائيل تمكنت على الرغم من العنف والتهديدات من إنشاء نظام ديمقراطي مزدهر في قلب الأرض المقدسة. إنكم استوعبتم مهاجرين قدموا من كل حدب وصوب؛ إنكم بنيتم مجتمعاً حراً عصرياً يقوم على محبة الحرية والعدالة وكرامة الإنسان؛ إنكم عملتم دون كلل على دفع السلام قدماً وحاربتم بشجاعة من أجل الحرية.

إن بلادي مُعجبة بإسرائيل غير أن هذا الإعجاب لم يأت من فراغ، إذ إن الأميركيين يرون عندما ينظرون إلى إسرائيل الروح الطلائعية التي صنعت المعجزات في المجال الزراعي وتصنع حالياً معجزة أخرى في المجال التكنولوجي. كما أننا نشهد الجامعات الراقية ودولة رائدة عالمياً في مجالات الأعمال والابتكار والفنون. إننا نشهد مورداً أهم من النفط أو الذهب ألا وهو الموهبة والعزيمة لدى شعب حر لا يسمح لأي عائق باعتراض سبيله نحو تحقيق ما قُدّر له . لقد حالفني الحظ لأن أشاهد إسرائيل عن كثب وأطّلع على ملامحها: لقد مسستُ حائط المبكى وشاهدت انعكاس أشعة الشمس في بحيرة طبريا وأديت الصلاة في مؤسسة "ياد فشيم] "لتخليد ذكرى المحرقة]. وقد زُرت صباح اليوم موقع "متسادا" الذي يخلد ملهمة الجرأة والتضحية. إن الجنود الإسرائيليين يؤدون يمين الولاء في هذا الموقع التأريخي قائلين: إن متسادا لن تسقط ثانية. يا مواطني إسرائيل ، إن متسادا لن تسقط ثانية إذ إن الولايات المتحدة ستقف دوماً إلى جانبكم.

إن ذكرى [عيد الاستقلال] الحالية تشكل فرصة سانحة للتفكير ملياً في الماضي واستشراف المستقبل. عندما نسير نحو هذا المستقبل يستضيئ تحالفنا بمبادئ واضحة وإيمان مشترك يقوم على النزاهة الأخلاقية ولا يتأثر باستطلاعات مختلفة للرأي العام وتقلبات مواقف بعض النُخَب الدولية. إننا نؤمن بالقيمة المطلقة لحياة أي رجل وامرأة وطفل وبالتالي نعقد العزم على أن أي شخص في إسرائيل له الحق في ممارسة حياة طبيعية وجيدة ومطمئنة مثل مواطني أي دولة أخرى.

إننا نرى أن النظام الديمقراطي يمثل الطريق الوحيد لضمان حقوق الإنسان؛ ولذلك فإنه من الخزي والعار إقدام الأمم المتحدة على تمرير قرارات روتينية ضد النظام الديمقراطي الأكثر حرية في الشرق الأوسط بداعي انتهاكه لحقوق الإنسان. إننا نعتقد بأن الحرية الدينية هي من ثوابت المجتمع المتحضر ولذلك ندين بمعاداة اليهود (اللاسامية) بكافة أشكالها سواء لدى أولئك الذين يشككون علناً في حق إسرائيل في الوجود أو لدى آخرين يبحثون سراً عن مبررات لهذا الموقف. كما أننا نرى أن الأحرار عليهم أن يتطلعوا إلى السلام ويستعدوا للتضحية من أجله وبالتالي نؤدي التحية للقادة الإسرائيليين على قراراتهم الجريئة. كما إننا نعتقد بأن أي أمة تملك الحق في الدفاع عن نفسها ولا يجوز إجبارها على التفاوض مع قتلة يصرون على تدميرها.

إننا نظن أن استهداف حياة الأبرياء من أجل تحقيق أهداف سياسية لهو خطأ في أي زمان ومكان. لذلك نقف دوماً ضد الإرهاب والتشدد ولن نتخلى عن يقظتنا ولن نثبط من عزيمتنا على هذا الصعيد. إن مكافحة الإرهاب والتشدد هي التحدي الأبرز في عصرنا. ولا يقتصر الأمر على تصادم الجيوش فحسب بل إنه صدام للرؤى أي صراع عقائدي كبير. ويقف من جهة أولئك الذين يدافعون عن المثل العليا للعدالة والكرامة بدافع قوة العقل والحقيقة ، فيما يقف من الجهة الثانية أولئك الذين يعتمدون رؤية محدودة من القسوة والسيطرة تجيز القتل والترهيب ونشر الأكاذيب.

ويتم شن هذا الكفاح بواسطة تقنيات القرن الحادي والعشرين لكنه أساساً صراع بين الخير والشر. ويدّعي القتلة بأنهم خرجوا من عباءة الإسلام لكنهم ليسوا متدينين. إذ لا يمكن لكل من يدعو رب أبراهام أن يضع حزاماً ناسفاً انتحارياً على طفل بريء أو يفجر ضيوف ليلة النظام في عيد الفصح اليهودي [يقصد الاعتداء الشنيع على فندق "بارك "بنتانيا في ربيع 2002] أو يوجه طائرات إلى عمارات تجارية مليئة بمستخدمين لا يرتابون بشيء [يقصد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر أيلول 2001]. في حقيقة الأمر لا يخدم الأشخاص الذين ينفذون هذه العمليات الهمجية أي هدف سوى رغبتهم في السلطة. إنهم لا يغلّبون أي أخلاق إلهية على مصالحهم الأنانية ، كما إنهم يوجهون الكراهية والبغضاء بالذات إلى أشد المدافعين غيرةً عن الحرية من ضمنهم الأميركيون والإسرائيليون.

ولهذا السبب كان الميثاق التأسيسي لحماس قد دعا إلى القضاء على إسرائيل، ولذلك يردد أتباع حزب الله شعار الموت لإسرائيل والموت لأميركا، ومن هذا المنطلق تنص دروس أسامة بن لادن على أن قتل اليهود والأميركيين هو من أكبر الفرائض، فيما يحلم الرئيس الإيراني في إعادة الشرق الأوسط إلى القرون الوسطى ويدعو إلى محو إسرائيل عن الخارطة. ثمة أناس أخيار ومهذّبون لا يسعهم استبطان ظلامية

هؤلاء الأشرار مما يحملهم إلى تأويل كلامهم. هذا أمر طبيعي لكنه خطأ تماماً. إننا – وبصفتنا شهوداً لشر الماضي – نتحمل مسؤولية جليلة لأخذ كلامهم مأخذ الجد. إن اليهود والأميركيين قد شاهدوا تبعات غض الطرف عن كلمات أدلى بها زعماء تأييداً للكراهية، ولا يجوز للعالم أن يكرر هذا الخطأ خلال القرن الحادي والعشرين.

هنالك من يعتقد بوجوب التفاوض مع الإرهابيين والمتشددين وكأن مقارعتهم ببعض الحجج البارعة قد تقنعهم بأنهم كانوا في ضلال مُبين. كنا قد استمعنا إلى هذه الأوهام السخيفة. عندما اجتازت الدبابات النازية حدود بولندا عام 1939 صرح أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي آنذاك بما يأتي: "يا ربي، لو كان بمقدوري الحديث مع هتلر لربما كنا نتفادى كل هذا المشهد". يجب علينا أن نسمي هذا التوجه بمسمياته الحقيقية أي راحة النفس الخادعة الناتجة عن استرضاء خاطر [الأشرار] التي أظهر التاريخ بطلانها مراراً وتكراراً. ثمة آخرون يعرضون على الولايات المتحدة قطع علاقاتها مع إسرائيل وكأن هذه الخطوة وحدها كفيلة بحل جميع المشاكل في الشرق الأوسط. إن هذه حجة مستهلكة تصب في دعاية أعداء السلام وترفضها الولايات المتحدة جملة وتفصيلاً. إن عدد سكان إسرائيل يتجاوز قليلاً 7 ملايين نسمة غير أن تعدادكم يصبح 307 مليوناً عندما تواجهون قوى الإرهاب والشر لأن الولايات المتحدة الأميركية تقف إلى جانبكم.

إن الولايات المتحدة تناصركم في سعيكم لضرب الشبكات الإرهابية ورفض إيواء المتشددين. كما أن الولايات المتحدة تقف إلى جانبكم برفضها الشديد للطموحات الإيرانية بالحصول على الأسلحة النووية. إن السماح لأبرز راعٍ للإرهاب العالمي بامتلاك الأسلحة الأشد فتكاً سيكون بمثابة خيانة لا تُغتفر إزاء الأجيال القادمة .ويتعين على العالم حفاظاً على السلام عدم السماح لإيران بالحصول على السلاح النووي .ومن المتطلبات الأساسية لتحقيق الانتصار في هذه المعركة ضرورة طرح بديل عن العقائد المتشددة من خلال توسيع رؤيتنا الخاصة بالعدل والتسامح والحرية والأمل. إن هذه القيم هي حق لا يحتاج إلى أي مبرر لدى جميع الشعوب والأديان في كافة أنحاء العالم كونها هدية من الله عز وجل. كما أن حماية هذه الحقوق هي أفضل طريق لحماية السلام .إن الزعماء الذين يمكن لشعوبهم محاسبتهم لن يبحثوا عن المواجهة الدائمة وسفك الدماء ؛ إن الشبان الذين تُحفظ لهم مكانتهم في المجتمع وتُسمع أصواتهم حول مستقبلهم سيفتر حماسهم للبحث عن مغزى حياتهم بالعقيدة المتشددة ؛ إن المجتمعات حيث يتسنى للمواطنين التعبير عن ضمائرهم وعبادة ربهم لن تصدّر العنف بل ستكون شريكة للسلام.

إن أهم العِبر المستفادة من القرن العشرين هي تلك البصيرة الأساسية القاضية بأن الحرية تفضي إلى السلام. وتنحصر مهمتنا الحالية بتطبيق هذه العبرة في القرن الحادي والعشرين. وما من مكان آخر على وجه الأرض حيث يكون العمل على إنجاز ذلك أشد ضرورة وعجالة من الشرق الأوسط. ينبغي علينا مناصرة الإصلاحيين العاملين على تحطيم الأنماط القديمة من الطغيان واليأس ؛ يتحتم علينا منح الملايين من عوام الشعب الذين يحلمون في حياة أفضل في مجتمع حر فرصة إسماع أصواتهم ؛ يتعين علينا مجابهة النسبية الأخلاقية التي تقبل بدرجة متساوية جميع أشكال الحكم وتحكُم بالتالي على مجتمعات بأكملها بالرق والعبودية ؛ أما ما هو أهم من ذلك كله فهو ضرورة إيماننا بقيمنا وثقتنا بأنفسنا وسعينا اليقيني لتوسيع الحريات باعتبارها المسار المؤدي إلى مستقبل سلمي.

إن هذا المستقبل سيختلف بصورة دراماتيكية عن الواقع الحالي السائد في الشرق الأوسط. وبالتالي ، وتزامناً مع إحيائنا الذكرى الستين لتأسيس إسرائيل ، دَعُونا نحاول تصور ملامح المنطقة بعد 60 عاماً من الآن. إن هذه الرؤية لن تتحقق بسهولة أو بين ليلة وضحاها بل ستواجه مقاومة عنيفة ، غير أنه يمكننا استشراف ملامح الشرق الأوسط مستقبلاً إذا ما كنّا نحن والرؤساء [الأميركيون] القادمون ومجالس الكنيست المقبلة سنبقى مصممين وواثقين من مثلنا العليا ، لتكون كما يأتي:

ستحتفل إسرائيل بعيد استقلالها المئة والعشرين وقد أصبحت من أعظم النظم الديمقراطية في العالم ، وطن قومي آمن ومزدهر للشعب اليهودي. وسيتمتع الشعب الفلسطيني بوطن لطالما حلم فيه واستحقه لتكون لديه دولة ديمقراطية يسودها القانون واحترام حقوق الإنسان ورفض الإرهاب. وسيعيش الناس انطلاقاً من القاهرة وصولاً إلى الرياض وبغداد وبيروت في مجتمعات حرة ومستقلة حيث تعزَّز التطلعات إلى السلام بالروابط الدبلوماسية والسياحة والتجارة. وستكون إيران وسوريا دولتين مسالمتين وسيغدو الطغيان الحالي ذاكرة بعيدة فيما يستطيع الناس التعبير بحرية عن آرائهم وتنمية المواهب التي منحهم إياها الله. وستُهزم القاعدة وحزب الله وحماس في الوقت الذي سيدرك فيه المسلمون في المنطقة بأسرها فراغ رؤية الإرهابيين والظلم الذي تنطوي عليه قضيتهم.

وسيتسم الشرق الأوسط إجمالاً بعصر جديد من التسامح والتكامل. ولا يعني ذلك أن إسرائيل وجيرانها سيكونون أفضل الأصدقاء، غير أن إسرائيل ستفتح صفحة جديدة مفعمة بالآمال عندما سيكون زعماء المنطقة ملزمين بالتجاوب مع شعوبهم ويبذلون جل طاقاتهم في بناء المدارس وتوفير فرص العمل وليس في الهجمات الصاروخية والتفجيرات الانتحارية. وبالتالي سيتسنى للشعب في إسرائيل ممارسة حياة طبيعية وسيتم تطبيق حلم هرتصل ومؤسسي الدولة عام 1948 في نهاية المطاف.

إنها رؤية جريئة وقد يقول بعضهم إنها لن تكون أبداً قابلة للتحقيق. ولكن فكِّروا بما كنا قد شهدناه في عصرنا: عندما كادت أوروبا تقضي على نفسها في حرب شمولية وعمليات إبادة للشعوب كان من الصعوبة بمكان تصور قارة تنعم بعد مضي ستة عقود بالحرية والسلام؛ عندما قام طيارون يابانيون خلال الحرب العالمية الثانية بمهمات انتحارية تستهدف السفن الحربية الأميركية كان من المستحيل أن نتصور تحوّل اليابان بعد ستة عقود إلى نظام ديمقراطي ودعامة رئيسية للأمن في آسيا وأحد أقرب أصدقاء الولايات المتحدة؛ وعندما وصلت موجات من اللاجئين المعدمين إلى هنا حيث توجد صحراء محاطة بجيوش معادية كان من شبه المستحيل تصور تنامي إسرائيل وتحولها إلى إحدى الدول الأكبر نجاحاً وحرية على وجه البسيطة غير أن جميع هذه التحولات قد حدثت بالفعل. ولذلك من الممكن إحداث تحول مستقبلي في الشرق الأوسط ما دام الجيل الجديد من القيادات يملك الجرأة على دحر أعداء الحرية والإقدام على القرارات الصعبة المطلوبة لإحلال السلام والاستناد بحزم على صخرة القيم العالمية المتينة.

قبل ستين عاماً، عشية استقلال إسرائيل ، توقفت عند عمارة في الحي اليهودي من البلدة القديمة في أورشليم القدس مجموعة من آخر الجنود البريطانيين لدى مغادرتهم المدينة. وطرق أحد الضباط الباب وقابل أحد الحاخامات الكبار. وقد أهدى الضابط إليه قطعة حديدة قصيرة – مفتاح باب صهيون – قائلاً إنها المرة الأولى منذ ثمانية عشر قرناً حيث يملك يهودي أحد مفاتيح أبواب أورشليم القدس. وعندها دعا الحاخام رب العالمين شاكراً إياه على أنه "بعث فينا روح الحياة وسمح لنا بالوصول إلى هذا اليوم"، ثم استدار نحو الضابط ولفظ الكلمات التي طالما انتظرها اليهود: "إنني أتقبل هذا المفتاح باسم أبناء شعبي."

وقد تمكن الشعب اليهودي على مدى العقود الستة الماضية من إنشاء دولة كان ذلك الحاخام المتواضع سيتفاخر بها. إنكم بنيتم مجتمعاً عصرياً في أرض الميعاد. إنكم أصبحتم منارة للشعوب التي تحافظ على تراث إبراهام ويتسحاق ويعقوب، وإنكم أقمتم صرحاً ديمقراطياً عظيماً سيبقى إلى الأبد وسوف يمكنكم دوماً الاعتماد على وقوف الولايات المتحدة الأميركية إلى جانبكم. بارك الله فيكم.

المصدر: موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية (التواصل)

http://www.altawasul.com/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/2008/bush+speech+in+the+knesset+15052008.htm